

مجموع فتاوى

ورسائل فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

المجلد الثالث

فتاوى العقيدة

جمع وترتيب

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

دار الوطن للنشر

الطّبعة الأولى
١٤٠٧ هـ

الطّبعة الأخيرة
١٤١٣ هـ

التوزيع بالمملكة العربية السعودية

دار الوطن للنشر

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

تليفون: ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨

توزيع مؤسسة الجريسي

الرياض ت ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس ٤٠٢٣٠٧٦ - ص.ب ١٤٠٥

جدة ت: ٦٨٢٦١٠٥ - فاكس ٦٨٢٠١٥٤

الدمام ت: ٨٢٧١٨١١ - فاكس ٨٢٦٠٤٣٧

المدينة ت ٨٣٨٠٥٢٩ - القصيم ت ٣٦٤٤٣٦٦

ابها ت ٢٢٢٠٧٥٨

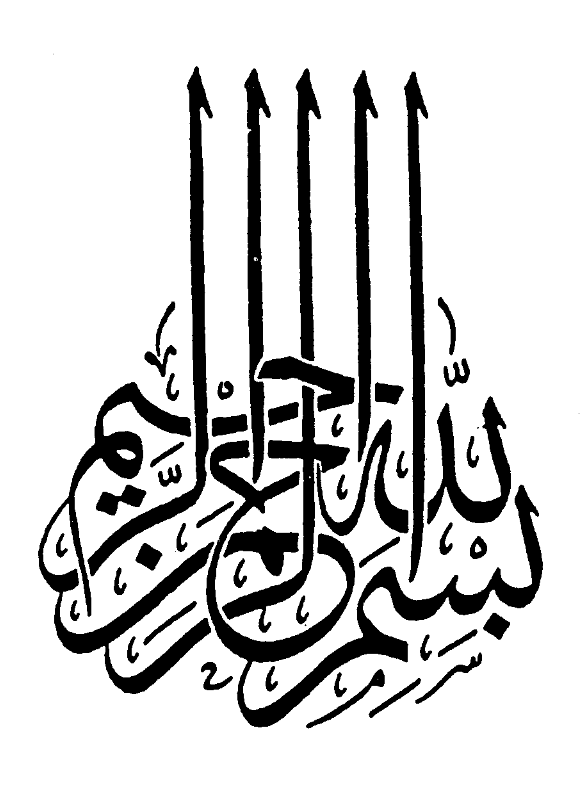
نصف ريع هذا الكتاب يصرف لصالح
الأعمال الخيرية

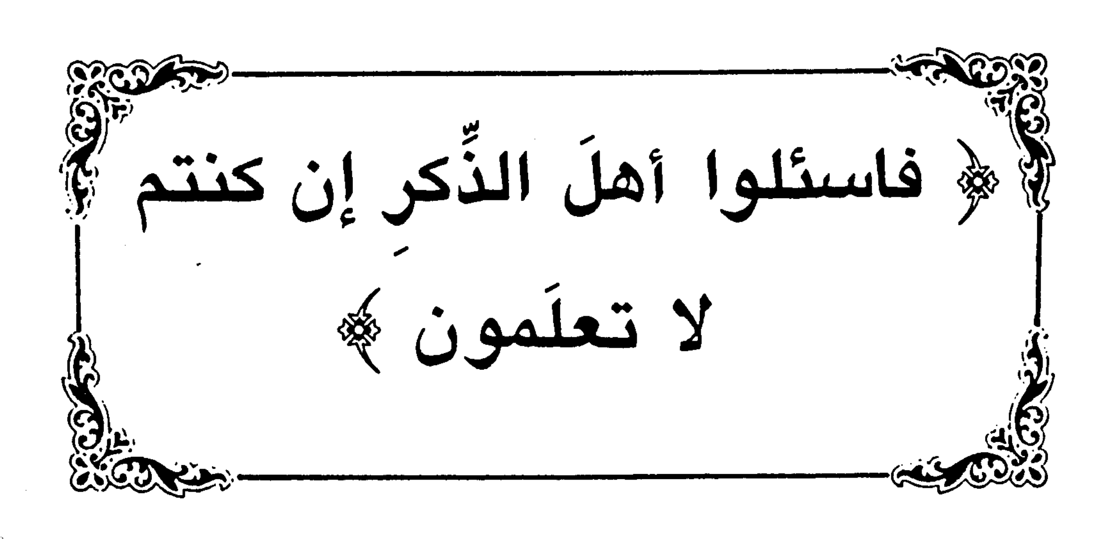
بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أذنت للشيخ فهد بن ناصر السليمان أن يطبع ما يرى طبعه من الفتاوى والرسائل الصادرة مني وأوصيه بالعناية بالتصحيح وأن لا يحتفظ بحقوق الطبع ممن أراد أن يطبعها ليوزعها مجانا. قال ذلك كاتبه محمد الصالح العثيمين

في ١١/١٠/١٤١١هـ

محمد العثيمين


بسم الله الرحمن الرحيم


﴿ فاسئلوا أهلَ الذِّكرِ إن كنتم
لا تعلَمون ﴾



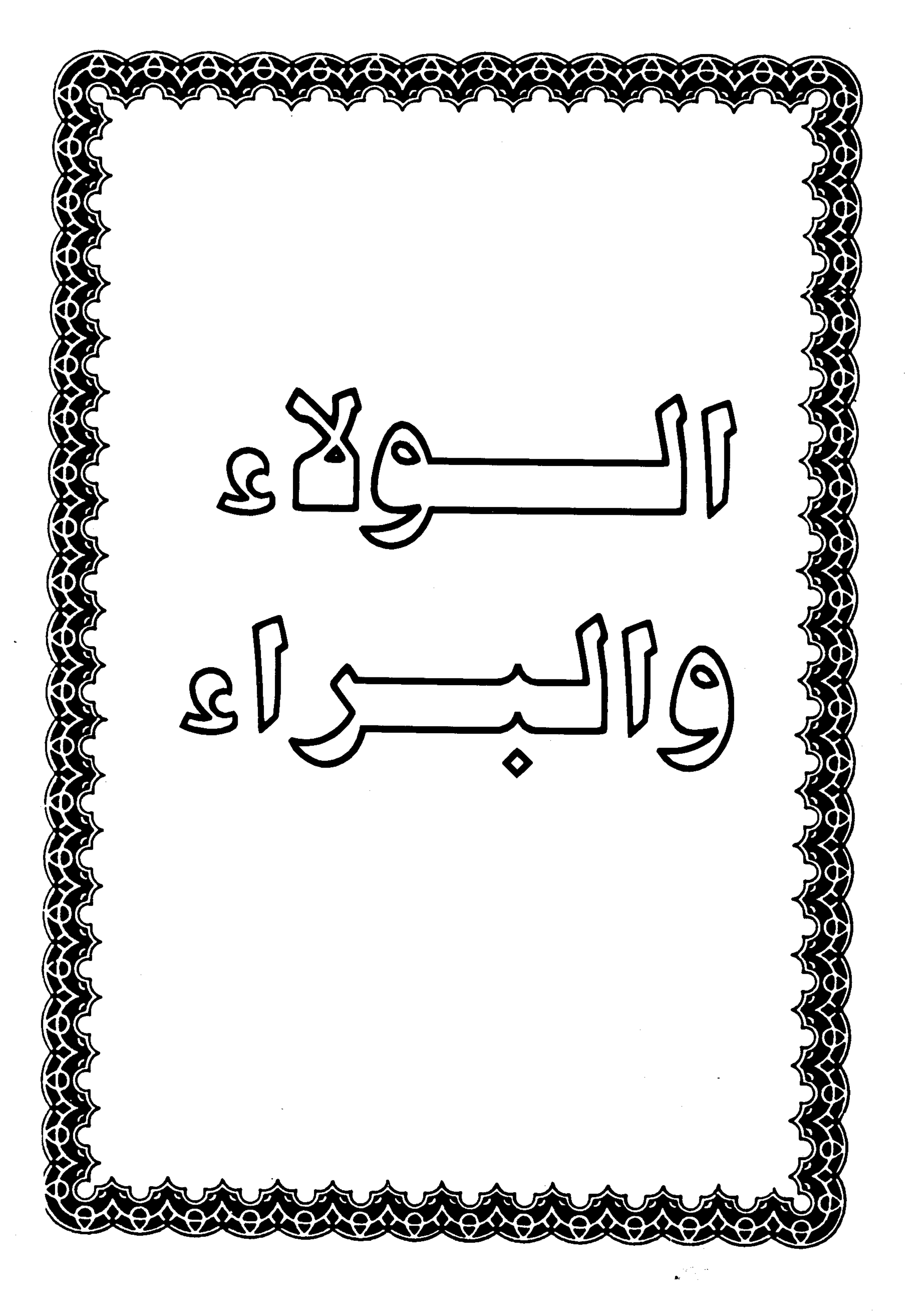


* الولاء والبراء.
* المناهي اللفظية.

الرسائل

* شرح حديث جبريل - عليه السلام -
* عقيدة أهل السنة والجماعة.
* القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.





الولاء والبراء



٣٨٢ سئل فضيلة الشيخ: عن الولاء والبراء؟.

فأجاب - حفظه الله - بقوله: البراء والولاء لله - سبحانه - أن يتبرأ الإنسان من كل ما تبرأ الله منه كما قال - سبحانه وتعالى - ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا**﴾(١) وهذا مع القوم المشركين كما قال - سبحانه -: ﴿**وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله**﴾(٢) فيجب على كل مؤمن أن يتبرأ من كل مشرك وكافر. فهذا في الأشخاص.

وكذلك يجب على المسلم أن يتبرأ من كل عمل لا يرضي الله ورسوله وإن لم يكن كفرا، كالفسوق والعصيان، كما قال - سبحانه -: ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون**﴾(٣).

وإذا كان مؤمن عنده إيمان وعنده معصية، فنواليه على إيمانه، ونكرهه على معاصيه، وهذا يجري في حياتنا، فقد تأخذ الدواء كريه الطعم وأنت كاره لطعمه، وأنت مع ذلك راغب فيه لأن فيه شفاء من المرض.

وبعض الناس يكره المؤمن العاصي أكثر مما يكره الكافر، وهذا من

---

(١) سورة الممتحنة، الآية «٤».

(٢) سورة التوبة، الآية «٣».

(٣) سورة الحجرات، الآية «٧».

العجب وهـو قلب للحقائق، فالكافر عدو لله ولرسوله وللمؤمنين ويجب علينـا أن نكـرهه من كل قلوبنا ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾[1]. ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**﴾[2].

وهؤلاء الكفار لن يرضوا منك إلا اتباع ملتهم وبيع دينك ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾[3]. ﴿**ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا**﴾[4]. وهذا في كل أنواع الكفر: الجحود، والإنكار، والتكذيب، والشرك، والإلحاد.

أما الأعمال فنتبرأ من كل عمل محرم، ولا يجوز لنا أن نألف الأعمال المحرّمة ولا أن نأخذ بها، والمؤمن العاصي نتبرأ من عمله بالمعصية، ولكننا نواليه ونحبه على ما معه من الإيمان.

٣٨٣ وسئل أيضًا: عن حكم موالاة الكفار؟

فأجـاب بقـوله: موالاة الكفار بالموادة والمناصرة واتخاذهم بطانة حرام مَنْهِي عنهـا بنص القرآن الكريم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**لا تجد قومًا**

(١) سورة الممتحنة، الآية «١».

(٢) سورة المائدة، الآيتان «٥١، ٥٢».

(٣) سورة البقرة، الآية «١٢٠».

(٤) سورة البقرة، الآية «١٠٩».

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله﴾[1] وقال ـ تعالى ـ: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾**[2] وقال ـ تعالى ـ: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[3].

وقال ـ تعالى ـ: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا﴾**[4] وأخبر أنه إذا لم يكن المؤمنون بعضهم أولياء بعض والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ويتميز هؤلاء عن هؤلاء، فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

ولا ينبغي أبدا أن يثق المؤمن بغير المؤمن مهما أظهر من المودة وأبدى من النصح فإن الله ـ تعالى ـ يقول عنهم: **﴿ودّوا لو تَكْفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾**[5] ويقول ـ سبحانه ـ لنبيه **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾**[6] والواجب على المؤمن أن يعتمد على الله في تنفيذ شرعه، وألا تأخذه فيه لومة لائم، وألا يخاف من أعدائه فقد قال الله ـ تعالى ـ: **﴿إنما ذلكم الشيطان يُخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن**

---

(١) سورة المجادلة، الآية «٢٢».

(٢) سورة المائدة، الآية «٥٧».

(٣) سورة المائدة، الآية «٥١».

(٤) سورة آل عمران، الآية «١١٨».

(٥) سورة النساء، الآية «٨٩».

(٦) سورة البقرة، الآية «١٢٠».

كنتم مؤمنين﴾[1] وقال ـ تعالى ـ: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عند فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[2].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾[3] والله الموفق.

٣٨٤ وسئل ـ حفظه الله ـ: عن حكم مودة الكفار وتفضيلهم على المسلمين؟

فأجاب بقوله: لاشك أن الذي يواد الكفار أكثر من المسلمين قد فعل محرمًا عظيمًا، فإنه يجب أن يحب المسلمين وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، أما أن يود أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم وحرام عليه، بل لا يجوز أن يودهم ولو أقل من المسلمين لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[4] وقال ـ تعالى ـ: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي

---

(١) سورة آل عمران، الآية «١٧٥».

(٢) سورة المائدة، الآية «٥٢».

(٣) سورة التوبة، الآية «٢٨».

(٤) سورة المجادلة، الآية «٢٢».

وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[1] وكذلك أيضًا من أثنى عليهم ومدحهم وفضلهم على المسلمين في العمل وغيره، فإنه قد فعل إثمًا وأساء الظن بإخوانه المسلمين، وأحسن بمن ليسوا أهلاً لإحسان الظن والواجب على المؤمن أن يقدم المسلمين على غيرهم في جميع الشئون في الأعمال وفي غيرها، وإذا حصل من المسلمين تقصير فالواجب عليه أن ينصحهم وأن يحذرهم، وأن يبين لهم مغبة الظلم لعل الله أن يهديهم على يده.

٣٨٥ سئل فضيلة الشيخ: عن الموالاة والمعاداة؟ وعن حكم هجر المسلم؟

فأجاب بقوله: إن الموالاة والمعاداة يجب أن تكون لله ـ عزّ وجلّ ـ فإن من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فقد سلك الطريق التي بها تنال ولاية الله ـ عزّ وجلّ ـ أما من كانت ولايته ومعاداته وحبه وبغضه للهوى أو للتقليد الأعمى فقد حرم خيرًا كثيرًا، وربما يقع في أمر كبير، فقد يعادي وليًّا من أولياء الله ـ عزّ وجلّ ـ فيكون حربا لله ـ تعالى ـ كما في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته في الحرب**...» الحديث. وربما يحب ويوالي عدوا من أولياء الله ـ عزّ وجلّ ـ فيقع في أمر كبير وخطر عظيم كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية «١».

وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**﴾. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم**﴾..

وهجر المسلم في الأصل حرام بل من كبائر الذنوب إذا زاد على ثلاثة أيام فقد صح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**». متفق عليه. وروى أبوداود والنسائي بإسناده قال المنذري إنه على شرط البخاري ومسلم: «**فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**».

ومن المعلوم أن المسلم لا يخرج عن الإسلام بالمعاصي وإن عظمت مالم تكن كفرًا وعلى هذا فلا يحل هجر أصحاب المعاصي إلا أن يكون في هجرهم مصلحة بإقلاعهم عنها وردع غيرهم عنها؛ لأن المسلم العاصي ولو كانت معصيته كبيرة أخ لك فيدخل في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**». ومن الأدلة على أن العاصي أخ للمطيع وإن عظمت معصيته قوله ـ تعالى ـ: فيمن قتل مؤمنًا عمدًا ﴿**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**﴾. فجعل الله القاتل عمدًا أخا للمقتول مع أن القتل ـ قتل المؤمن عمدًا ـ من أعظم الكبائر وقوله ـ تعالى ـ في الطائفتين المقتتلين من المؤمنين: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾. إلى قوله: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾. فلم يخرج الله الطائفتين المقتتلتين من الإيمان ولا من الأخوّة الإيمانية.

فإن كان في الهجر مصلحة أو زوال مفسدة بحيث يكون رادعًا لغير

العـاصي عن المعصية أو موجبًا لإقلاع العاصي عن معصيته كان الهجر حينئذٍ جائزًا بل مطلوبًا طلبًا لازمًا أو مرغبا فيه حسب عظم المعصية التي هجر من أجلها. ودليل ذلك قصة كعب بن مالك وصاحبيه ـ رضي الله عنهم ـ وهم الثلاثة الذين خلفوا فقد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بهجرهم ونهى عن تكليمهم فاجتنبهم الناس، حتى إن كعبًا ـ رضي الله عنه ـ دخل على ابن عمه أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ وهو أحب الناس إليه فسلم عليه فلم يرد عليه السلام. فصار بهذا الهجر من المصلحة العظيمة لهؤلاء الثلاثة من الرجوع إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ والتوبة النصوح والابتلاء العظيم ولغيرهم من المسلمين ماترجحت به مصلحة الهجر على مصلحة الوصل.

أمـا اليوم فإن كثيراً من أهل المعاصي لايزيدهم الهجر إلا مكابرة وتمـاديًا في معصيتهم ونفوراً وتنفيراً عن أهل العلم والإيمان فلا يكون في هجرهم فائدة لهم ولا لغيرهم.

وعلى هذا فنقول: إن الهجر دواء يستعمل حيث كان فيه الشفاء، وأما إذا لم يكن فيه شفاء أو كان فيه إشفاء وهو الهلاك فلا يستعمل.

فأحوال الهجر ثلاث:

إما أن تترجح مصلحته فيكون مطلوبا.

وإما أن تترجح مفسدته فينهى عنه بلا شـك.

وإمـا أن لا يترجـح هذا ولا هذا فالأقرب النهي عنه لعموم قول النبي، صلى الله عليه وسلم، «**لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة**».

أما الكفار المرتدون فيجب هجرهم والبعد عنهم وأن لا يجالسوا ولا يواكلوا، إذا قام الإنسان بنصحهم ودعوتهم إلى الرجوع إلى الإسلام فأبوا،

وذلك لأن المرتد لا يقر على ردته بل يدعى إلى الرجوع إلى ماخرج منه فإن أبى وجب قتله، وإذا قتل على ردته فإنه لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين، وإنما يرمى بثيابه ورجس دمه في حفرة بعيدا عن المقابر الإسلامية في مكان غير مملوك.

وأما الكفار غير المرتدين فلهم حق القرابة إن كانوا من ذوي القربى كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ وقال في الأبوين الكافرين المشركين: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ**﴾.

٣٨٦ سئل فضيلة الشيخ: عما زعمه أحد الوعّاظ في مسجد من مساجد أوربا من أنه لا يجوز تكفير اليهود والنصارى؟.

فأجاب بقوله: أقول: إن هذا القول الصادر عن هذا الرجل ضلال، وقد يكون كفرًا، وذلك لأن اليهود والنصارى كفَّرهم الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيحُ ابن الله ذلك قولُهم بأفواههم يضاهِئون قول الذين كفروا من قبل قاتَلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾. فدل ذلك على أنهم مشركون، وبيَّن الله ـ تعالى ـ في آيات أخرى ما هو صريح بكفرهم:

- ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ ابن مريم**﴾[1]

---

(١) سورة المائدة، الآيات «١٧ ـ ٧٢».

- ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثة﴾[1]
- ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾[2]
- ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم﴾[3]

والآيات في هذا كثيرة، والأحاديث، فمن أنكر كُفْر اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وكذبوه، فقد كذب الله ـ عزّ وجلّ ـ وتكذيب الله كفر، ومَن شكَّ في كفرهم فلا شكَّ في كُفره هو.

ويا سبحان الله كيف يرضى هذا الرجل أن يقول إنه لا يجوز إطلاق الكفر على هؤلاء وهم يقولون إن الله ثالث ثلاثة؟ وقد كفَّرهم خالقهم ـ عزّ وجلّ ـ وكيف لا يرضى أن يكفر هؤلاء وهم يقولون إن المسيح ابن الله، ويقولون: يد الله مغلولة، ويقولون إن الله فقير ونحن أغنياء؟!.

كيف لا يرضى أن يكفر هؤلاء وأن يطلق كلمة الكفر عليهم، وهم يصفون ربهم بهذه الأوصاف السيئة التي كلها عيب وشتم وسب؟!.

وإني أدعو هذا الرجل، أدعوه أن يتوب إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وأن يقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَدّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنون﴾[4] وألا يداهن هؤلاء في كفرهم، وأن يبين لكل أحد أن هؤلاء كفار، وأنهم من أصحاب النار، قال النبي، صلى الله عليه وسلم، : «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي يهودي



---

(١) سورة المائدة، الآية «٧٣».

(٢) سورة المائدة، الآية «٧٨».

(٣) سورة البينة، الآية «٦».

(٤) سورة القلم، الآية «٩».

﴿ورحمتي وسِعَتْ كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتّبعون الرسولَ النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾(1)

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمِنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾(2)

وليأخذوا من الأجر بنصيبين، كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : «**ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، صلى الله عليه وسلم،**». الحديث.

ثم إني اطلعت بعد هذا على كلام لصاحب الإقناع في باب حكم المرتد قال فيه ـ بعد كلام سبق ـ : «**أوْلم يكفِّر من دان بغير الإسلام كالنصارى، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر**».

ونقل عن شيخ الإسلام قوله:

«من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة له ولرسوله، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه،

انظر (٣)

(١) سورة الأعراف، الآية «١٥٧».

(٢) سورة الأعراف، الآية «١٥٨».

ولا نصراني من هذه الأمة ـ أي أمة الدعوة ـ ثم لا يتبع ما جئت به، أو قال لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار».

فعلى هذا القائل أن يتوب إلى ربه من هذا القول العظيم الفِرية، وأن يعلن إعلانًا صريحًا بأن هؤلاء كفرة، وأنهم من أصحاب النار، وأن الواجب عليهم أن يتبعوا النبي الأمي محمدًا، صلى الله عليه وسلم، فإنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ﴿**يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾(1) وهو بِشارة عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، .

فقد قال عيسى ابن مريم ما حكاه ربه عنه: ﴿**يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدِّقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾(2)

لما جاءهم مَنْ...؟ مَنْ الذي جاءهم..؟ المبشَّر به أحمد، لما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين، وبهذا نرد دعوى أولئك النصارى الذين قالوا: إن الذي بشر به عيسى هو أحمد لا محمد، فنقول: إن الله قال: ﴿**فلما جاءهم بالبينات**﴾. ولم يأتكم بعد عيسى إلا محمد، صلى الله عليه وسلم، ومحمد هو أحمد، لكن الله ألهَمَ عيسى أن يسمي محمدًا بأحمد لأن أحمد اسم تفضيل من الحمد، فهو أحمد الناس لله، وهو أحمد الخلق

---

(1) سورة الأعراف، الآية «157».

(2) سورة الصف، الآية «6».

(3) سورة آل عمران، الآية «85».

في الأوصـاف كاملة، فهو عليه الصلاة والسلام أحمد الناس لله، جَعلاً لصيغـة التفضيل من باب اسم الفاعل وهو أحمد الناس، بمعنى أحق الناس أن يحمد جعلاً لصيغة التفضيل من باب اسم المفعول، فهو حامد ومحمود على أكمل صيغة الحمد الدال عليها أحمد.

وإني أقول: إن كل من زعم أن في الأرض دينًا يقبله الله سوى دين الإسلام فإنه كافر لاشك في كفره، لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول في كتابه: **﴿ومن يبتـغ غير الإســلام دينـا فلن يُقبـل منـه وهـو في الآخـرة من الخاسرين﴾**[1] ويقول ـ عزّ وجلّ ـ: **﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾**[2]

وعلى هذا ـ وأكررها مرة ثالثة ـ على هذا القائل أن يتوب إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وأن يبين للناس جميعًا أن هؤلاء اليهود والنصارى كفار، لأن الحجة قد قامت عليهم وبَلَغتهم الرسالة ولكنهم كفروا عنادًا.

ولقد كان اليهود يوصفون بأنهم مغضوب عليهم لأنهم علموا الحق وخالفوه، وكان النصارى يوصفون بأنهم ضالون لأنهم أرادوا الحق فضلوا عنـه، أمـا الآن فقد علم الجميع الحق وعرفوه، ولكنهم خالفوه وبذلك استحقـوا جميعًـا أن يكـونـوا مغضـوبًـا عليهم، وإني أدعو هؤلاء اليهود والنصارى إلى أن يؤمنوا بالله ورسله جميعًا وأن يتبعوا محمدًا، صلى الله عليه وسلم، لأن هذا هو الذي أُمروا به في كتبهم كما قال الله ـ تعالى ـ:

---

(١). سورة آل عمران، الآية «٨٥».

(٢) سورة المائدة، الآية «٣».

أو أعانهم على فتحها، وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة فهو كافر».

وقال أيضًا في موضع آخر:

«من اعتقد أن زيارة أهل الذمة في كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد».

وهذا يؤيد ما ذكرناه في صدر الجواب، وهذا أمر لا إشكال فيه. والله المستعان.

٣٨٧ وسئل فضيلة الشيخ: عن وصف الكفار بالصدق والأمانة وحسن العمل؟

فأجاب بقوله: هذه الأخلاق إن صحت مع أن فيهم الكذب والغدر والخيانة والسطو أكثر مما يوجد في بعض البلاد الإسلامية وهذا معلوم، لكن إذا صحت هذه فإنها أخلاق يدعو إليها الإسلام، والمسلمون أولى أن يقوموا بها ليكسبوا بذلك حسن الأخلاق مع الأجر والثواب. أما الكفار فإنهم لا يقصدون بها إلا أمرًا ماديًّا فيصدقون في المعاملة لجلب الناس إليهم.

لكن المسلم إذا تخلق بمثل هذه الأمور فهو يريد بالإضافة إلى الأمر المادي أمرًا شرعيًّا وهو تحقيق الإيمان والثواب من الله ـ عزّ وجلّ ـ وهذا هو الفارق بين المسلم والكافر.

أما ما زُعِم من الصدق في دول الكفر شرقية كانت أم غربية فهذا إن صح فإنما هو نزر قليل من الخير في جانب كثير من الشرّ ولو لم يكن من ذلك إلا أنهم أنكروا حقَّ من حقُّه أعظم الحقوق وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿إن

الشرك لظلمٌ عظيم﴾[1]. فهؤلاء مهما عملوا من الخير فإنه نزر قليل مغمور في جانب سيئاتهم، وكفرهم، وظلمهم فلا خير فيهم.

٣٨٨ وسئل فضيلة الشيخ جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء: عن حكم السفر إلى بلاد الكفار؟ وحكم السفر للسياحة؟

فأجاب قائلاً: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجًا إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادا سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

---

(١) سورة لقمان، الآية «١٣».

وسئل أيضًا: عن حكم الإقامة في بلاد الكفار؟

فأجاب فضيلة الشيخ بقوله: الإقامة في بلاد الكفار خطر عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فُسّاقًا، وبعضهم رجع مرتدًّا عن دينه وكافرًا به وبسائر الأديان ـ والعياذ بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهويّ في تلك المهالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسيين:

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ وأن يكون مضمرًا لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدًا عن موالاتهم ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان قال الله ـ تعالى ـ: **﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**[1] الآية. وقال ـ تعالى ـ: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في**

(١) سورة المجادلة، الآية «٢٢».

أنفسهم نادمين﴾[1] وثبت في الصحيح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، «**أن من أحب قومًا فهو منهم، وأن المرء مع من أحب**».

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطرًا على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**من أحب قومًا فهو منهم**».

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغنى ص٤٥٧ جـ ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله ـ تعالى ـ: **﴿إن الذين توَفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾**[2]. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ا. هـ.

(١) سورة المائدة، الآيتان «٥١، ٥٢».

(٢) سورة النساء، الآية «٩٧».

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال، صلى الله عليه وسلم، «**بلغوا عني ولو آية**».

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحـذّر الناس من الاغترار بهم، ويبيّن للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضًا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسـدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون**﴾[1].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عينًا للمسلمين؛ ليعرف

---

(١) سورة الأنعام، الآية «١٠٨».

ما يدبروه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي، صلى الله عليه وسلم، حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرىء بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الاقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج

العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث «صغار السن» وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الـواقـع، فإن كثيراً من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحـرفـين في ديانتهم، وأخـلاقهم، وسلوكهم، وحصـل عليهم وعـلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقًّا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور «**اللهم أرني الحق حقًّا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبسا عليَّ فأضلّ**».

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلـك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلا ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكـون في تعلمـه مصلحـة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من

أجله لما في الإقـامـة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، «**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**». وهذا الحديث وإن كان ضعيف السنـد لكن له وجهـة من النـظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يارسول الله ولِمَ؟ قال لا تراءى نارهما**» رواه أبو داود والترمذي وأكثر الـرواة رووه مرسـلاً عن قيس بن أبي حازم عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال الـترمـذي سمعت محمدًا ـ يعني البخاري ـ يقول الصحيح حديث قيس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، مرسل. ا.هـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنـا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقًا للحق والصواب.

٣٨٩ وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم مخالطة الكفار ومعاملتهم بالرفق واللين طمعًا في إسلامهم؟

فأجاب قائلاً: لاشك أن المسلم يجب عليه أن يبغض أعداء الله ويتبرأ منهم لأن هذه هي طريقة الرسل وأتباعهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرَءاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾(١) وقال ـ تعالى ـ: ﴿**لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾(٢). وعلى هذا لا يحل لمسلم أن يقع في قلبه محبة ومودة لأعداء الله الذين هم أعداء له في الواقع. قال ـ تعالى ـ: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**﴾(٣).

أما كون المسلم يعاملهم بالرفق واللين طمعًا في إسلامهم وإيمانهم فهذا لا بأس به، لأنه من باب التأليف على الإسلام ولكن إذا يئس منهم عاملهم بما يستحقون أن يعاملهم به. وهذا مفصل في كتب أهل العلم ولاسيما كتاب «**أحكام أهل الذمة**» لابن القيم ـ رحمه الله ـ.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية «٤».

(٢) سورة المجادلة، الآية «٢٢».

(٣) سورة الممتحنة، الآية «١».

٣٩٠ سئل فضيلة الشيخ: عن رجل أسلم وأحب الإسلام وأهله ويبغض الشرك وأهله، وبقي في بلد يكره أهلها الإسلام ويحاربونه ويقاتلون المسلمين، ولكنه يشق عليه ترك الوطن فلم يهاجر، فما الحكم؟.

فأجاب بقوله: هذا الرجل يحرم عليه بقاؤه في هذا البلد ويجب عليه أن يهاجر فإن لم يفعل فليرتقب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا**﴾[1] فالواجب على هذا إذا كان قادرًا على الهجرة أن يهاجر إلى بلد الإسلام، وحينئذ سوف ينسلخ من قلبه محبة البلد التي هاجر منها وسوف يرغب في بلاد الإسلام، أما كونه لا يستطيع مفارقة بلد يحارب الإسلام وأهله لمجرد أنها وطنه الأول فهذا حرام ولا يجوز له البقاء فيها.

٣٩١ وسئل: عن حكم مخالطة المسلمين لغيرهم في أعيادهم؟

فأجاب قائلاً: مخالطة غير المسلمين في أعيادهم محرمة لما في ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وتعاونوا على البرِّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[2]. ولأن هذه الأعياد إن كانت

---

(١) سورة النساء، الآيتان «٩٧، ٩٨».

(٢) سورة المائدة، الآية «٢».

لمناسبات دينية فإن مشاركتهم فيها تقتضي إقرارهم على هذه الديانة والرضاء بما هم عليه من الكفر، وإذا كانت الأعياد لمناسبات غير دينية فإنه لو كانت هذه الأعياد في المسلمين ما أقيمت فكيف وهي في الكفار؟! لذلك قال أهل العلم إنه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا غير المسلمين في أعيادهم، لأن ذلك إقرارٌ ورضا بما هم عليه من الدين الباطل، ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان.

واختلف العلماء فيما إذا أهدى إليك أحد من غير المسلمين هدية بمناسبة أعيادهم هل يجوز لك قبولها أو لا يجوز؟

فمن العلماء من قال لا يجوز أن تقبل هديتهم في أعيادهم، لأن ذلك عنوان الرضاء بها. ومنهم من يقول لابأس به. وعلى كل حال إذا لم يكن في ذلك محظور شرعيّ وهو أن يعتقد المهدي إليك أنك راض بما هُم عليه فإنه لا بأس بالقبول وإلا فعدم القبول أولى. وهنا يحسن أن نذكر ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب أحكام أهل الذمة ١/٢٠٥ «وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب.. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك» ا. هـ.

[٣٩٢] وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم السلام على غير المسلمين؟

فأجابْ بقوله: البدء بالسلام على غير المسلمين محرم ولا يجوز لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**» ولكنهم إذا سلموا وجب علينا أن نرد عليهم لعموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا حُييتم بتحيّة فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ وكان اليهود يسلمون على النبي، صلى الله عليه وسلم، فيقولون: «**السام عليك يا محمد**» والسّام بمعنى الموت، يدعون على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالموت. فقال النبي، عليه الصلاة والسلام، «**إن اليهود يقولون السّام عليكم فإذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم**». فإذا سلم غير المسلم على المسلم وقال: «**السام عليكم**» فإننا نقول: «**وعليكم**». وفي قوله: ، صلى الله عليه وسلم، «**وعليكم**» دليل على أنهم إذا كانوا قد قالوا السلام عليكم فإن عليهم السلام فكما قالوا نقول لهم، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن اليهودي أو النصراني أو غيرهم من غير المسلمين إذا قالوا بلفظ صريح «السلام عليكم» جاز أن نقول: عليكم السلام.

ولا يجوز كذلك أن يُبدؤا بالتحية كأهلاً وسهلاً وما أشبهها لأن في ذلك إكرامًا لهم وتعظيمًا لهم، ولكن إذا قالوا لنا مثل هذا فإننا نقول لهم مثل ما يقولون، لأن الإسلام جاء بالعدل وإعطاء كل ذي حقّ حقه، ومن المعلوم أن المسلمين أعلى مكانة ومرتبة عند الله ـ عزّ وجلّ ـ فلا ينبغي أن يذلوا أنفسهم لغير المسلمين فيبدءوهم بالسلام.

إذن فنقول في خلاصة الجواب: لا يجوز أن يبدأ غير المسلمين بالسلام لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عن ذلك، ولأن في هذا إذلالاً للمسلم حيث يبدأ بتعظيم غير المسلم، والمسلم أعلى مرتبة عند

الله ـ عزّ وجلّ ـ فلا ينبغي أن يذل نفسه في هذا. أما إذا سلموا علينا فإننا نرد عليهم مثل ما سلموا.

وكذلك أيضا لا يجوز أن نبدأهم بالتحية مثل أهلاً وسهلاً ومرحبا وما أشبه ذلك لما في ذلك من تعظيمهم فهو كابتداء السلام عليهم.

٣٩٣ وسئل ـ حفظه الله تعالى ـ: عن حكم السلام على المسلم بهذه الصيغة «السلام على من اتبع الهدى»؟ وكيف يسلم الإنسان على أهل محل فيهم المسلم والكافر؟

فأجاب قائلاً: لا يجوز أن يسلم الإنسان على المسلم بقوله: **«السلام على من اتبع الهدى»** لأن هذه الصيغة إنما قالها الرسول، صلى الله عليه وسلم، حين كتب إلى غير المسلمين، وأخوك المسلم قل له السلام عليكم، أما أن تقول: «السلام على من اتبع الهدى» فمقتضى هذا أن أخاك هذا ليس ممن اتبع الهدى.

وإذا كانوا مسلمين ونصارى فإنه يسلم عليهم بالسلام المعتاد يقول السلام عليكم يقصد بذلك المسلمين.

٣٩٤ سئل فضيلة الشيخ أعلى الله درجته في دار كرامته: هل يجوز لنا أن نبدأ الكفار بالسلام؟ وكيف نرد عليهم إذا سلموا علينا؟

فأجاب بقوله: إن هؤلاء الذين يأتوننا من الشرق ومن الغرب ممن ليسوا مسلمين لا يحل لنا أن نبدأهم بالسلام؛ لأن النبي، صلى الله عليه

وسلم، قال: «**لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام**». رواه مسلم في صحيحه.

وإذا سلموا علينا فإننا نرد عليهم بمثل ما سلموا علينا به لقوله - تعالى -: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾[1] وسلامهم علينا بالتحية الإسلامية «**السلام عليكم**» لا يخلو من حالين:

الحال الأولى: أن يفصحوا باللام فيقولوا «السلام عليكم» فلنا أن نقول:
عليكم السلام، ولنا أن نقول: وعليكم.

الحال الثانية: إذا لم يفصحوا باللام مثل أن يقولوا «السام عليكم» فإننا نقول: «وعليكم» فقط، وذلك لأن اليهود كانوا يأتون إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيسلمون عليه بقولهم «السام عليكم» غير مفصحين باللام والسام هو الموت، يريدون الدعاء على النبي، صلى الله عليه وسلم، بالموت فأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، أن نقول لهم: «**وعليكم**» فإذا كانوا قالوا: «**السام عليكم**» فإننا نقول: «**وعليكم**» يعني أنتم أيضًا عليكم السام هذا هو ما دلت عليه السنة.

وأما أن نبدأهم نحن بالسلام فإن هذا قد نهانا عنه نبينا، صلى الله عليه وسلم، .

٣٩٥ سئل فضيلة الشيخ: إذا سلّم الكافر على المسلم فهل يردّ عليه؟ وإذا مدّ يده للمصافحة فما الحكم؟ وكذلك خدمته بإعطائه الشاي وهو على الكرسي؟.

(١) سورة النساء، الآية «٨٦».

فأجـاب فضيلتـه بقوله: إذا سلّم الكافر على المسلم سلامًا بينًا واضحًـا فقـال: السـلام عليكم، فإنك تقول: عليك السلام، لقوله - تعالى -: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾[1]. أما إذا لم يكن بينًـا واضحًا فإنك تقول: وعليك. وكذلك لو كان سلامه واضحًا يقول فيه السام عليكم يعني الموت فإنه يقال: وعليك.

فالأقسام ثلاثة:

الأول: أن يقول بلفظ صريح «السّام عليكم». فيجاب: «وعليكم».

الثاني: أن نشك هل قال: «السّام» أو قال: «السلام»، فيجاب: «وعليكم».

الثـالث: أن يقـول بلفظ صريح: «السـلام عليكم». فيجاب: «عليكم السلام». لقوله تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «فلو تحقّق السامع أن الذي قال له: سلام عليكم لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام أو يقتصر على قولـه وعليك؟ فالـذي تقتضيه الأدلة وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السـلام، فإن هذا من باب العـدل، والله تعـالى يأمـر بالعـدل والإحسان، وقد قال تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوهـا**﴾. فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئًا من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه، صلى الله عليه وسلم، إنما أمر بالاقتصار على قول الـراد، وعليكم على السبب المـذكور الذي كانوا يعتمدونه في

---

(١) سورة النساء، الآية «٨٦».

تحيتهم، ثم قال ابن القيم والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور لا فيما يخالفه. قال الله تعالى: ﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾[1]. فإذا زال هذا السبب، وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة الله فالعدل في التحية أن يرد عليه نظير سلامه. ا. هـ. ١/٢٠٠ أحكام أهل الذمة. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إذا سلم عليكم اليهود فإنّما يقول أحدهم السّام عليكم، فقولوا وعليك**». والسام هو الموت.

وإذا مدّ يده إليك للمصافحة فمد يدك إليه وإلا فلا تبدأه.

وأما خدمته بإعطائه الشاي وهو على الكرسي فمكروه، لكن ضع الفنجال على الماصة ولا حرج.

٣٩٦ سئل فضيلة الشيخ: ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» أليس في العمل بهذا تنفير عن الدخول في الإسلام؟.

فأجاب بقوله: يجب أن نعلم أن أسدّ الدعاة في الدعوة إلى الله هو النبي، صلى الله عليه وسلم، وأن أحسن المرشدين إلى الله هو النبي، صلى الله عليه وسلم، وإذا علمنا ذلك فإن أي فهم نفهمه من كلام الرسول،

(١) سورة المجادلة، الآية «٨».

صلى الله عليه وسلم، يكـون مجانبًـا للحكمـة يجب علينا أن نتهم هذا الفهم، وأن نعلم أن فهمنا لكلام النبي، صلى الله عليه وسلم، خطأ؛ لكن ليس معنى ذلك أن نقيس أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، بما ندركـه من عقولنا، وأفهامنا؛ لأن عقولنا وأفهامنا قاصرة، لكن هناك قواعد عامة في الشريعة يرجع إليها في المسائل الخاصة الفردية.

فالنبي، عليه الصلاة والسلام، يقول: «**لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**» والمعنى: لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم حتى يكون لهم السعة ويكون الضيق عليكم بل استمروا في اتجاهكم وسيركم، واجعلوا الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء، ومن المعلوم أن هدى النبي، صلى الله عليه وسلم، ليس إذا رأى الكافر ذهب يزحمه إلى الجدار حتى يرصه على الجدار ماكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يفعل هذا باليهود في المدينة ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار.

فالمعنى أنكم كما لا تبدءونهم بالسلام لا تفسحوا لهم فإذا لقوكم فلا تتفرقوا حتى يعبروا بل استمروا على ما أنتم عليه واجعلوا الضيق عليهم إن كان في الطريق ضيق؛ وليس في الحديث تنفير عن الإسلام بل فيه إظهار لعزة المسلم، وأنه لا يذل لأحد إلا لربه عزّ وجلّ.

١٩٧ سئل فضيلة الشيخ: شخص يعمل مع الكفار فبماذا تنصحونه؟.

فأجـاب بقـولـه: ننصح هذا الأخ الذي يعمل مع الكفار، أن يطلب عمـلاً ليس فيه أحـد من أعـداء الله ورسـولـه ممن يدينون بغير

الإسلام، فإذا تيسر فهذا هو الذي ينبغي، وإن لم يتيسر فلا حرج عليه لأنه في عمله وهم في عملهم، ولكن بشرط أن لا يكون في قلبه مودة لهم ومحبة وموالاة، وأن يلتزم ماجاء به الشرع فيما يتعلق بالسلام عليهم ورد السلام ونحو هذا، وكذلك أيضًا لا يُشيع جنائزهم، ولا يحضرها، ولا يشهد أعيادهم، ولا يهنئهم بها.

٣٩٨ سئل فضيلة الشيخ: كيف نستفيد مما عند الكفار دون الوقوع في المحظور؟ وهل للمصالح المرسلة دخل في ذلك؟.

فأجاب ـ رفع الله درجته ـ بقوله: الذي يفعله أعداء الله وأعداؤنا وهم الكفار ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات.

القسم الثاني: عادات.

القسم الثالث: صناعات وأعمال.

أما العبادات: فمن المعلوم أنه لا يجوز لأي مسلم أن يتشبه بهم في عباداتهم، ومن تشبه بهم في عباداتهم فإنه على خطر عظيم فقد يكون ذلك مؤديًا إلى كفره وخروجه من الإسلام.

وأما العادات: كاللباس وغيره فإنه يحرم أن يتشبه بهم لقول النبي، صلى الله عليه وسلم، «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

وأما الصناعات والحرف: التي فيها مصالح عامة فلا حرج أن نتعلم مما صنعوه ونستفيد منه، وليس هذا من باب التشبه، ولكنه من باب المشاركة في الأعمال النافعة التي لا يعد من قام بها متشبهًا بهم.

وأما قول السائل: «وهل للمصالح المرسلة دخل في ذلك؟».

فنقول: إن المصالح المرسلة لا ينبغي أن تجعل دليلاً مستقلاً، بل نقول هذه المصالح المرسلة إن تحققنا أنها مصلحة فقد شهد لها الشرع بالصحة والقبول وتكون من الشرع، وإن شهد لها بالبطلان فإنها ليست مصالح مرسلة ولو زعم فاعلها أنها مصالح مرسلة. وإن كان لا هذا ولا هذا فإنها ترجع إلى الأصل؛ إن كانت من العبادات فالأصل في العبادات الحظر، وإن كانت من غير العبادات فالأصل فيها الحل، وبذا يتبين أن المصالح المرسلة ليست دليلاً مستقلاً.

٣٩٩ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم استقدام العمال الكفار؟ وحكم تقديم الطعام لهم؟.

فأجاب ـ جزاه الله عنّا خير الجزاء ـ بقوله: المسلمون خير من الكافرين، لقول الله تعالى: ﴿**ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**﴾(1). ولكن لا بأس من استقدام غير المسلمين للحاجة.

وأما تقديم الطعام لهم فإن كان على سبيل الخدمة بأن يكون يخدمهم في بيتهم ونحوه فلا ينبغي، بل ذكر فقهاؤنا كراهة ذلك. وإن كان على غير هذا الوجه مثل أن تقدمه لهم من بيتك فلا حرج فيه لأن الحاجة داعية له.

٤٠٠ وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم استقدام غير المسلمين إلى الجزيرة العربية؟.

فأجاب فضيلته بقوله: استقدام غير المسلمين إلى الجزيرة العربية

---

(1) سورة البقرة، الآية «٢٢١».

أخشى أن يكون من المشاقّة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث صحّ عنه كما في صحيح البخاري أنه قال في مرض موته: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» وفي صحيح مسلم أنه قال: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا**».

لكن استقدامهم للحاجة إليهم بحيث لا نجد مسلمًا يقوم بتلك الحاجة جائز بشرط أن لا يمنحوا إقامة مطلقة.

وحيث قلنا جائز فإنه إن ترتب على استقدامهم مفاسد دينية في العقيدة أو الأخلاق صار حرامًا، لأن الجائز إذا ترتب عليه مفسدة صار محرَّمًا تحريم الوسائل كما هو معلوم. ومن المفاسد المترتبة على ذلك مايخشى من محبتهم والرضا بما هم عليه من الكفر، وذهاب الغيرة الدينية بمخالطتهم. وفي المسلمين ـ ولله الحمد ـ خير وكفاية، نسأل الله الهداية والتوفيق.

٤٠١ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم قول أخي لغير المسلم؟ وكذلك قول صديق ورفيق؟ وحكم الضحك إلى الكفار لطلب المودة؟.

فأجاب بقوله: أما قول: «يا أخي» لغير المسلم فهذا حرام، ولا يجوز إلا أن يكون أخًا له من النسب أو الرضاع، وذلك لأنه إذا انتفت أخوة النسب والرّضاع لم يبق إلا أخوة الدين، والكافر ليس أخًا للمؤمن في دينه، وتذكر قول نبي الله تعالى نوح: ﴿**رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك**﴾[1].

(١) سورة هود، الآيتان «٤٥، ٤٦».

وأما قول: «صديق رفيق» ونحوهما فإذا كانت كلمة عابرة يقصد بها نداء من جهل اسمه منهم فهذا لا بأس به، وإن قصد بها معناها توددًا وتقربًا منهم فقد قال الله ـ تعالى ـ: **﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**(١). فكل كلمات التلطف التي يقصد بها الموادّة لا يجوز للمؤمن أن يُخاطب بها أحدًا من الكفار.

وكذلك الضحك إليهم لطلب الموادّة بينهم لا يجوز كما علمت من الآية الكريمة.

٤٠٢ سئل فضيلة الشيخ: عن وصف الكافر بأنه أخ؟.

فأجاب بقوله: لا يحل للمسلم أن يصف الكافر ـ أيًّا كان نوع كفره سواء كان نصرانيًّا، أم يهوديًّا، أم مجوسيًّا، أم ملحدًا ـ لا يجوز له أن يصفه بالأخ أبدًا، فاحذر يا أخي مثل هذا التعبير. فإنه لا أخوّة بين المسلمين وبين الكفار أبدًا، الأخوّة هي الأخوّة الإيمانية كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**. وإذا كانت قرابة النسب تنتفي باختلاف الدين فكيف تثبت الأخوة مع اختلاف الدين وعدم القرابة؟ قال الله ـ عزّ وجلّ ـ عن نوح وابنه لما قال نوح، عليه الصلاة والسلام،: **﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾**.

فلا أخوّة بين المؤمن والكافر أبدًا، بل الواجب على المؤمن ألا يتخذ الكافر وليًّا كما قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم**

---

(١) سورة المجادلة، الآية «٢٢».

أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ .

فمن هم أعداء الله؟ أعداء الله هم الكافرون. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ .

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .

٤٠٣ سئل فضيلة الشيخ: إذا وجد الإنسان شخصاً غير مسلم في الطريق وطلب إيصاله فما الحكم؟ وهل يجوز الأكل مما مسته أيدي الكفار؟ .

فأجاب بقوله: إذا وجدت شخصًا غير مسلم في الطريق فلا حرج عليك أن تركبه لأن الله يقول: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾(١) .

أما الأكل مما مسته أيدي الكفار فجائز، لأن نجاسة الكافر نجاسة معنوية لا حسّية.

٤٠٤ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم تهنئة الكفّار بعيد الكريسمس؟ وكيف نردّ عليهم إذا هنئونا به؟ وهل يجوز الذّهاب إلى أماكن الحفلات التي يقيمونها بهذه المناسبة؟ وهل

(١) سورة الممتحنة، الآية «٨».

يأثم الإنسان إذا فعل شيئًا مما ذُكر بغير قصد؟ وإنما فعله إما مجاملة أو حياءً أو إحراجاً أو غير ذلك من الأسباب؟ وهل يجوز التشبه بهم في ذلك؟.

فأجاب فضيلته بقوله: تهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعيادهم الدينية حرام بالاتفاق، كما نقل ذلك ابن القيم - رحمه الله - في كتابه «أحكام أهل الذمة»، حيث قال: «وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرّمات وهو بمنزلة أن تهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثمًا عند الله، وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبدًا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرّض لمقت الله وسخطه». انتهى كلامه - رحمه الله -.

وإنما كانت تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية حرامًا وبهذه المثابة التي ذكرها ابن القيم لأن فيها إقرارًا لما هم عليه من شعائر الكفر، ورضى به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنيء بها غيره، لأن الله - تعالى - لا يرضى بذلك، كما قال الله - تعالى -: **﴿إن تكفروا فإنّ الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾**(١). وقال - تعالى -: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾**(٢). وتهنئتهم

(١) سورة الزمر، الآية «٢٧».

(٢) سورة المائدة، الآية «٣».

بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا .

وإذا هنئونا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك، لأنها ليست بأعياد لنا، ولأنها أعياد لا يرضاها الله ـ تعالى ـ، لأنها إما مبتدعة في دينهم، وإما مشروعة، لكن نسخت بدين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا، صلى الله عليه وسلم، إلى جميع الخلق، وقال فيه: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[1] .

وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام، لأن هذا أعظم من تهنئتهم بها لما في ذلك من مشاركتهم فيها .

وكذلك يحرم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة، أو تبادل الهدايا أو توزيع الحلوى، أو أطباق الطعام، أو تعطيل الأعمال ونحو ذلك، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم، : «**من تشبه بقوم فهو منهم**». قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم): «مشابهتهم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء». انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

ومن فعل شيئًا من ذلك فهو آثم سواء فعله مجاملة، أو توددًا، أو حياءً أو لغير ذلك من الأسباب، لأنه من المداهنة في دين الله، ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم .

والله المسئول أن يعز المسلمين بدينهم، ويرزقهم الثبات عليه، وينصرهم على أعدائهم، إنه قويّ عزيز.

---

(١) سورة آل عمران، الآية «٨٥».

٤٠٥ سئل فضيلة الشيخ ـ حفظه الله ـ: هل يجوز الذهاب إلى القس للتهنئة بسلامة الوصول والعودة؟.

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: لا يجوز الذهاب إلى أحد من الكفار عند قدومه للتهنئة بوصوله والسلام عليه لأنه ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام**».

وأما ذهاب النبي، صلى الله عليه وسلم، لليهودي الذي كان مريضًا فإن هذا اليهودي كان غلامًا يخدم النبي، صلى الله عليه وسلم، فلما مرض عاده النبي، صلى الله عليه وسلم، ليعرض عليه الإسلام فعرضه عليه فأسلم، فأين هذا الذي يعوده ليعرض عليه الإسلام من شخص زار قسًّا ليهنئه بسلامة الوصول ويرفع من معنويته؟! لا يمكن أن يقيس هذا على ذاك إلا جاهل أو صاحب هوى.

٤٠٦ وسئل فضيلة الشيخ: عن مقياس التشبه بالكفار؟.

فأجاب بقوله: مقياس التشبه أن يفعل المتشبه مايختص به المتشبه به، فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئًا من خصائصهم، أما ما انتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبهًا، فلا يكون حرامًا من أجل أنه تشبه، إلا أن يكون مُحرمًا من جهة أخرى. وهذا الذي قلناه هو مقتضى مدلول هذه الكلمة. وقد صرح بمثله صاحب الفتح حيث قال ص٢٧٢ ج١٠ «وقد كره بعض السلف لبس البرنس لأنه كان من لباس الرهبان، وقد سئل مالك عنه فقال: لا بأس به. قيل: فإنه من لبوس النصارى، قال كان يلبس ههنا». ا.هـ. قلت: لو استدل مالك بقول النبي، صلى الله عليه وسلم، حين سئل ما يلبس المحرم، فقال:

«لا يلبس القميص، ولا السراويل، ولا البرانس» الحديث لكان أولى.

وفي الفتح أيضًا ص٣٠٧ جـ١: وإن قلنا النهي عنها (أي عن المياثر الأرجوان) من أجل التشبه بالأعجام فهو لمصلحة دينية، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهم كفار، ثم لما لم يصر الآن يختص بشعارهم زال ذلك المعنى، فتزول الكراهة. والله أعلم. ا. هـ.

[٤٠٧] سئل فضيلة الشيخ: يدعي بعض الناس، أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بدينهم. وشبهتهم في ذلك، أن الغرب لما تخلوا عن جميع الديانات وتحرروا منها، وصلوا إلى ماوصلوا إليه من التقدم الحضاري، وربما أيدوا شبهتهم بما عند الغرب من الأمطار الكثيرة والزروع فما رأي فضيلتكم؟.

فأجاب بقوله: هذا الكلام لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان، أو مفقود الإيمان، جاهل بالتاريخ، غير عالم بأسباب النصر، فالأمة الإسلامية لما كانت متمسكة بدينها في صدر الإسلام كان لها العزة والتمكين، والقوة، والسيطرة في جميع نواحي الحياة، بل إن بعض الناس يقول: إن الغرب لم يستفيدوا ما استفادوه من العلوم إلا مانقلوه عن المسلمين في صدر الإسلام، ولكن الأمة الإسلامية تخلفت كثيرًا عن دينها، وابتدعت في دين الله ماليس منه، عقيدة، وقولاً، وفعلاً، وحصل بذلك التأخر الكبير، والتخلف الكبير، ونحن نعلم علم اليقين ونُشهد الله ـ عزّ وجلّ ـ إننا لو رجعنا إلى ماكان عليه أسلافنا في ديننا، لكانت لنا العزة، والكرامة، والظهور على جميع الناس. ولهذا لما حدَّث «أبوسفيان» «هرقل»

ملك الروم ـ والروم في ذلك الوقت تعتبر دولة عظمى بما عليه الرسول، عليه الصلاة والسلام، وأصحابه. قال: «إن كان ماتقول حقًّا فسيملك ماتحت قدمي هاتين». ولما خرج أبوسفيان وأصحابه من عند «هرقل»، قال: «لقد أمِرَ أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر».

وأما ما حصل في الدول الغربية الكافرة الملحدة من التقدم في الصناعات وغيرها، فإن ديننا لا يمنع منه، لو أننا التفتنا إليه، لكن مع الأسف ضيعنا هذا وهذا، ضيعنا ديننا، وضيعنا دنيانا، وإلا فإن الدين الإسلامي لا يعارض هذا التقدم، بل قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾[2]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعًا**﴾[3]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات**﴾[4]. إلى غير ذلك من الآيات التي تعلن إعلانًا ظاهرًا للإنسان أن يكتسب ويعمل وينتفع، لكن لا على حساب الدين، فهذه الأمم الكافرة هي كافرة من الأصل، دينها الذي كانت تدعيه دينٌ باطلٌ، فهو وإلحادها على حد سواء، لا فرق. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه**﴾[5]. وإن كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم بعض

(١) سورة الأنفال، الآية «٦٠».

(٢) سورة الملك، الآية «١٥».

(٣) سورة البقرة، الآية «٢٩».

(٤) سورة الرعد، الآية «٤».

(٥) سورة آل عمران، الآية «٨٥».

المزايا التي يخالفون غيرهم فيها، لكن بالنسبة للآخرة هم وغيرهم سواء، ولهذا أقسم النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه لا يسمع به من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يتبع ماجاء به، إلا كان من أصحاب النار، فهم من الأصل كافرون، سواء انتسبوا إلى اليهودية، أو النصرانية، أم لم ينتسبوا إليها.

وأما مايحصل لهم من الأمطار وغيرها فهم يصابون بهذا ابتلاء من الله ـ تعالى ـ وامتحانًا، وتعجل لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، كما قال النبي، عليه الصلاة والسلام، لعمر بن الخطاب، وقد رآه قد أثر في جنبه حصير، فبكى عمر. فقال: يارسول الله فارس والروم يعيشون فيما يعيشون فيه من النعيم، وأنت على هذه الحال. فقال: «**يا عمر هؤلاء قوم عُجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة**». ثم إنهم يأتيهم من القحط، والبلايا، والزلازل، والعواصف المدمرة ماهو معلوم، وينشر دائمًا في الإذاعات، وفي الصحف، وفي غيرها، ولكن من وقع السؤال عنه أعمى، أعمى الله بصيرته فلم يعرف الواقع، ولم يعرف حقيقة الأمر، ونصيحتي له أن يتوب إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ عن هذه التصورات قبل أن يفاجئه الموت، وأن يرجع إلى ربه، وأن يعلم أنه لا عزة لنا، ولا كرامة، ولا ظهور، ولا سيادة إلا إذا رجعنا إلى دين الإسلام، رجوعًا حقيقيًّا يصدقه القول والفعل، وأن يعلم أن ماعليه هؤلاء الكفار باطل ليس بحق، وأن مأواهم النار، كما أخبر الله بذلك في كتابه، وعلى لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، وأن هذا الإمداد الذي أمدهم الله به من النعم ماهو إلا ابتلاء وامتحان وتعجيل طيبات، حتى إذا هلكوا وفارقوا هذا النعيم إلى الجحيم ازدادت عليه الحسرة والألم والحزن، وهذا من

حكمة الله ـ عزّ وجلّ ـ بتنعيم هؤلاء، على أنهم كما قلت لم يسلموا من الكوارث التي تصيبهم من الزلازل، والقحط، والعواصف، والفيضانات وغيرها، فأسأل الله لهذا السائل الهداية والتوفيق، وأن يرده إلى الحق وأن يبصرنا جميعًا في ديننا إنه جواد كريم.

[٤٠٨] سئل فضيلة الشيخ: هل يمكن أن يصل المسلم في هذا العصر إلى ماوصل إليه الصحابة من الالتزام بدين الله؟.

فأجاب بقوله: أما الوصول إلى مرتبة الصحابة فهذا غير ممكن، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

وأما إصلاح الأمة الإسلامية حتى تنتقل عن هذا الوضع الذي هي عليه، فهذا ممكن، والله على كل شيء قدير، وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». ولا ريب أن الأمة الإسلامية في الوضع الحالي في وضع مزر، بعيدة عما يريده الله منها من الإجماع على دين الله والقوة في دين الله، لأن الله يقول: ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾[1]

[٤٠٩] سئل فضيلة الشيخ: هل يعتبر الشيعة في حكم الكفار؟ وهل ندعوا الله تعالى أن ينصر الكفار عليهم؟.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية «٥٢».

فأجاب بقوله: الكفر حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله فما دل الكتاب والسّنة على أنه كفر فهو كفر، وما دل الكتاب والسّنة على أنه ليس بكفر فليس بكفر، فليس على أحد بل ولا له أن يكفر أحدًا حتى يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره.

وإذا كان من المعلوم أنه لا يملك أحد أن يحلل ماحرم الله، أو يحرم ما أحل الله، أو يوجب مالم يوجبه الله تعالى إما في الكتاب أو السنة، فلا يملك أحد أن يكفر من لم يكفره الله إما في الكتاب وإما في السنة.

ولابد في التكفير من شروط أربعة:

الأول: ثبوت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو السنة.

الثاني: ثبوت قيامه بالمكلف.

الثالث: بلوغ الحجة.

الرابع: انتفاء مانع التكفير في حقه.

فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر؛ لأن ذلك من القول على الله بلا علم وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾[1] وقال: ﴿**ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾[2].

وإذا لم يثبت قيامه بالمكلف فإنه لا يحل أن يرمى به بمجرد الظن

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

(٢) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تقف ماليس لك به علم**﴾. الآية ولأنه يؤدي إلى استحلال دم المعصوم بلا حق.

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**أيما أمريء قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**». هذا لفظ مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه؛ إن لم يكن صاحبه كذلك**». أخرجه البخاري ولمسلم معناه.

وإذا لم تبلغه الحجة فإنه لا يحكم بكفره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**﴾[1]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾[2]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ـ إلى قوله ـ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا**﴾[3]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يعني أمة الدعوة ـ يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي**

(١) سورة الأنعام، الآية «١٩».

(٢) سورة غافر، الآية «٣٤».

(٣) سورة النساء، الآية «١٦٥».

(٤) سورة الإسراء، الآية «١٥».

أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» .

لكن إن كان من لم تبلغه الحجة لا يدين بدين الإسلام، فإنه لا يعامل في الدنيا معاملة المسلم، وأما في الآخرة فأصح الأقوال فيه أن أمره إلى الله ـ تعالى ـ.

وإذا تمت هذه الشروط الثلاثة أعني ثبوت أن هذا القول، أو الفعل أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسُنة، وأنه قام بالمكلف، وأن المكلف قد بلغته الحجة ولكن وجد مانع التكفير في حقه فإنه لا يكفر لوجود المانع.

فمن موانع التكفير:

الإكراه فإذا أكره على الكفر فكفر وكان قلبه مطمئنًا بالإيمان لم يحكم بكفره؛ لوجود المانع وهو الإكراه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**من كفر بالله من بعد إيـمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾[1] .

ومن موانع التكفير:

أن يغلق على المرء قصده فلا يدري مايقول لشدة فرح، أو حزن، أو خوف، أو غير ذلك لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾[2] .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه**

---

(١) سورة النحل، الآية «١٠٦».

(٢) سورة الأحزاب، الآية «٥».

وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ خطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

فهذا الرجل أخطأ من شدة الفرح خطأ يخرج به عن الإسلام لكن منع من خروجه منه أنه أغلق عليه قصده فلم يدر مايقول من شدة الفرح، فقد قصد الثناء على ربه لكنه من شدة الفرح أتى بكلمة لو قصدها لكفر.

فالواجب الحذر من إطلاق الكفر على طائفة أو شخص معين حتى يُعلم تحقق شروط التكفير في حقه وانتفاء موانعه.

إذا تبين ذلك فإن الشيعة فرق شتى ذكر السفاريني في شرح عقيدته أنهم اثنتان وعشرون فرقة، وعلى هذا يختلف الحكم فيهم بحسب بعدهم من السنة، فكل من كان عن السنة أبعد كان إلى الضلال أقرب.

ومن فرقهم الرافضة الذين تشيعوا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ تشيعًا مفرطًا في الغلو لا يرضاه علي بن أبي طالب ولا غيره من أئمة الهدى، كما جفوا غيره من الخلفاء جفاءً مفرطًا ولا سيما الخليفتان أبوبكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. فقد قالوا فيهما شيئًا لم يقله فيهما أحد من فرق الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ٣/٣٥٦ من مجموع ابن قاسم:

«وأصل قول الرافضة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نص على علي ـ يعني في الخلافة ـ نصًا قاطعًا للعذر، وأنه إمام معصوم، ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم، وبدلوا الدين، وغيروا الشريعة، وظلموا واعتدوا، بل

كفروا إلا نفرًا قليلاً إما بضعة عشر، أو أكثر، ثم يقولون إن أبابكر وعمر ونحوهما مازالا منافقين، وقد يقولون بل آمنوا ثم كفروا. وأكثرهم يكفر من خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين، ومن خالفهم كفارًا ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة والباطنية وأمثالهم». ا. هـ. وانظر قوله فيهم أيضًا في المجموع المذكور ٤/٤٢٨ - ٤٢٩.

وقال في كتابه القيِّم: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ص٩٥١ تحقيق الدكتور ناصر العقل:

«والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركاً فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد منهم، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطلونها من الجماعات والجمعات ويعمرون المشاهد التي على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها». ا. هـ.

وانظر ماكتبه محب الدين الخطيب في رسالته «الخطوط العريضة» فقد نقل عن كتاب «مفاتيح الجنان» من دعائهم ما نصه: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش، وجبتيهما، وطاغوتيهما، وابنتيهما» قال ويعنون بهما وبالجبت والطاغوت أبابكر وعمر، ويريدون بابنتيهما أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين حفصة رضي الله عن الجميع.

ومن قرأ التاريخ علم أن للرافضة يدًا في سقوط بغداد وانتهاء الخلافة الإسلامية فيها حيث سهلوا للتتار دخولها وقتل التتار من العامة والعلماء أممًا كثيرة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «منهاج

السنة» أنهم هم الذين سعوا في مجيء التتر إلى بغداد دار الخلافة حتى قتل الكفار ـ يعني التتر ـ من المسلمين مالا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم وقتلوا بجهات بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف ونيفًا وسبعين ألفًا وقتلوا الخليفة العباسي وسبوا النساء الهاشميات وصبيان الهاشميين. ا. هـ **٥٩٢/٤**. تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

ومن عقيدة الرافضة: «التقية» وهي أن يظهر خلاف مايبطن ولا شك أن هذا نوع من النفاق يغتر به من يغتر من الناس.

والمنافقون أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح ولهذا أنزل الله تعالى فيهم سورة كاملة كان من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يقرأ بها في صلاة الجمعة؛ لإعلان أحوال المنافقين والتحذير منهم في أكبر جمع أسبوعي وأكثره وقال فيها عن المنافقين ﴿**هم العدو فاحذرهم**﴾[1].

وأما قول السائل: هل يدعو المسلم الله أن ينصر الكفار عليهم؟.

فجوابه: أن الأولى والأجدر بالمؤمن أن يدعو الله تعالى أن يخذل الكافرين وينصر المؤمنين الصادقين الذين يقولون بقلوبهم وألسنتهم ماذكر الله عنه في قوله: ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم**﴾[2]. ويتولون أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معترفين لكل واحد بفضله، منزلين كل واحد منزلته من غير إفراط ولا تفريط، نسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المؤمنين على الحق وأن ينصرهم على من سواهم.

---

(١) سورة المنافقون، الآية «٤».

(٢) سورة الحشر، الآية «١٠».

410 سئل فضيلة الشيخ: يكره بعض الناس اسم «علي» و «الحسين» ونحوه وينفر منها، وذلك لتعظيم الرافضة لتلك الأسماء فما جوابكم حفظكم الله تعالى؟.

فأجاب بقوله: جوابي على هذا أن البدعة لا تقابل ببدعة، فإذا كان طائفة من أهل البدع يغلون في مثل هذه الأسماء، ويتبركون بها، فلا يجوز أن نقابلهم ببدعة فننفر من هذه الأسماء ونكرهها، بل نقول إن الأسماء لا تغير شيئًا عما كان عليه الإنسان، فكم من إنسان يسمى باسم طيب حسن، وهو- أعني المسمى به - من أسوأ الناس. كم من إنسان يسمى عبدالله وهو من أشد الناس استكبارًا، وكم من إنسان يسمى محمدًا، وهو من أعظم الناس ذمًّا، وكم من إنسان يسمى عليًّا وهو نازل سافل، فالمهم أن الاسم لا يغير شيئًا، لكن لا شك أن تحسين الاسم من الأمور المطلوبة، كما قال النبي، عليه الصلاة والسلام، : **«أحبّ الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام»**.

411 وسئل جزاه الله خيراً: عن مُدّرس يدرّس مذهب أبي حنيفة رحمه الله، ويعلّم تلاميذه الصوفية، والمدائح النبوية فاعترض عليه طالب من الطلبة فقيل إنه وهابيّ، والوهابية لا تُقر المدائح النبوية؟

فأجاب قائلاً: الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد..

فإن هذا السؤال سؤال عظيم اشتمل على مسائل في أصول الدين، ومسائل

تاريخية، ومسائل علمية.

أما المسائل العلمية: فإنه ذكر أنه يفقه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة، ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله أحد المذاهب الأربعة المتبوعة المشهورة، ولكن ليعلم أن هذه المذاهب الأربعة لا ينحصر الحقّ فيها بل الحقّ قد يكون في غيرها، فإن إجماعهم على حكم مسألة من المسائل ليس إجماعًا للأمة، والأئمة أنفسهم رحمهم الله ما جعلهم الله أئمة لعباده إلا حيث كانوا أهلاً للإمامة حيث عرفوا قدر أنفسهم، وعلموا أنه لا طاعة لهم إلا فيما كان موافقًا لطاعة النبي، صلى الله عليه وسلم، وكانوا يحذرون عن تقليدهم إلا فيما وافق السنة، ولاريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام أحمد، ومذهب الإمام الشافعي، ومذهب الإمام مالك وغيرهم من أهل العلم أنها قابلة لأن تكون خطأً وصوابًا، فإنّ كل أحد يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فإنه لا حرج عليه أن يفقّه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة، بشرط إذا تبين له الدليل بخلافه تبع الدليل وتركه، ووضح لطلبته أن هذا هو الحقّ وأن هذا هو الواجب عليهم.

أما فيما يتعلق بمسألة الصوفية وغنائهم ومديحهم وضربهم بالدفّ والتغبير التي يضربون الفراش ونحوه بالسوط فما كان أكثر غبارًا فهو أشدّ صدقًا في الطلب وما أشبه ذلك مما يفعلونه، فإن هذا من البدع المحرّمة التي يجب عليه أن يقلع عنها، وأن ينهى أصحابه عنها، وذلك لأن خير القـرون وهم القرن الذين بُعث فيهم النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يتعبدوا لله بهذا التعبد، ولأن هذا التعبد لا يورث القلب إنابة إلى الله ولا انكسـارًا لديه، ولا خشوعًا لديه، وإنما يورث انفعالات نفسية يتأثر بها

الإنسان من مثل هذا العمل، كالصراخ وعدم الانضباط والحركة الثائرة وما أشبه ذلك، وكل هذا يدل على أن هذا التعبد باطل وأنه ليس بنافع للعبد وهو دليل واقعي غير الدليل الأثري الذي قال فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»** فهذا التعبد من الضلال المبين الذي يجب على العبد أن يقلع عنه، وأن يتوب إلى الله، وأن يرجع إلى ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون، فإن هديهم أكمل هدي وطريقهم أحسن طريق قال الله تعالى:

﴿ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمينَ﴾(١).

ولا يكون العمل صالحًا إلا بأمرين:

الإخلاص لله، والموافقة لشريعته التي جاء بها رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما ما ذكره من مجادلة الطالب له، وقول بعضهم إنه رجل وهابي، وأن الوهابية لا يقرون المدائح النبوية وما إلى ذلك، فإننا نخبره وغيره بأن الوهابية ولله الحمد كانوا من أشدّ الناس تمسكًا بكتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، ومن أشدّ الناس تعظيمًا لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، واتباعًا لسنته ويدلّك على هذا أنهم كانوا حريصين دائمًا على اتباع سنة الرسول، صلى الله عليه وسلم، والتقيد بها وإنكار ما خالفها من عقيدة، أو عمل قولي أو فعلي.

---

(١) سورة فصلت، الآية «٣٣».

ويدّلـك على هذا أيضا أنهم جعلوا الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ركنًا من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها فهل بعد هذا من شكٍّ في تعظيمهم لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وهم أيضًا إنما قالوا بأنها ركن من أركان الصلاة لأن ذلك هو مقتضى الدليل عندهم فهم متبعون للدليل معظمون للرسول لا يغلون بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، في أمر لم يشرعه الله ورسوله ، ثم إن حقيقة الأمر أن إنكارهم للمدائح النبوية المشتملة على الغلوّ في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو التعـظيم الحقيقي لرسـول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو سلوك الأدب مع الله ورسوله حيث لم يقدموا بين يدي الله ورسوله ، فلم يغلوا لأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : «**أيهـا النـاس قُولُـوا بقـولكم أو بعض قولِكم ولا يستهوينَّكم الشيطان**» . ونهى عليه الصلاة والسلام عن الغلو فيه كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم قال، صلى الله عليه وسلم : «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**» .

والمهم أن طريق الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأتباعه وهو الإمام المجدد طريقه هو ما كان عليه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه لمن تتبعه بعلم وإنصاف . وأما من قال بجهل أو بظلم وجور فإنه لا يمكن أن يكون لأقواله منتهى ، فإن الجائر أو الجاهل يقول كل ما يمكنه أن يقول من حق وباطل ولا انضباط لقوله ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت ، ومن أراد أن يعرف الحق في هذا فليقرأ ما كتبه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأحفاده ، والعلماء من بعده حتى يتبين له الحق ، إذا كان منصفًا ومريدًا للحق .

ثم إن المـدائح النبوية المشتملة على الغُلوّ لاشك أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، لا يرضى بها بل إنما جاء بالنهي عنها والتحذير منها، فمن المدائح التي يحرصون عليها ويتغنون بها ما قاله الشاعر:

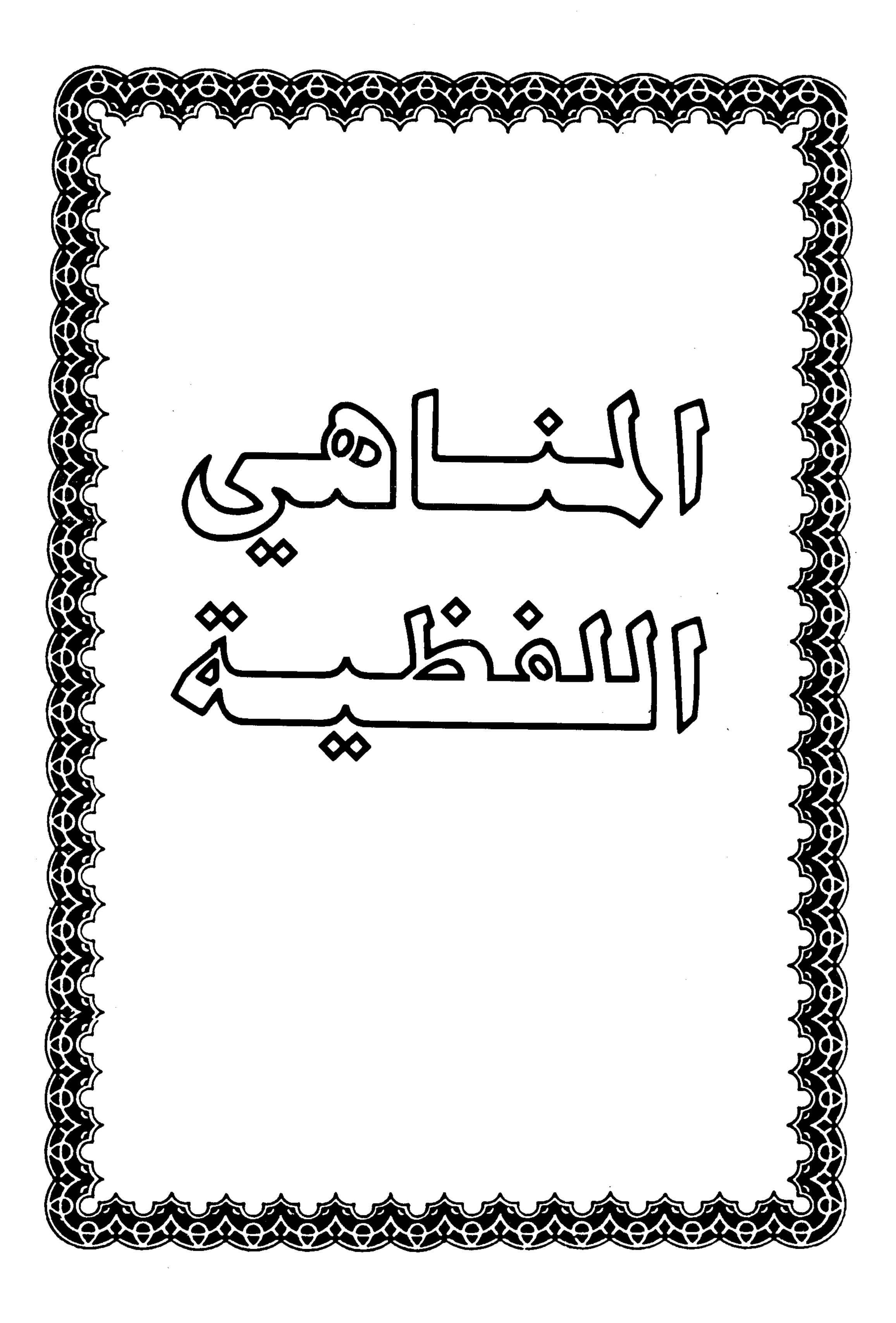
يا أكـرم الخـلق مالي مَنْ ألـوذ به ... سواك عنـد حلول الحـادث العـمـم
فإن من جـودك الـدنـيا وضرتهـا ... ومـن علومـك عِلْمُ اللّوح والـقـلم

وأشباه ذلك مما هو معلوم، ومثل هذا بلا شك كفر بالرسول، صلى الله عليه وسلم، وإشراك بالله عزّ وجلّ، فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بشر لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله عزّ وجلّ، والدنيا وضرتها وهي الآخرة ليست من جود رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بل هي من خلق الله عزّ وجلّ فهو الذي خلق الدنيا والآخرة وهو الذي جاد فيهما بما جاد على عباده سبحانه وتعالى، وكذلك علم اللوح والقلم ليس من علوم الرسول، صلى الله عليه وسلم، بل إن علم اللوح والقلم إلى الله عزّ وجلّ ولا يعلم منه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلا ما أطلعه الله عليه هذا هو حقيقـة الأمر، وهذا وأمثاله هي المدائح التي يتغنى بها هؤلاء الذين يدّعون أنهم معظمون لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن العجائب أن هؤلاء المغالين يدعون أنهم معظمون لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، تجدهم معظمين له كما زعموا في مثل هذه الأمور وهم في كثير من سننه فاترون معرضون والعياذ بالله.

فأنصح القائل وغيره بأن يعود إلى الله عزّ وجلّ وأن لا يطري رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما أطرى النصارى عيسى ابن مريم وأن يعلم أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بشر يمتاز عن غيره بالوحي الذي أوحاه الله إليه، وما خصه الله به من المناقب الحميدة، والأخلاق العالية،

ولكن ليس له من التصرف في الكـون شيء، وإنـما التصرف في الكون والذي يُدعى ويُرجى ويُؤلّه هو الله عزّ وجلّ وحده لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون.





المناهي اللفظية

[٤١٢] سئل فضيلة الشيخ: عما يقوله بعض الناس من أن تصحيح الألفاظ غير مهم مع سلامة القلب؟.

فأجاب بقوله: إن أراد بتصحيح الألفاظ إجراءها على اللغة العربية فهذا صحيح فإنه لا يهم ـ من جهة سلامة العقيدة ـ أن تكون الألفاظ غير جارية على اللغة العربية مادام المعنى مفهومًا وسليماً.

أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك فكلامه غير صحيح بل تصحيحها مهم، ولا يمكن أن نقول للإنسان أطلق لسانك في قول كل شيء مادامت النية صحيحة بل نقول الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية.

[٤١٣] سئل فضيلة الشيخ: عن هذه الأسماء وهي: أبرار ـ ملاك ـ إيمان ـ جبريل ـ جنى؟

فأجاب بقوله: لا يتسمى بأسماء أبرار، وملاك، وإيمان، وجبريل.

أما جنى فلا أدري معناها.

[٤١٤] وسئل فضيلته: عن صحة هذه العبارة «اجعل بينك وبين الله صلة، واجعل بينك وبين الرسول، صلى الله عليه وسلم، صلة»؟

فأجاب قائلاً: الذي يقول اجعل بينك وبين الله صلة أي بالتعبد له واجعل بينك وبين الرسول، صلى الله عليه وسلم، صلة أي باتباعه فهذا حق.

أما إذا أراد بقوله اجعل بينك وبين الرسول، صلى الله عليه وسلم، صلة أي اجعله هو ملجأك عند الشدائد ومستغاثك عند الكربات فإن هذا محرم بل هو شرك أكبر مخرج عن الملة.

٤١٥ سئل فضيلة الشيخ: عن هذا القول «أحبائي في رسول الله»؟

فأجاب فضيلته قائلاً: هذا القول وإن كان صاحبه فيما يظهر يريد معنىً صحيحًا، يعني: أجتمع أنا وإياكم في محبة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا التعبير خلاف ماجاءت به السّنة، فإن الحديث «من أحب في الله، **وأبغض في الله**»، فالذي ينبغي أن يقول: أحبائي في الله ـ عزّ وجلّ ـ ولأن هذا القول الذي يقوله فيه عدول عما كان يقوله السلف، ولأنه ربما يوجب الغلوّ في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والغفلة عن الله، والمعروف عن علمائنا وعن أهل الخير هو أن يقول: أحبّك في الله.

٤١٦ وسئل فضيلة الشيخ: إذا كتب الإنسان رسالة وقال فيها «إلى والدي العزيز» أو «إلى أخي الكريم» فهل في هذا شيء؟.

فأجاب بقوله: هذا ليس فيه شيء بل هو من الجائز قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص**

عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ولها عرش عظيم﴾[2]. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف». فهذا دليل على أن مثل هذه الأوصاف تصح لله ـ تعالى ـ ولغيره ولكن اتصاف الله بها لا يماثله شيء من اتصاف المخلوق بها، فإن صفات الخالق تليق به وصفات المخلوق تليق به.

وقول القائل لأبيه أو أمه أو صديقه «العزيز» يعني أنك عزيز عليَّ غالٍ عندي وما أشبه ذلك، ولا يقصد بها أبدًا الصفة التي تكون لله وهي العزة التي لا يقهره بها أحد، وإنما يريد أنك عزيز عليَّ وغالٍ عندي وما أشبه ذلك.

٤١٧ وسئل: عن عبارة «أدام الله أيامك»؟.

فأجاب بقوله: قول «أدام الله أيامك» من الاعتداء في الدعاء لأن دوام الأيام محال مناف لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[3]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾[4].

٤١٨ وسئل: ما رأي فضيلتكم في هذه الألفاظ: جلالة وصاحب الجلالة، وصاحب السُّمُو؟ وأرجو وآمل؟

(١) سورة التوبة، الآية «١٢٨».
(٢) سورة النمل، الآية «٢٣».
(٣) سورة الرحمن، الآيتان «٢٦ ـ ٢٧».
(٤) سورة الأنبياء، الآية «٣٤».

فأجـاب بقوله: لا بأس بها إذا كانت المقولة فيه أهلا لذلك، ولم يخش منه الترفع والإعجاب بالنفس، وكذلك أرجو وآمل.

419 **سئل فضيلة الشيخ: عن هذه الألفاظ: «أرجوك»، و «تحياتي»، و «أنعم صباحًا»، و «أنعم مساءً»؟.**

فأجاب قائلاً: لا بأس أن تقول لفلان «أرجوك» في شيء يستطيع أن يحقق رجاءك به.

وكذلك «تحياتي لك». و «لك مني التحية». وما أشبه ذلك لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا حييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾[1]. وكذلك: «أنعم صباحًا» و «أنعم مساءً» لا بأس به، ولكن بشرط ألا تتخذ بديلاً عن السلام الشرعي.

420 **وسئل فضيلة الشيخ: عمن يسأل بوجه الله فيقول أسألك بوجه الله كذا وكذا فما الحكم في هذا القول؟**

فأجاب قائلاً: وجه الله أعظم من أن يسأل به الإنسان شيئا من الدنيا ويجعل سؤاله بوجه الله ـ عزّ وجلّ ـ كالوسيلة التي يتوسل بها إلى حصول مقصوده من هذا الرجل الذي توسل إليه بذلك، فلا يُقْدِمَنّ أحد على مثل هذا السؤال، أي لا يقل وجه الله عليك أو أسألك بوجه الله أو ما أشبه ذلك.

---

(1) سورة النساء، الآية «86».

[٤٢١] وسئل الشيخ حفظه الله: ما رأيكم فيمن يقول «آمنت بالله، وتوكلت على الله، واعتصمت بالله، واستجرت برسول الله، صلى الله عليه وسلم»؟.

فأجاب بقوله: أما قول القائل «آمنت بالله، وتوكلت على الله واعتصمت بالله» فهذا ليس فيه بأس وهذه حال كل مؤمن أن يكون متوكلا على الله، مؤمنا به، معتصما به.

وأما قوله «واستجرت برسول الله، صلى الله عليه وسلم» فإنها كلمة منكرة والاستجارة بالنبي، صلى الله عليه وسلم، بعد موته لا تجوز، أما الاستجارة به في حياته في أمر يقدر عليه فهي جائزة قال الله ـ تعالى ـ: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسْمع كلام الله﴾**[1]. فالاستجارة بالرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد موته شرك أكبر وعلى من سمع أحدا يقول مثل هذا الكلام أن ينصحه، لأنه قد يكون سمعه من بعض الناس وهو لا يدري ما معناها وأنت «يا أخي» إذا أخبرته وبينت له أن هذا شرك فلعل الله أن ينفعه على يدك. والله الموفق.

[٤٢٢] سئل فضيلة الشيخ: ماحكم قول «أطال الله بقاءك» «طال عمرك»؟.

فأجاب قائلاً: لا ينبغي أن يطلق القول بطول البقاء؛ لأن طول البقاء قد يكون خيراً وقد يكون شرًّا، فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله، وعلى هذا فلو قال أطال الله بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك.

---

(١) سورة التوبة، الآية «٦».

[٤٢٣] سئل فضيلة الشيخ: عن قول أحد الخطباء في كلامه حول غزوة بدر: «التقى إله وشيطان». فقد قال بعض العلماء إن هذه العبارة كفر صريح، لأن ظاهر العبارة إثبات الحركة لله - عزّ وجلّ - نرجو من فضيلتكم توضيح ذلك؟.

فأجاب بقوله: لا شك أن هذه العبارة لا تنبغي، وإن كان قائلها قد أراد التجوز فإن التجوز إنما يسوغ إذا لم يوهم معنى فاسدًا لا يليق به. والمعنى الذي لا يليق هنا أن يجعل الشيطان قبيلاً لله - تعالى -، وندًّا له، وقرنًا يواجهه، كما يواجه المرء قرنه، وهذا حرام، ولا يجوز.

ولو أراد الناطق به تنقص الله - تعالى - وتنزيله إلى هذا الحد لكان كافرًا، ولكنه حيث لم يرد ذلك نقول له: هذا التعبير حرام، ثم إن تعبيره به ظانًّا أنه جائز بالتأويل الذي قصده فإنه لا يأثم بذلك لجهله، ولكن عليه ألا يعود لمثل ذلك.

وأما قول بعض العلماء الذي نقلت: «إن هذه العبارة كفر صريح» فليس بجيد على إطلاقه، وقد علمت التفصيل فيه.

وأما تعليل القائل لحكمه بكفر هذا الخطيب أن ظاهر عبارته إثبات الحركة لله - عزّ وجلّ -، فهذا التعليل يقتضي امتناع الحركة لله، وأن إثباتها كفر، وفيه نظر ظاهر، فقد أثبت الله - تعالى - لنفسه في كتابه أنه يفعل، وأنه يجيء يوم القيامة، وأنه استوى على العرش، أي علا عليه علوًّا يليق بجلاله، وأثبت نبيه، صلى الله عليه وسلم، أنه ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ واتفق أهل السنة على القول بمقتضى ما دلّ عليه الكتاب والسنة من ذلك غير خائضين فيه، ولا مُحرّفين

للكلم عن مواضعه، ولا معطلين له عن دلائله. وهذه النصوص في إثبات الفعل، والمجيء، والاستواء، والنزول إلى السماء الدنيا إن كانت تستلزم الحركة لله فالحركة له حق ثابت بمقتضى هذه النصوص ولازمها، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة، ولهذا أجاب الإمام مالك من سأله عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1]. كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». وإن كانت هذه النصوص لا تستلزم الحركة لله ـ تعالى ـ لم يكن لنا إثبات الحركة له بهذه النصوص، وليس لنا أيضًا أن ننفيها عنه بمقتضى استبعاد عقولنا لها، أو توهمنا أنها تستلزم إثبات النّقص، وذلك أن صفات الله ـ تعالى ـ توقيفية، يتوقف إثباتها ونفيها على ماجاء به الكتاب والسنة، لامتناع القياس في حقه ـ تعالى ـ، فإنه لا مثل له ولا ند، وليس في الكتاب والسنة إثبات لفظ الحركة أو نفيه، فالقول بإثبات لفظه أو نفيه قول على الله بلا علم. وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قل إنّما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾[2]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾[3]. فإذا كان مقتضى النصوص السكوت عن إثبات الحركة لله ـ تعالى ـ أو نفيها عنه، فكيف نكفر من تكلم بكلام يثبت ظاهره ـ حسب زعم هذا العالم ـ التحرك لله ـ تعالى ـ؟! وتكفير المسلم ليس بالأمر

(١) سورة طه، الآية «٥».

(٢) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

(٣) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

الهينّ، فإن من دعا رجلاً بالكفر فقد باء بها أحدهما، فإن كان المدعو كافرًا باء بها، وإلا باء بها الداعي.

وقد تكلَّم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كثير من رسائله في الصفات على مسألة الحركة، وبين أقوال الناس فيها، وماهو الحق من ذلك، وأن من الناس من جزم بإثباتها، ومنهم من توقف، ومنهم من جزم بنفيها.

والصواب في ذلك: أن مادلّ عليه الكتاب والسنة من أفعال الله ـ تعالى ـ، ولوازمها فهو حق ثابت يجب الإيمان به، وليس فيه نقص ولا مشابهة للخلق، فعليك بهذا الأصل فإنه يفيدك، وأعرض عما كان عليه أهل الكلام من الأقيسة الفاسدة التي يحاولون صرف نصوص الكتاب والسنة إليها ليحرفوا بها الكلم عن مواضعه، سواء عن نية صالحة أو سيئة.

[٤٢٤] وسئل فضيلته: يستعمل بعض الناس عند أداء التحية عبارات عديدة منها: «مساك الله بالخير». و «الله بالخير». و «صبحك الله بالخير». بدلاً من لفظة التحية الواردة، وهل يجوز البدء بالسلام بلفظ: «عليك السلام»؟.

فأجاب قائلاً: السلام الوارد هو أن يقول الإنسان: «السلام عليك»، أو «سلام عليك»، ثم يقول بعد ذلك ماشاء من أنواع التحيات، وأما «مسّاك الله بالخير». و «صبحك الله بالخير»، أو «الله بالخير». وما أشبه ذلك فهذه تقال بعد السلام المشروع. وأما تبديل السلام المشروع بهذا فهو خطأ.

وأما البداءة بالسلام بلفظ: «عليك السلام» فهو خلاف المشروع؛ لأن هذا اللفظ للردّ لا للبداءة.

٤٢٥ وسئل: عن هذه الكلمة «الله غير مادي»؟.

فأجاب: القول بأن الله غير مادي قول منكر؛ لأن الخوض في مثل هذا بدعة منكرة، فالله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء، وهو الأول الخالق لكل شيء وهذا شبيه بسؤال المشركين للنبي، عليه الصلاة والسلام، هل الله من ذهب أو من فضة أو من كذا وكذا؟ وكل هذا حرام لا يجوز السؤال عنه وجوابه في كتاب الله: ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**﴾. فكف عن هذا، مالك ولهذا السؤال.

٤٢٦ سئل فضيلته: عن قول بعض الناس إذا انتقم الله من الظالم «الله مايضرب بعصى»؟.

فأجاب بقوله: لا يجوز أن يقول الإنسان مثل هذا التعبير بالنسبة لله ـ عزّ وجلّ ـ، ولكن له أن يقول: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ، حكم لا يظلم أحدًا، وأنه ينتقم من الظالم، وما أشبه هذه الكلمات التي جاءت بها النصوص الشرعية، أما الكلمة التي أشار إليها السائل فلا أرى أنها جائزة.

٤٢٧ سئل فضيلة الشيخ: كثيراً مانرى على الجدران كتابة لفظ الجلالة «الله»، وبجانبها لفظة محمد، صلى الله عليه وسلم، أو نجد ذلك على الرقاع، أو على الكتب، أو على بعض المصاحف، فهل موضعها هذا صحيح؟.

فأجاب قائلاً: موضعها ليس بصحيح لأن هذا يجعل النبي، صلى الله عليه وسلم، ندًّا لله مساويًا له، ولو أن أحدًا رأى هذه الكتابة وهو لا يدري من المسمى بهما لأيقن يقينًا أنهما متساويان متماثلان، فيجب إزالة اسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويبقى النظر في كتابة: «الله» وحدها، فإنها كلمة يقولها الصوفية، ويجعلونها بدلاً عن الذكر، يقولون: «الله الله الله»، وعلى هذا فتلغى أيضًا، فلا يكتب «الله»، ولا «محمد» على الجدران، ولا في الرّقاع ولا في غيره.

٤٢٨ سئل فضيلة الشيخ: كيف نجمع بين قول الصحابة «الله ورسوله أعلم» بالعطف بالواو وإقرارهم على ذلك وإنكاره، صلى الله عليه وسلم، على من قال «ما شاء الله وشئت»؟

فأجاب بقوله: قوله «الله ورسوله أعلم» جائز. وذلك لأن علم الرسول من علم الله، فالله - تعالى - هو الذي يعلمه مالا يدركه البشر ولهذا أتى بالواو.

وكذلك في المسائل الشرعية يقال: «الله ورسوله أعلم» لأنه، صلى الله عليه وسلم، أعلم الخلق بشريعة الله، وعلمه بها من علم الله الذي علمه كما قال الله - تعالى -: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم**﴾(١). وليس هذا كقوله «ما شاء الله وشئت» لأن هذا في باب القدرة والمشيئة، ولا يمكن أن يجعل الرسول، صلى الله عليه وسلم، مشاركاً لله فيها.

(١) سورة النساء، الآية «١١٣».

ففي الأمور الشرعية يقال «الله ورسوله أعلم» وفي الأمور الكونية لا يقال ذلك.

ومن هنا نعرف خطأ وجهل من يكتب الآن على بعض الأعمال ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾[1]. لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا يرى العمل بعد موته.

٤٢٩ سئل فضيلة الشيخ: عن هذه العبارة «أعطني الله لا يهينك»؟.

فأجاب فضيلته بقوله: هذه العبارة صحيحة، والله - سبحانه وتعالى - قد يهين العبد ويذله، وقد قال الله - تعالى - في عذاب الكفار: إنهم يجزون عذاب الهون بما كانوا يستكبرون في الأرض، فأذاقهم الله الهوان والذلّ بكبريائهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق. وقال: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾[2] والإنسان إذا أمرك فقد تشعر بأن هذا إذلال وهوان لك فيقول: «الله لا يهينك».

٤٣٠ وسئل فضيلة الشيخ: عن هذه العبارة «الله يسأل عن حالك»؟.

فأجاب بقوله: هذه العبارة: «الله يسأل عن حالك»، لا تجوز لأنها توهم أن الله - تعالى - يجهل الأمر فيحتاج إلى أن يسأل، وهذا من المعلوم

(١) سورة التوبة، الآية «١٠٥».

(٢) سورة الحج، الآية «١٨».

أنه أمر منكر عظيم، والقائل لايريد هذا في الواقع لا يريد أن الله يخفى عليه شيء، ويحتاج إلى سؤال، لكن هذه العبارة قد تفيد هذا المعنى، أو توهم هذا المعنى، فالواجب العدول عنها، واستبدالها بأن تقول: «اسأل الله أن يحتفي بك»، و «أن يلطف بك»، وما أشبهها.

٤٣١ وسئل: هل يجوز للإنسان أن يقسم على الله؟

فأجاب بقوله: الإقسام على الله أن يقول الإنسان والله لا يكون كذا وكذا، أو والله لا يفعل الله كذا وكذا والإقسام على الله نوعان:

أحدهما: أن يكون الحامل عليه قوة ثقة المقسم بالله ـ عزّ وجلّ ـ وقوة إيمانه به مع اعترافه بضعفه وعدم إلزامه الله بشيء فهذا جائز ودليله قوله، صلى الله عليه وسلم: «**رُب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» ودليل آخر واقعي وهو حديث أنس بن النضر حينما كسرت أخته الرُّبيع سِنًّا لجارية من الأنصار، فطالب أهلها بالقصاص فطلبوا إليهم العفو فأبوا، فعرضوا الأرْشَ فأبوا، فأتوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا القصاص، فأمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالقصاص فقال أنس بن النضر أتكسر ثَنِيَّة الرُّبيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**يا أنس كتاب الله القصاص**» فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**» وهو ـ رضي الله عنه ـ لم يقسم اعتراضا على الحكم وإباء لتنفيذه فجعل الله الرحمة في قلوب أولياء المرأة التي كسرت سنها فعفوا عفوا مُطْلقا، عند ذلك قال الرسول، صلى الله عليه

وسلم: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**» فهذا النوع من الإقسام لا بأس به.

النـوع الثاني: من الإقسام على الله: ماكان الحامل عليه الغرور والإعجـاب بالنفس وأنه يستحق على الله كذا وكذا، فهذا والعياذ بالله محرم، وقد يكون محبطا للعمل، ودليل ذلك أن رجلا كان عابدًا وكان يمر بشخص عاص لله، وكلما مرّ به نهاه فلم ينته، فقال ذات يوم والله لا يغفر الله لفلان - نسأل الله العافية - فهذا تحجر رحمة الله؛ لأنه مغرور بنفسه فقال الله - عزّ وجلّ - «**من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان قد غفرت له وأحبطت عملك**» قال أبوهريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته». ومن هذا نأخذ أن من أضر ما يكون على الإنسان اللسان كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه -: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**»، قلت: بلى يا رسـول الله، فأخـذ النبي، صلى الله عليه وسلم، بلسـانه فقال: كف عليك هذا، فقال: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟، فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النّار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم**». والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

٤٣٢ وسئل فضيلة الشيخ: عن التسمي بالإمام؟

فأجـاب قائـلاً: التسمي بالإمـام أهون بكثير من التسمي بشيخ الإسلام لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، سمى إمام المسجد إمامًا ولو لم يكن معه إلا واحد، لكن ينبغي أن لا يتسامح في إطلاق كلمة «إمام» إلا على من كان قدوة وله أتباع كالإمام أحمد وغيره ممن له أثر في الإسلام،

ووصف الإنسان بها لا يستحقه هضم للأمة، لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام وهذا إمام ممن لم يبلغ منزلة الإمامة هان الإمام الحق في عينه.

٤٣٣ سئل فضيلة الشيخ: عن إطلاق بعض الأزواج على زوجاتهم وصف أم المؤمنين؟

فأجاب فضيلته بقوله: هذا حرام، ولا يحل لأحد أن يسمي زوجته أم المؤمنين، لأن مقتضاه أن يكون هو نبي، لأن الذي يوصف بأمهات المؤمنين هنَّ زوجات النبي، عليه الصلاة والسلام، وهل هو يريد أن يتبوأ مكان النبوة وأن يدعو نفسه بعد بالنبي؟ بل الواجب على الإنسان أن يتجنب مثل هذه الكلمات، وأن يستغفر الله ـ تعالى ـ مما جرى منه.

٤٣٤ سئل فضيلة الشيخ: ما حكم قول «ياعبدي» و «يا أمتي»؟

فأجاب: قول القائل: «ياعبدي»، «يا أمتي»، ونحوه له صورتان:

الصورة الأولى: إن يقع بصيغة النداء مثل: يا عبدي، يا أمتي؛ فهذا لا يجوز للنهي عنه في قوله، صلى الله عليه وسلم، «**لا يقل أحدكم عبدي وأمتي**».

الصورة الثانية: أن يكون بصيغة الخبر وهذا على قسمين:

القسم الأول: إن قاله بغيبة العبد، أو الأمة فلا بأس فيه.

القسم الثاني: إن قاله في حضرة العبد أو الأمة، فإن ترتب عليه

مفسدة تتعلق بالعبد أو السيد منع وإلا فلا، لأن القائل بذلك لا يقصد العبودية التي هي الذل، وإنما يقصد أنه مملوك له وإلى هذا التفصيل الذي ذكرناه أشار في (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) في باب لا يقول عبدي وأمتي. وذكره صاحب فتح الباري عن مالك.

٤٣٥ وسئل فضيلة الشيخ: عن قول الإنسان: «أنا حرّ»؟.

فأجاب بقوله: إذا قال ذلك رجل حر وأراد أنه حر من رق الخلق، فنعم هو حر من رق الخلق، وأما إن أراد أنه حر من رق العبودية لله ـ عزّ وجلّ ـ فقد أساء في فهم العبودية، ولم يعرف معنى الحرية، لأن العبودية لغير الله هي الرقّ، أما عبودية المرء لربه ـ عزّ وجلّ ـ فهي الحرية، فإنه إن لم يذل لله ذل لغير الله، فيكون هنا خادعًا نفسه إذا قال: إنه حر يعني إنه متجرد من طاعة الله، ولن يقوم بها.

٤٣٦ سئل فضيلة الشيخ: عن قول العاصي عند الإنكار عليه «أنا حرّ في تصرفاتي»؟

فأجاب بقوله: هذا خطأ، نقول: لست حرًّا في معصية الله، بل إنك إذا عصيت ربك فقد خرجت من الرّق الذي تدعيه في عبودية الله إلى رق الشيطان والهوى.

٤٣٧ سئل فضيلة الشيخ عن قول الإنسان: «إن الله على ما يشاء قدير» عند ختم الدعاء ونحوه؟

فأجاب بقوله: هذا لا ينبغي لوجوه:

الأول: أن الله ـ تعالى ـ إذا ذكر وصف نفسه بالقدرة لم يقيد ذلك بالمشيئة في قوله ـ تعالى ـ: **﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾**[1] وقوله: **﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾**[2] وقوله **﴿ألم تعلم أن الله له ملك السمٰوات والأرض﴾**[3] فعمم في القدرة كما عمم في الملك وقوله **﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾**[4] فعمم في الملك والقدرة، وخص الخلق بالمشيئة لأن الخلق فعل، والفعل لا يكون إلا بالمشيئة، أما القدرة فصفة أزلية أبدية شاملة لما شاء وما لم يشأه، لكن ما شاءه سبحانه وقع وما لم يشأه لم يقع والآيات في ذلك كثيرة.

الثاني: أن تقييد القدرة بالمشيئة خلاف ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأتباعه فقد قال الله عنهم: **﴿يومَ لا يُخْزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾**[5] ولم يقولوا «إنك على ما تشاء قدير»، وخير الطريق طريق الأنبياء وأتباعهم فإنهم أهدى علما وأقوم عملا.

الثالث: أن تقييد القدرة بالمشيئة يوهم اختصاصها بما يشاؤه الله ـ

(١) سورة البقرة، الآية «٢٠».
(٢) سورة البقرة، الآية «١٠٦».
(٣) سورة البقرة، الآية «١٠٧».
(٤) سورة المائدة، الآية «١٧».
(٥) سورة التحريم، الآية «٨».

تعالى ـ فقط، لاسيما وأن ذلك التقييد يؤتى به في الغالب سابقا حيث يقال: «**على ما يشاء قدير**» وتقديم المعمول يفيد الحصر كما يعلم ذلك في تقرير علماء البلاغة وشواهده من الكتاب والسنة واللغة، وإذا خصت قدرة الله ـ تعالى ـ بما يشاؤه كان ذلك نقصا في مدلولها وقصرا لها عن عمومها فتكون قدرة الله ـ تعالى ـ ناقصة حيث انحصرت فيما يشاؤه، وهو خلاف الواقع فإن قدرة الله ـ تعالى ـ عامة فيما يشاؤه وما لم يشأه، لكن ما شاءه فلابد من وقوعه، وما لم يشأه فلا يمكن وقوعه.

فإذا تبين أن وصف الله ـ تعالى ـ بالقدرة لا يُقيد بالمشيئة بل يطلق كما أطلقه الله ـ تعالى ـ لنفسه فإن ذلك لا يعارضه قول الله ـ تعالى: ﴿**وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**﴾[1] فإن المقيد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة، والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة ولذلك قيد بها فمعنى الآية أن الله تعالى قادر على جمعهم متى شاء وليس بعاجز عنه كما يدعيه من ينكره ويقيده بالمشيئة رد لقول المشركين الذين قال الله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حُجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[2] فلما طلبوا الإتيان بآبائهم تحدّيًا وإنكارا لما يجب الإيمان به من البعث، بين الله ـ تعالى ـ أن ذلك الجمع الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته ولا يوجب وقوعه تحدي هؤلاء وإنكارهم كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله**

---

(١) الشورى، الآية «٢٩».

(٢) سورة الجاثية، الآيتان «٢٥ ـ ٢٦».

والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾[1] والحاصل أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**﴾. لا يعارض ما قررناه من قبل لأن القيد بالمشيئة ليس عائدًا إلى القدرة وإنما يعود إلى الجمع.

وكذلك لا يعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب «الإيمان» في «باب آخر أهل النار خروجا» من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**آخر من يدخل الجنة رجل**» فذكر الحديث وفيه أن الله ـ تعالى ـ قال للرجل: «**إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قادر**» وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذكرت لتقرير أمر واقع والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله ـ تعالى ـ أزلا وأبدا، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل «قادر» دون الصفة المشبهة «قدير» وعلى هذا فإذا وقع أمر عظيم يستغربه المرء أو يستبعده فقيل له في تقريره إن الله على ما يشاء قادر فلا حرج في ذلك، ومازال الناس يعبرون بمثل هذا في مثل ذلك، فإذا وقع أمر عظيم يستغرب أو يستبعد قالوا قادر على ما يشاء، فيجب أن يعرف الفرق بين ذكر القدرة على أنها صفة لله ـ تعالى ـ فلا تقيد بالمشيئة، وبين ذكرها لتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة، والقدرة هنا ذكرت لإثبات ذلك الواقع وتقرير وقوعه، والله ـ سبحانه ـ أعلم.

---

(١) سورة التغابن، الآيتات «٧ ـ ٩».

٤٣٨ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم قول الإنسان «أنا مؤمن إن شاء الله»؟

فأجاب بقوله: قول القائل «أنا مؤمن إن شاء الله» يسمى عند العلماء (مسألة الاستثناء في الإيمان). وفيه تفصيل:

أولاً: إن كان الاستثناء صادراً عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم بل كفر؛ لأن الإيمان جزم والشك ينافيه.

ثانياً: إن كان صادراً عن خوف تزكيه النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً، فهذا واجب خوفاً من هذا المحذور.

ثالثاً: إن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة، أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله، فهذا جائز والتعليق على هذا الوجه ـ أعني بيان التعليل ـ لا ينافي تحقق المعلق فإنه قد ورد التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون**﴾[1] والدعاء في زيارة القبور «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الإستثناء في الإيمان بل لابد من التفصيل السابق.

٤٣٩ سئل فضيلة الشيخ: عن قول «فلان المرحوم». و «تغمده الله برحمته» و «انتقل إلى رحمة الله»؟.

فأجاب بقوله: قول «فلان المرحوم»، أو «تغمده الله برحمته» لا

(١) سورة الفتح، الآية «٢٧».

بأس بها، لأن قولهم «المرحوم» من باب التفاؤل والرجاء، وليس من باب الخبر، وإذا كان من باب التفاؤل والرجاء فلا بأس به.

وأما «انتقل إلى رحمة الله» فهو كذلك فيما يظهر لي أنه من باب التفاؤل، وليس من باب الخبر، لأن مثل هذا من أمور الغيب ولا يمكن الجزم به، وكذلك لا يقال «انتقل إلى الرفيق الأعلى».

٤٤٠ سئل فضيلة الشيخ: عن عبارة «لكم تحياتنا» وعبارة «أهدي لكم تحياتي»؟

فأجاب قائلاً: عبارة «لكم تحياتنا، وأهدي لكم تحياتي» ونحوهما من العبارات لا بأس بها قال الله ـ تعالى ـ: **﴿وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو رُدّوها﴾**(١). فالتحية من شخص لآخر جائزة، وأما التحيات المطلقة العامة فهي لله، كما أن الحمد لله، والشكر لله، ومع هذا فيصح أن نقول حمدت فلانا على كذا، وشكرته على كذا قال الله ـ تعالى ـ: **﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾**(٢).

٤٤١ وسئل فضيلة الشيخ: يقول بعض الناس: «أوجد الله كذا»، فما مدى صحتها؟ وما الفرق بينها وبين: «خلق الله كذا» أو «صور الله كذا»؟

فأجاب بقوله: أوجد وخلق ليس بينهما فرق، فلو قال: أوجد الله

---

(١) سورة النساء، الآية «٨٦».

(٢) سورة لقمان، الآية «١٤».

كذا كانت بمعنى خلق الله كذا، وأما صوّر فتختلف لأن التصوير عائد إلى الكيفية لا إلى الإيجاد.

٤٤٢ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم التسمي بإيمان؟.

فأجاب بقوله: الذي أرى أن اسم إيمان فيه تزكية وقد صح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه غير اسم «برة» خوفا من التزكية ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن زينب كان اسمها برة فقيل تزكى نفسها فسماها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، زينب **١٠/٥٧٥** فتح، وفي صحيح مسلم **١٦٨٧/٣** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت جويرية اسمها برة فحول النبي، صلى الله عليه وسلم، اسمها جويرية وكان يكره أن يقال خرج من عند برة، وفيه أيضا ص **١٦٨٨** عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نهى عن هذا الاسم وسُمِّيت برة فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم**» فقالوا: بم نسميها؟ قال: «**سموها زينب**» فبين النبي، صلى الله عليه وسلم، وجه الكراهة للاسم الذي فيه التزكية وأنها من وجهين:

الأول: أنه يقال خرج من عند برة وكذلك يقال خرج من برة.

والثاني: التزكية والله أعلم منا بمن هو أهل للتزكية.

وعلى هذا ينبغي تغيير اسم إيمان لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عما فيه تزكية، ولا سيما إذا كان اسمًا لامرأة لأنه للذكور أقرب منه للإناث لأن كلمة (إيمان) مذكرة.

٤٤٣ وسئل فضيلته: عن التسمي بإيمان؟

فأجاب بقوله: اسم إيمان يحمل نوعا من التزكية ولهذا لا تنبغي التسمية به لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، غيّر اسم برة لكونه دالاًّ على التزكية، والمخاطب في ذلك هم الأولياء الذين يسمون أولادهم بمثل هذه الأسماء التي تحمل التزكية لمن تسمى بها، أما ما كان علما مجردا لا يفهم منه التزكية فهذا لا بأس به ولهذا نسمي بصالح وعلي وما أشبههما من الأعلام المجردة التي لا تحمل معنى التزكية.

٤٤٤ سئل فضيلة الشيخ: ما حكم هذه الألقاب «حجة الله» «حجة الإسلام» «آية الله»؟

فأجاب بقوله: هذه الألقاب «حجة الله» «حجة الإسلام» ألقاب حادثة لا تنبغي لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل.

وأما «آية الله» فإن أريد المعنى الأعم فهو يدخل فيه كل شيء:

وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه واحد

وإن أريد أنه آية خارقة فهذا لا يكون إلا على أيدي الرسل، لكن يقال عالم، مفتي، قاضي، حاكم، إمام لمن كان مستحقًّا لذلك.

٤٤٥ سئل الشيخ: عن هذه العبارات: «بسم الوطن، بسم الشعب، بسم العروبة»؟

فأجاب قائلاً: هذه العبارات إذا كان الإنسان يقصد بذلك أنه يعبر عن العرب أو يعبر عن أهل البلد فهذا لا بأس به، وإن قصد التبرك والاستعانة

فهو نوع من الشرك، وقد يكون شركًا أكبر بحسب مايقوم في قلب صاحبه من التعظيم بما استعان به.

٤٤٦ وسئل فضيلته: هل هذه العبارة صحيحة «بفضل فلان تغير هذا الأمر، أو بجهدي صار كذا»؟

فأجاب الشيخ بقوله: هذه العبارة صحيحة، إذا كان للمذكور أثر في حصوله، فإن الإنسان له فضل على أخيه إذا أحسن إليه، فإذا كان للإنسان في هذا الأمر أثرٌ حقيقي فلا بأس أن يُقال: هذا بفضل فلان، أو بجهود فلان، أو ما أشبه ذلك، لأن إضافة الشيء إلى سببه المعلوم جائزة شرعًا وحسًّا، ففي صحيح مسلم أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال في عمه أبي طالب: «**لو لا أنا لكان في الدّرك الأسفل من النار**». وكان أبوطالب يعذب في نار جهنم في ضحضاح من نار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وهو أهون أهل النار عذابًا ـ والعياذ بالله ـ فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

أما إذا أضاف الشيء إلى سبب وليس بصحيح فإن هذا لا يجوز، وقد يكون شركًا، كما لو أضاف حدوث أمر لا يحدثه إلا الله إلى أحد من المخلوقين، أو أضاف شيئًا إلى أحدٍ من الأموات أنه هو الذي جلبه له فإن هذا من الشرك في الربوبية.

٤٤٧ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم قول: «البقية في حياتك»، عند التعزية وردّ أهل الميت بقولهم: «حياتك الباقية»؟

فأجـاب فضيلتـه بقـوله: لا أرى فيها مانعًا إذا قال الإنسان «البقية في حياتك» لا أرى فيها مانعًا، ولكن الأولى أن يقال إنَّ في الله خلفًا من كل هالك، أحسن من أن يُقال «البقية في حياتك»، كذلك الرد عليه إذا غير المعزي هذا الأسلوب فسوف يتغيّر الرّد.

٤٤٨ وسئل حفظه الله تعالى: عن حكم ثناء الإنسان على الله تعالى بهذه العبارة «بيده الخير والشر»؟

فأجـاب بقـولـه: أفضل ما يثني به العبد على ربه هو ما أثنى به سبحانه على نفسه أو أثنى به عليه أعلم الناس به نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، والله ـ عزّ وجلّ ـ لم يثن على نفسه وهو يتحدث عن عموم ملكه وتمام سلطانه وتصرفه أن بيده الشر كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾[1]. فأثنى سبحانه على نفسه بأن بيده الخير في هذا المقام الذي قد يكون شرًّا بالنسبة لمحله وهو الإنسان المقـدر عليه الذل، ولكنه خير بالنسبة إلى فعل الله لصدوره عن حكمة بالغـة، ولذلك أعقبه بقوله ﴿**بيدك الخير**﴾ وهكذا كل ما يقدره الله من شرور في مخلوقاته هي شرور بالنسبة لمحالها، أما بالنسبة لفعل الله ـ تعالى ـ لها وإيجاده فهي خير لصدورها عن حكمة بالغة، فهناك فرق بين فعل الله ـ تعالى ـ الذي هو فعله كله خير، وبين مفعولاته ومخلوقاته البائنة عنه ففيها الخير والشر، ويزيد الأمر وضوحا أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أثنى على ربه تبارك وتعالى بأن الخير بيده ونفى نسبة الشر إليه كما في حديث

(١) سورة آل عمران، الآية «٢٦».

علي، رضي الله عنه، الذي رواه مسلم وغيره مطولا وفيه أنه، صلى الله عليه وسلم، كان يقول إذا قام إلى الصلاة: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض**» إلى أن قال: «**لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك**» فنفى، صلى الله عليه وسلم، أن يكون الشر إلى الله تعالى،لأن أفعاله وإن كانت شرا بالنسبة إلى محالها ومن قامت به، فليست شرا بالنسبة إليه ـ تعالى ـ لصدورها عن حكمة بالغة تتضمن الخير، وبهذا تبين أن الأولى بل الأوجب في الثناء على الله أن نقتصر على ما أثنى به على نفسه وأثنى به عليه رسوله، صلى الله عليه وسلم، لأنه ـ تعالى ـ أعلم بنفسه، ورسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، أعلم الخلق به فنقول: بيده الخير ونقتصر على ذلك كما هو في القرآن الكريم والسنة.

[٤٤٩] سئل فضيلة الشيخ: عن قول العامة «تباركت علينا؟» «زارتنا البركة؟».

فأجاب قائلاً: قول العامة «تباركت علينا» لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان، قال أسيد بن حضير لما نزلت أية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها قال: «ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر».

وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

الأمر الأول: أن يكون طلب البركة بأمر شرعي معلوم مثل القرآن الكريم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك**﴾[1] فمن بركته أن

(١) سورة الأنعام، الآية «٩٢».

من أخذ به وجاهد به حصل له الفتح ، فأنقذ الله به أممًا كثيرة من الشرك ، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات وهذه يوفر للإنسان الجهد والوقت .

الأمر الثاني : أن يكون طلب البركة بأمر حسي معلوم ، مثل العلم فهذا الرجل يتبرك به بعلمه ودعوته إلى الخير، قال أسيد بن حضير «ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر» فإن الله قد يجري على أيدي بعض الناس من أمور الخير مالا يجريه على يد الآخر.

وهناك بركات موهومة باطلة مثل ما يزعمه الدجالون أن فلانا الميت الذي يزعمون أنه ولي أنزل عليكم من بركته وما أشبه ذلك ، فهذه بركة باطلة لا أثر لها، وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر لكنها لا تعدو أن تكون آثارًا حسية بحيث أن الشيطان يخدم هذا الشيخ فيكون في ذلك فتنة .

أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة؟

فيعرف ذلك بحال الشخص ، فإن كان من أولياء الله المتقين المتبعين للسنة المبتعدين عن البدعة فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة مالا يحصل لغيره، أما إن كان مخالفًا للكتاب والسنة ، أو يدعو إلى باطل فإن بركته موهومة ، وقد تضعها الشياطين له مساعدة على باطله .

٤٥٠ سئل فضيلة الشيخ : عن إطلاق عبارة : «كتب التراث» على كتب السلف؟

فأجاب بقوله : الظاهر أنه صحيح ، لأن معناه الكتب الموروثة عمن سبق . ولا أعلم في هذا مانعًا .

٤٥١ وسئل فضيلة الشيخ: هل في الإسلام تجديد تشريع؟.

فأجاب بقوله: من قال: إن في الإسلام تجديد تشريع فالواقع خلافه؛ فالإسلام كمل بوفاة النبي، صلى الله عليه وسلم، والتشريع انتهى بها. نعم الحوادثُ والوقائع تتجدّد، ويحدثُ في كلّ عصرٍ ومكانٍ ما لا يحدث في غيره، ثم ينظر فيها بتشريع، ويحكم عليها على ضوء الكتاب والسّنة. ويكون هذا الحكم من التشريع الإسلامي الأول، ولا ينبغي أن يسمى تشريعًا جديدًا؛ لأنه هضم للإسلام، ومخالف للواقع، ولا ينبغي أيضًا أن يسمى تغيير للتشريع، لما فيه من كسر سياج حرمة الشريعة، وهيبتها في النفوس، أو تعريضها لتغيير لا يسير على ضوء الكتاب والسّنة، ولا يرضاه أحد من أهل العلم والإيمان.

أما إذا كان الحكم على الحادثة ليس على ضوء الكتاب والسّنة، فهو تشريع باطل؛ لا يدخل تحت التقسيم في التشريع الإسلامي.

ولا يرد على ماقلت إمضاء عمر - رضي الله عنه - للطلاق الثلاث، مع أنه كان واحدة لمدة سنتين من خلافته، ومدة عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، وعهد أبي بكر، لأن هذا من باب التعزير بإلزام المرء ما التزمه ولذا قال عمر - رضي الله عنه -: «أرى الناس قد تعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم». فأمضاه عليهم، وباب التعزيز واسع في الشريعة، لأن المقصود به التقويم والتأديب.

٤٥٢ وسئل عن حكم قولهم: تدخل القدر؟ وتدخلت عناية الله؟.

فأجاب قائلًا: قولهم «تدخل القدر» لا تصلح لأنها تعني أن القدر

اعتدى بالتدخل وأنه كالمتطفل على الأمر، مع أنه أي القدر هو الأصل فكيف يقال تدخل؟ والأصح أن يُقال: ولكن نزل القضاء والقدر أو غلب القدر ونحو ذلك، ومثل ذلك «تدخلت عناية الله» الأولى إبدالها بكلمة حصلت عناية الله، أو اقتضت عناية الله.

٤٥٣ وسئل: عن حكم التسمي بأسماء الله مثل كريم، وعزيز ونحوهما؟

فأجاب بقوله: التسمي بأسماء الله ـ عزّ وجلّ ـ يكون على وجهين:

الوجه الأول: وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يحلى بـ«ال» ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله ـ عزّ وجلّ ـ[1] كما لو سَمّيْت أحدا بالعزيز، والسيد، والحكيم وما أشبه ذلك فإن هذا لا يسمى به غير الله لأن «ال» هذه تدل على لمح الأصل وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

القسم الثاني: إذا قصد بالاسم معنى الصفة وليس محلى بـ«ال» فإنه لا يسمى به ولهذا غيّر النبي، صلى الله عليه وسلم، كنية أبي الحكم التي تكنى بها؛ لأن أصحابه يتحاكمون إليه فقال النبي، عليه الصلاة والسلام، «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**» ثم كناه بأكبر أولاده شريح فدل

---

(١) راجع الفتوى رقم (١٠٣) حيث إنه يشترط أن يلاحظ معنى الصفة.

ذلـك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماما لأسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإن أسماء الله ـ تعالى ـ أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

الوجه الثاني: أن يتسمى بالاسم غير محلى بـ«ال» وليس المقصود به معنى الصفة فهذا لا بأس به مثل حكيم ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الـذي قال له النبي، عليه الصلاة والسلام، «**لا تبع ما ليس عندك**» وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به.

لكن في مثـل «جبار» لا ينبغي أن يتسمى به وإن كان لم يلاحظ الصفـة وذلـك لأنـه قد يؤثر في نفس المسمى فيكون معه جبروت وغلو واستكبار على الخلق فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي للإنسان أن يتجنبها. والله أعلم.

٤٥٤ وسئل: عن حكم التسمي بأسماء الله تعالى مثل الرحيم والحكيم؟

فأجـاب بقوله: يجوز أن يسمي الإنسان بهذه الأسماء بشرط ألا يلاحظ فيها المعنى الذي اشتقت منه بأن تكون مجرد علم فقط، ومن أسماء الصحابة الحكم، وحكيم بن حزام وكذلك اشتهر بين الناس اسم عادل وليس بمنكر، أما إذا لوحظ فيه المعنى الذي اشتقت منه هذه الأسماء فإن

الظاهر أنه لا يجوز لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، غيّر اسم أبي الحكم الذي تكنى به؛ لكون قومه يتحاكمون إليه وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**» ثم كناه بأكبر أولاده شريح وقال له: «**أنت أبو شريح**» وذلك أن هذه الكنية التي تكنى بها هذا الرجل لوحظ فيها معنى الاسم فكان هذا مماثلا لأسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأن أسماء الله ـ عزّ وجلّ ـ ليست مجرد إعلام بل هي إعلام من حيث دلالتها على ذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأوصاف من حيث دلالتها على المعنى الذي تتضمنه، وأما أسماء غيره ـ سبحانه وتعالى ـ فإنها مجرد إعلام إلا أسماء النبي، صلى الله عليه وسلم، فإنها أعلام وأوصاف، وكذلك أسماء كتب الله ـ عزّ وجلّ ـ فهي أعلام وأوصاف أيضا.

٤٥٥ وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم ثناء الإنسان على نفسه؟

فأجاب قائلاً: الثناء على النفس إن أراد به الإنسان التحدث بنعمة الله ـ عزّ وجلّ ـ أو أن يتأسى به غيره من أقرانه ونظرائه فهذا لا بأس به، وإن أراد به الإنسان تزكية نفسه وإدلاله بعمله على ربه ـ عزّ وجلّ ـ فإن هذا فيه شيء من المنّة فلا يجوز وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾[١].

(١) سورة الحجرات، الآية «١٧».

وإن أراد به مجرد الخبر فلا بأس به لكن الأولى تركه.

فالأحوال إذن في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع:

الحال الأولى: أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه به من الإيمان والثبات.

الحال الثانية: أن يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه على مثل ما كان عليه.

فهاتان الحالان محمودتان لما يشتملان عليه من هذه النية الطيبة.

الحال الثالثة: أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله - عزّ وجلّ - بما هو عليه من الإيمان والثبات وهذا غير جائز لما ذكرنا من الآية.

الحال الرابعة: أن يريد بذلك مجرد الخبر عن نفسه بما هو عليه من الإيمان والثبات فهذا جائز ولكن الأولى تركه.

٤٥٦ سئل فضيلة الشيخ: عن قول «ياحاج»، و «السيد فلان»؟

فأجاب بقوله: قول «حاج» يعني أدى الحج لا شيء فيها.

وأما السيد فينظر إن كان صحيحاً أنه ذو سيادة فيقال: هو سيد بدون أل فلا بأس به، بشرط ألا يكون فاسقًا ولا كافرًا، فإن كان فاسقًا أو كافرًا فإنه لا يجوز إطلاق لفظ سيد إلا مضافًا إلى قومه، مثل سيد بني فلان، أو سيد الشعب الفلاني ونحو ذلك.

٤٥٧ وسئل أيضًا: عن حكم ما دَرَجَ على ألسنة بعض الناس من قولهم «حرام عليك أن تفعل كذا وكذا»؟

فأجاب بقوله: هذا الذي وصفوه بالتحريم إما أن يكون مما حرمه الله كما لو قالوا حرام أن يعتدي الرجل على أخيه وما أشبه ذلك فإن وصف هذا الشيء بالحرام صحيح مطابق لما جاء به الشرع.

وأما إذا كان الشيء غير محرم فإنه لا يجوز أن يوصف بالتحريم ولو لفظًا؛ لأن ذلك قد يوهم تحريم ما أحل الله ـ عزّ وجلّ ـ أو يوهم الحجر على الله ـ عزّ وجلّ ـ في قضائه وقدره بحيث يقصدون بالتحريم التحريم القدري، لأن التحريم يكون قدريا ويكون شرعيا فما يتعلق بفعل الله ـ عزّ وجلّ ـ فإنه يكون تحريما قدريا، وما يتعلق بشرعه فإنه يكون تحريما شرعيا وعلى هذا فينهى هؤلاء عن إطلاق مثل هذه الكلمة ولو كانوا لا يريدون بها التحريم الشرعي، لأن التحريم القدري ليس إليهم أيضا بل هو إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ هو الذي يفعل ما يشاء فيحدث ما شاء أن يحدث ويمنع ما شاء أن يمنعه، فالمهم أن الذي أرى أنهم يتنزهون عن هذه الكلمة وأن يبتعدوا عنها وإن كان قصدهم في ذلك شيئا صحيحا. والله الموفق.

٤٥٨ سئل فضيلة الشيخ: قلتم في الفتوى رقم «٤٥٧» أن التحريم يكون قدريًا ويكون شرعيًّا فنأمل من فضيلتكم التكرم ببيان بعض الأمثلة؟.

فأجاب بقوله: سؤالكم عما ورد في جوابنا رقم «٤٥٧» من أن

التحريم يكون قدريًّا ويكون شرعيًّا وطلبكم أمثلة لذلك فإليكم ماطلبتم:

فمن التحريم القدري قوله - تعالى - في موسى: **﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾**(١). وقوله - تعالى -: **﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾**(٢). ومن التحريم الشرعي قوله - تعالى -: **﴿حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم﴾**(٣). وقوله - تعالى -: **﴿قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة﴾**(٤) الآية.

٤٥٩ وسئل فضيلة الشيخ: نسمع ونقرأ كلمة، «حرية الفكر»، وهي دعوة إلى حرّية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟.

فأجاب بقوله: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حرّ الاعتقاد، يعتقد ماشاء من الأديان فإنه كافر، لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتديّن بغير دين محمد، صلى الله عليه وسلم، فإنه كافر بالله - عزّ وجلّ - يستتاب، فإن تاب وإلا وجب قتله.

والأديان ليست أفكارًا، ولكنها وحي من الله - عزّ وجلّ - ينزله على رسله، ليسير عباده عليه، وهذه الكلمة - أعني كلمة فكر - التي يقصد بها الدين. يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية، لأنها تؤدي إلى هذا

---

(١) سورة القصص، الآية «١٢».

(٢) سورة الأنبياء، الآية «٩٥».

(٣) سورة النساء، الآية «٢٣».

(٤) سورة الأنعام، الآية «١٤٥».

المعنى الفاسد، وهو أن يقال عن الإسلام: فكر، والنصرانية فكر، واليهودية فكر - وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية - فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس، والواقع أن الأديان السماوية أديان سماوية من عند الله - عزّ وجلّ - يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله تعبد بها عباده، ولا يجوز أن يُطلق عليها «فكر».

وخلاصة الجواب: أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حرّ فيما يتدين به فإنه كافر بالله - عزّ وجلّ - لأن الله - تعالى - يقول: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾**[1]. ويقول: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[2]. فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوى الإسلام جائز يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صرّح أهل العلم بأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة.

٤٦٠ سئل فضيلة الشيخ: هل يجوز أن يقول الإنسان للمفتي ما حكم الإسلام في كذا وكذا؟ أو ما رأي الإسلام؟

فأجاب بقوله: لا ينبغي أن يقال «ما حكم الإسلام في كذا»، أو «مارأي الإسلام في كذا» فإنه قد يخطىء فلا يكون ما قاله حكم الإسلام، لكن لو كان الحكم نصًّا صريحاً فلا بأس مثل أن يقول: ما حكم الإسلام في أكل الميتة؟ فنقول: حكم الإسلام في أكل الميتة أنها حرام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية «٨٥».

(٢) سورة آل عمران، الآية «١٩».

[٤٦١] سئل فضيلة الشيخ: عن وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق؟

فأجاب بقوله: الحيوان الناطق يطلق على الإنسان كما ذكره أهل المنطق، وليس فيه عندهم عيب، لأنه تعريف بحقيقة الإنسان، لكنه في العرف قول يعتبر قدحًا في الإنسان، ولهذا إذا خاطب الإنسان به عاميًا فإن العامي سيعتقد أن هذا قدحًا فيه، وحينئذ لا يجوز أن يُخاطب به العامي؛ لأن كل شيء يسيء إلى المسلم فهو حرام، أما إذا خوطب به من يفهم الأمر على حسب اصطلاح المناطقة، فإن هذا لا حرج فيه، لأن الإنسان لا شك أنه حيوان باعتبار أنه فيه حياة، وأن الفصل الذي يميِّزه عن غيره من بقية الحيوانات هو النطق. ولهذا قالوا: إن كلمة «حيوان» جنس، وكلمة «ناطق» فصل، والجنس يعمّ المعرف وغيره، والفصل يميز المعرّف عن غيره.

[٤٦٢] سئل فضيلة الشيخ: عن قول بعض الناس: «خسرت في الحج كذا، وخسرت في العمرة كذا، وخسرت في الجهاد كذا، وكذا»؟.

فأجاب قائلاً: هذه العبارات غير صحيحة، لأن مابذل في طاعة الله ليس بخسارة، بل هو الربح الحقيقي، وإنما الخسارة ما صرف في معصية، أو في ما لافائدة فيه، وأما مافيه فائدة دنيوية أو دينية فإنه ليس بخسارة.

٤٦٣ سئل فضيلة الشيخ: عن قول الإنسان لرجل: «أنت يافلان خليفة الله في أرضه»؟

فأجاب بقوله: إذا كان ذلك صدقًا بأن كان هذا الرجل خليفة يعني ذا سلطان تام على البلد، وهو ذو السلطة العليا على أهل هذا البلد، فإن هذا لا بأس به، ومعنى قولنا «خليفة الله» أن الله استخلفه على العباد في تنفيذ شرعه، لأن الله ـ تعالى ـ استخلفه على الأرض، والله ـ سبحانه وتعالى ـ مستخلفنا في الأرض جميعًا وناظرٌ ماكنا نعمل، وليس يُراد بهذه الكلمة أن الله ـ تعالى ـ يحتاج إلى أحد يخلفه، في خلقه، أو يعينه على تدبير شئونهم، ولكن الله جعله خليفة يخلف من سبقه، ويقوم بأعباء ماكلفه الله.

٤٦٤ وسئل فضيلته: يستخدم بعض الناس عبارة «راعني» ويقصدون بها انظرني، فما صحة هذه الكلمة؟

فأجاب قائلاً: الذي أعرف أن كلمة: «راعني» يعني من المراعات أي أنزل لنا في السعر مثلاً، وانظر إلى ما أريد، ووافقني عليه، وما أشبه ذلك، وهذه لا شيء فيها. وأما قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾**[١].

فهذا كان اليهود يقولون «راعنا»، من الرعونة فينادون بذلك الرسول، عليه الصلاة والسلام، يُريدون الدعاء عليه، فلهذا قال الله لهم: **﴿وقولوا انظرنا﴾**. وأما «راعني»، فليست مثل «راعنا»، لأن راعنا منصوبة بالألف وليست بالياء.

(١) سورة البقرة، الآية «١٠٤».

٤٦٥ وسئل حفظه الله: ما حكم قول «رب البيت»؟ «رب المنزل»؟

فأجاب: قولهم رب البيت ونحوه ينقسم أقساماً أربعة:

القسم الأول: أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب في معنى لا يليق بالله ـ عزّ وجلّ ـ مثل أن يقول «أطعم ربك» فهذا منهى عنه لوجهين:

الوجه الأول: من جهة الصيغة لأنه يوهم معنى فاسداً بالنسبة لكلمة رب، لأن الرب من أسمائه سبحانه، وهو سبحانه يُطِعم ولا يُطَعم، وإن كان لا شك إن الرب هنا غير الرب الذي يُطعِم ولا يُطَعم.

الوجه الثاني: من جهة أنك تشعر العبد أو الأمة بالذل لأنه إذا كان السيد ربا كان العبد مربوباً والأمة مربوبة.

وأما اذا كان في معنى يليق بالله ـ تعالى ـ مثل أطع ربك كان النهي عنه من أجل الوجه الثاني.

القسم الثاني: أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب مثل ربه، وربها، فإن كان في معنى لا يليق بالله كان من الأدب اجتنابه، مثل أطعم العبد ربه أو أطعمت الأمة ربها؛ لئلا يتبادر منه إلى الذهن معنى لا يليق بالله.

وإن كان في معنى يليق بالله مثل أطاع العبد ربه وأطاعت الأمة ربها فلا بأس بذلك لانتفاء المحذور.

ودليل ذلك قوله، صلى الله عليه وسلم، في حديث اللقطة في ضالة الإبل وهو حديث متفق عليه «**حتى يجدها ربها**» وقال بعض أهل العلم إن حديث اللقطة في بهيمة لا تتعبد ولا تتذلل كالإنسان، والصحيح عدم الفارق لأن البهيمة تعبد الله عبادة خاصة بها. قال ـ تعالى ـ: ﴿**ألم تر أن**

الله يسجُد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾[1] وقال في العباد ﴿وكثير من الناس﴾[2] ليس جميعهم ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾[3].

القسم الثالث: إن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم فقد يقول قائل بالجواز لقوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾[4] أي سيدي، وإن المحذور هو الذي يقتضي الإذلال وهذا منتف لأن هذا من العبد لسيده.

القسم الرابع: إن يضاف إلى الاسم الظاهر فيقال: هذا رب الغلام فظاهر الحديث الجواز وهو كذلك مالم يوجد محذور فيمنع كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق لمملوكه.

٤٦٦ سئل فضيلة الشيخ: عن قول من يقول إن الإنسان يتكون من عنصرين عنصر من التراب وهو الجسد، وعنصر من الله وهو الروح؟.

فأجاب بقوله: هذا الكلام يحتمل معنيين:

أحدهما: أن الروح جزء من الله.

والثاني: أن الروح من الله خلقًا.

وأظهرهما أنه أراد أن الروح جزء من الله لأنه لو أراد أن الروح من

---

(١) سورة الحج، الآية «١٨».

(٢) سورة الحج، الآية «١٨».

(٣) سورة الحج، الآية «١٨».

(٤) سورة يوسف، الآية «٢٣».

الله خلقًا لم يكن بينها وبين الجسد فرق إذا لكل من الله ـ تعالى ـ خلقا وإيجادًا.

والجواب على قوله: أن نقول لا شك أن الله أضاف روح آدم إليه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فإذا سويتُه ونفخت فيه من روحي**﴾[1]. وأضاف روح عيسى إليه فقال: ﴿**ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**﴾[2]. وأضاف بعض مخلوقات أخرى إليه كقوله: ﴿**وطهر بيتي للطائفين والقائمين**﴾[3]. وقوله: ﴿**وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه**﴾[4]. وقوله عن رسوله صالح: ﴿**فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها**﴾[5] ولكن المضاف إلى الله نوعان:

أحدهما: مايكون منفصلاً بائنًا عنه، قائمًا بنفسه أو قائمًا بغيره، فإضافته إلى الله تعالى إضافة خلق وتكوين، ولا يكون ذلك إلا فيما يقصد به تشريف المضاف أو بيان عظمة الله ـ تعالى ـ، لعظم المضاف، فهذا النوع لا يمكن أن يكون من ذات الله، ولا من صفاته، أما كونه لا يمكن أن يكون من ذات الله ـ تعالى ـ، فلأن ذات الله تعالى واحدة لا يمكن أن تتجزأ أو تتفرق، وأما كونه لا يمكن أن يكون من صفات الله فلأن الصفة معنى في الموصوف لا يمكن أن تنفصل عنه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والسمع، والبصر وغيرها. فإن هذه الصّفات صفات لا تباين

---

(١) سورة الحجر، الآية «٢٩».

(٢) سورة التحريم، الآية «١٢».

(٣) سورة الحج، الآية «٢٦».

(٤) سورة الجاثية، الآية «١٣».

(٥) سورة الشمس، الآية «١٣».

موصوفها، ومن هذا النوع إضافة الله ـ تعالى ـ روح آدم وعيسى إليه، وإضافة البيت وما في السموات والأرض إليه، وإضافة الناقة إليه، فروح آدم، وعيسى قائمة بهما، وليست من ذات الله ـ تعالى ـ، ولا من صفاته قطعًا، والبيت ومافي السموات والأرض، والناقة أعيان قائمة بنفسها، وليست من ذات الله ولا من صفاته، وإذا كان لا يمكن لأحد أن يقول: إن بيت الله، وناقة الله من ذاته ولا من صفاته فكذلك الروح التي أضافها إليه ليست من ذاته ولا من صفاته، ولا فرق بينهما إذ الكل بائن منفصل عن الله ـ عزّ وجلّ ـ وكما أن البيت والناقة من الأجسام فكذلك الروح جسم تحل بدن الحي بإذن الله، يتوفاها الله حين موتها، ويمسك التي قضى عليها الموت، ويتبعها بصر الميت حين تقبض، لكنها جسم من جنس آخر.

النوع الثاني من المضاف إلى الله: ما لا يكون منفصلاً عن الله بل هو من صفاته الذاتية أو الفعلية، كوجهه، ويده، وسمعه، وبصره، واستوائه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك، فإضافته إلى الله ـ تعالى ـ من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، وليس من باب إضافة المخلوق والمملوك إلى مالكه وخالقه.

وقول المتكلم «إن الروح من الله» يحتمل معنى آخر غير ماقلنا: إنه الأظهر، وهو أن البدن مادته معلومة، وهي التراب، أما الروح فمادتها غير معلومة، وهذا المعنى صحيح. كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾(١). وهذه ـ والله أعلم ـ من الحكمة في إضافتها إليه أنها أمر لا يمكن أن يصل إليه علم

---

(١) سورة الإسراء، الآية «٨٥».

البشر بل هي مما استأثر الله بعلمه كسائر العلوم العظيمة الكثيرة التي لم نؤت منها إلا القليل، ولا نحيط بشيء من هذا القليل إلا بما شاء الله ـ تبارك وتعالى ـ.

فنسأل الله ـ تعالى ـ، أن يفتح علينا من رحمته وعلمه مابه صلاحنا، وفلاحنا في الدنيا والآخرة.

٤٦٧ سئل فضيلة الشيخ: عن المراد بالروح والنفس؟ والفرق بينهما؟

فأجاب قائلاً: الروح في الغالب تطلق على ما به الحياة سواءً كان ذلك حسًّا أو معنى، فالقرآن يسمى روحاً قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**﴾[١] لأن به حياة القلوب بالعلم والإيمان، والروح التي يحيى بها البدن تسمى روحاً كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**﴾[٢].

أما النفس فتطلق على ما تطلق عليه الروح كثيراً كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾[٣].

وقد تطلق النفس على الإنسان نفسه، فيقال جاء فلان نفسه، فتكون بمعنى الذات، فهما يفترقان أحياناً، ويتفقان أحياناً، بحسب السياق.

---

(١) سورة الشورى، الآية «٥٢».
(٢) سورة الإسراء، الآية «٨٥».
(٣) سورة الزمر، الآية «٤٢».

وينبغي بهذه المناسبة أن يعلم أن الكلمات إنما يتحدد معناها بسياقها فقد تكون الكلمة الواحدة لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق، فالقرية مثلاً تطلق أحياناً على نفس المساكن، وتطلق أحياناً على الساكن نفسه ففي قوله - تعالى - عن الملائكة الذين جاءوا إبراهيم ﴿**قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية**﴾[1] المراد بالقرية هنا المساكن، وفي قوله - تعالى -: ﴿**وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدًا**﴾[2] المراد بها الساكن، وفي قوله - تعالى -: ﴿**أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها**﴾[3] المراد بها المساكن، وفي قوله: ﴿**واسأل القرية التي كنا فيها**﴾[4] المراد بها الساكن، فالمهم أن الكلمات إنما يتحدد معناه بسياقها وبحسب ما تضاف اليه، وبهذه القاعدة المفيدة المهمة يتبين لنا رجحان ما ذهب اليه كثير من أهل العلم من أن القرآن الكريم ليس فيه مجاز، وأن جميع الكلمات التي في القرآن كلها حقيقة، لأن الحقيقة هي ما يدل عليه سياق الكلام بأي صيغة كان، فإذا كان الأمر كذلك تبين لنا بطلان قول من يقول إن في القرآن مجازاً، وقد كتب في هذا أهل العلم وبينوه، ومن أبين ما يجعل هذا القول صواباً أن من علامات المجاز صحة نفيه بمعنى أنه يصح أن تنفيه فإذا قال: فلان أسد، صح لك نفيه، وهذا لا يمكن أن يكون في القرآن، فلا يمكن لأحد أن ينفي شيئاً مما ذكره الله - تعالى - في القرآن الكريم.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية «٣١».

(٢) سورة الإسراء، الآية «٥٨».

(٣) سورة البقرة، الآية «٢٥٩».

(٤) سورة يوسف، الآية «٨٢».

[٤٦٨] سئل فضيلة الشيخ: عن حكم إطلاق لفظ «السيد» على غير الله تعالى؟

فأجاب بقوله: إطلاق السيد على غير الله تعالى إن كان يقصد معناه وهي السيادة المطلقة فهذا لا يجوز، وإن كان يقصد به مجرّد الإكرام فإن كان المخاطب به أهلاً للإكرام فلا بأس به. ولكن لا يقول: السيد بل يقول ياسيد، أو نحو ذلك، وإن كان لا يقصد به السيادة والإكرام وإنما هو مجرد اسم فهذا لا بأس به.

[٤٦٩] سئل فضيلة الشيخ: من الذي يستحق أن يوصف بالسيادة؟.

فأجاب بقوله: لا يستحق أحد أن يوصف بالسيادة المطلقة إلا الله ـ عزّ وجلّ ـ فالله تعالى هو السيد الكامل السؤدد، أما غيره فيوصف بسيادة مقيدة مثل سيد ولد آدم، لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، والسيادة قد تكون بالنسب، وقد تكون بالعلم، وقد تكون بالكرم، وقد تكون بالشجاعة، وقد تكون بالملك، كسيد المملوك، وقد تكون بغير ذلك من الأمور التي يكون بها الإنسان سيدًا، وقد يقال للزوج سيد بالنسبة لزوجته، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وألفيا سيدها لدا الباب**﴾[1].

فأما السيد في النسب فالظاهر أن المراد به من كان من نسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهم أولاد فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أي ذريتها من بنين وبنات، وكذلك الشريف، وربما يراد بالشريف من كان هاشميًّا

(١) سورة يوسف، الآية «٢٥».

وأيًا كان الرجل أو المرأة سيداً أوشريفًا فإنه لا يمتنع شرعًا أن يتزوج من غير السيد والشريف، فهذا سيد بني آدم وأشرفهم؛ محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد زوّج ابنتيه رقية وأم كلثوم عثمان بن عفان، وليس هاشميًّا، وزوج ابنته زينب أبا العاص بن الربيع وليس هاشميًّا.

٤٧٠ وسئل فضيلته عن الجمع بين حديث عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقلنا أنت سيدنا فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). وما جاء في التشهد «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد». وحديث «أنا سيد ولد آدم»؟

فأجاب قائلاً: لا يرتاب عاقل أن محمدا، صلى الله عليه وسلم، سيد ولد آدم فإن كل عاقل مؤمن يؤمن بذلك، والسيد هو ذو الشرف والطاعة والإمرة، وطاعة النبي، صلى الله عليه وسلم، من طاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾[1] ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشك أن نبينا، صلى الله عليه وسلم، سيدنا، وخيرنا، وأفضلنا عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه المطاع فيما يأمر به، صلوات الله وسلامه عليه، ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع، عليه الصلاة والسلام، أن لا نتجاوز ما شرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ومما شرعه لنا في كيفية الصلاة عليه في التشهد «**أن نقول اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**» أو

(١) سورة النساء، الآية «٨٠».

نحوها من الصفات الواردة في كيفية الصلاة عليه، صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم أن صفة وردت بالصيغة التي ذكرها السائل وهي «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد» وإذا لم ترد هذه الصيغة عن النبي، عليه الصلاة والسلام، فإن الأفضل ألا نصلي على النبي، صلى الله عليه وسلم، بها، وإنما نصلي عليه بالصيغة التي علمنا إياها.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه إلى أن كل إنسان يؤمن بأن محمدا، صلى الله عليه وسلم، سيدنا فإن مقتضى هذا الإيمان أن لا يتجاوز الإنسان ما شرعه، وأن لا ينقص عنه، فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه، ولا ينقص من دين الله ما هو منه، فإن هذا هو حقيقة السيادة التي هي من حق النبي، صلى الله عليه وسلم، علينا.

وعلى هذا فإن أولئكم المبتدعين لأذكار أو صلوات على النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يأت بها شرع الله على لسان رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، تنافي دعوى أن هذا الذي ابتدع يعتقد أن محمدا، صلى الله عليه وسلم، سيد، لأن مقتضى هذه العقيدة أن لا يتجاوز ما شرع وأن لا ينقص منه، فليتأمل الإنسان وليتدبر ما يعنيه بقوله حتى يتضح له الأمر ويعرف أنه تابع لا مشرع.

وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم**» والجمع بينه وبين قوله: «**السيد الله**» أن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله وحده فإنه تعالى هو الذي له الأمر كله فهو الآمر وغيره مأمور، وهو الحاكم وغيره محكوم، وأما غيره فسيادته نسبية إضافية تكون في شيء محدود، وفي زمن محدود، ومكان محدود، وعلى قوم دون قوم، أو نوع من الخلائق دون نوع.

[٤٧١] وسئل فضيلته: عن هذه العبارة «السيدة عائشة رضي الله عنها»؟.

فأجاب قائلاً: لا شك أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ من سيدات نساء الأمة، ولكن إطلاق «السيدة» على المرأة و«السيدات» على النساء هذه الكلمة متلقاة فيما أظن من الغرب حيث يسمون كل امرأة سيدة وإن كانت من أوضع النساء، لأنهم يسودون النساء أي يجعلونهن سيدات مطلقا، والحقيقة أن المرأة امرأة، وأن الرجل رجل، وتسمية المرأة بالسيدة على الإطلاق ليس بصحيح، نعم من كانت منهن سيدة لشرفها في دينها أو جاهها أو غير ذلك من الأمور المقصودة فلنا أن نسميها سيدة، ولكن ليس مقتضى ذلك أننا نسمي كل امرأة سيدة.

كما أن التعبير بالسيدة عائشة، والسيدة خديجة، والسيدة فاطمة وما أشبه ذلك لم يكن معروفا عند السلف بل كانوا يقولون أم المؤمنين عائشة أم المؤمنين خديجة، فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك.

[٤٧٢] سئل فضيلة الشيخ: عن الجمع بين قول النبي، صلى الله عليه وسلم، «السيد الله تبارك وتعالى» وقوله، صلى الله عليه وسلم، «أنا سيد ولد آدم» وقوله «قوموا إلى سيدكم» وقوله في الرقيق «وليقل سيدي»؟

فأجاب بقوله: اختلف في ذلك على أقوال:

القول الأول: إن النهي على سبيل الأدب، والإباحة على سبيل

الجواز، فالنهي ليس للتحريم حتى يعارض الجواز.

القول الثاني: إن النهي حيث يخشى منه المفسدة وهي التدرج إلى الغلو، والإباحة إذا لم يكن هناك محذور.

القول الثالث: إن النهي بالخطاب أي أن تخاطب الغير بقولك «سيدي أو سيدنا» لأنه ربما يكون في نفسه عجب وغلو إذا دعى بذلك، ولأن فيه شيئاً آخر وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له، بخلاف إذا جاء على غير هذا الوجه مثل «قوموا إلى سيدكم» و «وأنا سيد ولد آدم».

لكن هذا يرد عليه إباحته صلى الله عليه وسلم للرقيق أن يقول لمالكه «سيدي»؟

لكن يجاب عن هذا بأن قول الرقيق لمالكه «سيدي» أمر معلوم لا غضاضة فيه، ولهذا يحرم عليه أن يمتنع مما يجب عليه نحو سيده والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذا جائز لكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلاً لذلك، وأن لا يُخشى محذور من إعجاب المخاطب وخنوع المتكلم، أما إذا لم يكن أهلاً، كما لو كان فاسقاً أو زنديقًا فلا يقال له ذلك حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاهاً، وقد جاء في الحديث «**لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله**» وكذلك لا يقال إذا خُشي محذور من إعجاب المخاطب أو خنوع المتكلم.

٤٧٣ وسئل فضيلة الشيخ: عن قول: «شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا»، و «شاءت الأقدار كذا وكذا»؟.

فأجاب قائلاً: قول: «شاءت الأقدار»، و «شاءت الظروف» ألفاظ منكرة؛ لأن الظروف جمع ظرف وهو الأزمان، والزّمن لا مشيئة له،

وكذلك الأقدار جمع قدر، والقدر لا مشيئة له، وإنما الذي يشاء هو الله ـ عزّ وجلّ ـ نعم لو قال الإنسان: «اقتضى قدر الله كذا وكذا». فلا بأس به. أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار لأن المشيئة هي الإرادة، ولا إرادة للوصف، إنما الإرادة للموصوف.

٤٧٤ وسئل فضيلته: عن حكم قول «وشاءت قدرة الله» و«شاء القدر»؟

فأجاب بقوله: لا يصح أن نقول «شاءت قدرة الله» لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع هذه قدرة الله أي مقدوره كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه. وأما أن نضيف أمرا يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز.

ومثل ذلك قولهم «شاء القدر كذا وكذا» وهذا لا يجوز لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدّر. والله أعلم.

٤٧٥ وسئل فضيلته: هل يجوز إطلاق «شهيد» على شخص بعينه فيقال الشهيد فلان؟

فأجاب بقوله: لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد حتى، لو قتل مظلوما، أو قتل وهو يدافع عن الحقِّ، فإنه لا يجوز أن نقول فلان شهيد وهذا خلاف لما عليه الناس اليوم حيث رخصوا هذه الشهادة وجعلوا

كل من قتل حتى ولو كان مقتولا في عصبية جاهلية يسمونه شهيدا، وهذا حرام لأن قولك عن شخص قتل هو شهيد يعتبر شهادة سوف تسأل عنها يوم القيامة، سوف يقال لك هل عندك علم أنه قتل شهيدا؟ ولهذا لما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**ما من مكلوم يكلم في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعب دما، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**» فتأمل قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**والله أعلم بمن يكلم في سبيله**» - يكلم: يعني يجرح - فإن بعض الناس قد يكون ظاهره أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولكن الله يعلم ما في قلبه، وأنه خلاف ما يظهر من فعله، ولهذا بوب البخاري رحمه الله على هذه المسألة في صحيحه فقال «باب لا يقال فلان شهيد» لأن مدار الشهادة على القلب، ولا يعلم ما في القلب إلا الله - عزّ وجلّ - فأمر النية أمر عظيم، وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السماء والأرض وذلك من أجل النية فقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» والله أعلم.

٤٧٦ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم قول فلان شهيد؟.

فأجاب بقوله: الجواب على ذلك أن الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون على وجهين:

أحدهما: أن تقيد بوصف مثل أن يقال كل من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد

ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص، لأنك تشهد بما أخبر به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونعني بقولنا - جائز - أنه غير ممنوع وإن كانت الشهادة بذلك واجبة تصديقًا لخبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن تقيد الشهادة بشخص معين مثل أن تقول لشخص بعينه إنه شهيد، فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي، صلى الله عليه وسلم، أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك وقد ترجم البخاري - رحمه الله - لهذا بقوله: «باب لا يقال فلان شهيد» قال في الفتح ٦/٩٠ «أي على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي» وكأنه أشار إلى حديث عمر أنه خطب فقال تقولون في مغازيكم فلان شهيد، ومات فلان شهيدا ولعله قد يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلكم ولكن قولوا كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من مات في سبيل الله، أو قتل فهو شهيد وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد ابن منصور وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء عن عمر» ا. هـ. كلامه.

ولأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، وشرط كون الإنسان شهيدًا أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهي نية باطنة لا سبيل إلى العلم بها، ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وسلم، مشيرًا إلى ذلك: «**مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله**». وقال: «**والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعب دمًا اللون لون الدم، والريح ريح المسلك**». رواهما البخاري من حديث أبي هريرة. ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك، ولا نشهد له به ولا نسيء به الظن. والرجاء مرتبة بين المرتبتين، ولكننا نعامله في الدنيا بأحكام الشهداء فإذا كان مقتولا في

الجهاد في سبيل الله دفن بدمه في ثيابه من غير صلاة عليه، وإن كان من الشهداء الآخرين فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه.

ولأننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة وهذا خلاف ماكان عليه أهل السنة فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي، صلى الله عليه وسلم، بالوصف أو بالشخص، وذهب آخرون منهم إلى جواز الشهادة بذلك لمن اتفقت الأمة على الثناء عليه وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ.

وبهذا تبين أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد إلا بنص أو اتفاق، لكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك كما سبق، وهذا كاف في منقبته، وعلمه عند خالقه ـ سبحانه وتعالى ـ.

٤٧٧ سئل فضيلة الشيخ: عن لقب «شيخ الإسلام» هل يجوز؟

فأجاب بقوله: لقب شيخ الإسلام عند الإطلاق لا يجوز، أي أن الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام لا يجوز أن يوصف به شخص، لأنه لا يعصم أحد من الخطأ فيما يقول في الإسلام إلا الرسل.

أما إذا قصد بشيخ الإسلام أنه شيخ كبير له قدم صدق في الإسلام فإنه لابأس بوصف الشيخ به وتلقيبه به.

٤٧٨ وسئل: ما رأي فضيلتكم في استعمال كلمة «صُدْفة»؟.

فأجاب بقوله: رأينا في هذا القول أنه لا بأس به وهذا أمر متعارف

وأظن أن فيه أحـاديث بهذا التعبير صادفْنا رسولَ الله صادفَنا رسولُ الله «لكن لا يحضرني الآن حديث معيّن في هذا الخصوص».

والمصادفة والصدفة بالنسبة لفعل الإنسان أمر واقع، لأن الإنسان لا يعلم الغيب فقد يصادفه الشيء من غير شعور به ومن غير مقدمات له ولا توقع له، لكن بالنسبة لفعل الله لا يقع هذا، فإن كل شيء عند الله معلوم وكـل شيء عنـده بمقـدار وهو ـ سبحانه وتعالى ـ لا تقع الأشياء بالنسبـة إليه صدفـة أبدا، لكن بالنسبة لي أنا وأنت نتقابل بدون ميعاد وبدون شعور وبدون مقدمات فهذا يقال له صدفة، ولا حرج فيه، وأما بالنسبة لفعل الله فهذا أمر ممتنع ولا يجوز.

[٤٧٩] سئل فضيلة الشيخ: عن تسمية بعض الزهور بـ «عباد الشمس» لأنه يستقبل الشمس عند الشروق والغروب؟.

فأجاب بقوله: هذا لا يجوز لأن الأشجار لا تعبد الشمس، إنما تعبد الله ـ عزّ وجلّ ـ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والـدواب وكثير من الناس**﴾[١]. وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية كمراقبة الشمس، ونحو ذلك من العبارات.

[٤٨٠] وسئل فضيلة الشيخ: لماذا كان التسمي بعبد الحارث من الشرك مع أن الله هو الحارث؟

(١) سورة الحج، الآية «١٨».

فأجاب قائلاً: التسمي بعبد الحارث فيه نسبة العبودية لغير الله ـ عزّ وجلّ ـ فإن الحارث هو الإنسان كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**كلكم حارث وكلكم همام**» فإذا أضاف الإنسان العبودية إلى المخلوق كان هذا نوعا من الشرك، لكنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، ولهذا لو سمي رجل بهذا الاسم لوجب أن يغيره فيضاف إلى اسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو يسمى باسم آخر غير مضاف وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن**» وما اشتهر عند العامة من قولهم خير الأسماء ما حمد وعبد ونسبتهم ذلك إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فليس ذلك بصحيح أي ليس نسبته إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، صحيحة فإنه لم يرد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بهذا اللفظ وإنما ورد «**أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن**».

أما قول السائل في سؤاله «مع أن الله هو الحارث» فلا أعلم اسما لله تعالى بهذا اللفظ، وإنما يوصف ـ عزّ وجلّ ـ بأنه الزارع ولا يسمى به كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أفرأيتم ما تَحْرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون**﴾(1).

[481] سئل فضيلة الشيخ عن هذه العبارة: «العصمة لله وحده»، مع أن العصمة لابد فيها من عاصم؟.

فأجاب قائلاً: هذه العبارة قد يقولها من يقولها يريد بذلك أن كلام الله ـ عزّ وجلّ ـ وحكمه كله صواب، وليس فيه خطأ وهي بهذا المعنى

(1) سورة الواقعة، الآيتان «63 ـ 64».

صحيحة، لكن لفظها مستنكر ومستكره، لأنه كما قال السائل قد يوحي بأن هناك عاصمًا عصم الله ـ عزّ وجلّ ـ والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق، وماسواه مخلوق، فالأولى أن لا يعبر الإنسان بمثل هذا التعبير، بل يقول الصواب في كلام الله، وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم.

[٤٨٢] وسئل فضيلة الشيخ: عن قول: «على هواك» وقول بعض الناس في مثل مشهور: «العين وماترى والنفس وماتشتهي»؟

فأجاب بقوله: هذه الألفاظ ليس فيها بأس إلا أنها تقيد بما يكون غير مخالفٍ للشرع، فليس الإنسان على هواه في كل شيء، وليست العين في كل شيء تراه، المهم أن هذه العبارة من حيث هي لا بأس بها لكنها مقيدة بما لا يخالف الشرع.

[٤٨٣] وسئل فضيلة الشيخ: عن عبارة: «فال الله ولا فالك»؟

فأجاب قائلاً: هذا التعبير صحيح، لأن المراد الفأل الذي هو من الله، وهو أني أتفاءل بالخير دونها أتفاءل بما قلت، هذا هو معنى العبارة، وهو معنى صحيح أن الإنسان يتمنى الفأل الكلمة الطيبة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ دون أن يتفاءل بما سمعه من هذا الشخص الذي تشاءم من كلامه.

[٤٨٤] سئل فضيلة الشيخ: عن مصطلح «فكر إسلامي» و «مفكر إسلامي»؟

فأجاب قائلاً: كلمة «فكر إسلامي» من الألفاظ التي يُحَذّر عنها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر.
أما «مفكر إسلامي» فلا أعلم فيه بأسا لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم يكون مفكراً.

[٤٨٥] سئل فضيلة الشيخ: جاء في الفتوى رقم «٤٨٤» أن كلمة الفكر الإسلامي كلمة لا تجوز لأنها تعنى أن الإسلام قد يكون عبارة عن أفكار قد تصح أو لا تصح وهكذا، بينما قلتم إن إطلاق كلمة (المفكر الإسلامي) تجوز لأن فكر الشخص يتغير وقد يكون صحيحًا أو العكس، ولكن الأشخاص الذين يستخدمون مصطلح (الفكر الإسلامي) يقولون: إننا نقصد فكر الأشخاص ولا نتكلم عن الإسلام ككل أو عن الشريعة الإسلامية بالتحديد فهل هذا المصطلح (الفكر الإسلامي) جائز بهذا التفسير أم لا وما هو البديل؟

فأجاب فضيلته بقوله: ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**إنما أقضي بنحو ما أسمع**» ونحن لا نحكم على الأفراد إلا بما يظهر منهم فإذا قيل (الفكر الإسلامي) فهذا يعني أن الإسلام فكر، وإذا كان القائل بهذا التعبير يريد فكر الرجل الإسلامي فليقل (فكر الرجل الإسلامي) أو (المفكر الإسلامي) وبدلاً من أن نقول (الفكر الإسلامي)

نقول (الحكم الإسلامي) لأن الإسلام حكم والقرآن الكريم إما خبر وإما حكم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم**﴾[1].

[٤٨٦] سئل فضيلة الشيخ: عن قول بعض الناس إذا شاهد من أسرف على نفسه بالذّنوب: «فلان بعيد عن الهداية، أو عن الجنّة، أو عن مغفرة الله» فما حكم ذلك؟.

فأجاب بقوله: هذا لا يجوز لأنه من باب التألي على الله ـ عزّ وجلّ ـ وقد ثبت في الصحيح أن رجلاً كان مسرفًا على نفسه، وكان يمرّ به رجل آخر فيقول: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ «**من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان قد غفرت له، وأحبطت عملك**». ولا يجوز للإنسان أن يستبعد رحمه الله ـ عزّ وجلّ ـ، كم من إنسان قد بلغ في الكفر مبلغًا عظيمًا، ثم هداه الله فصار من الأئمة الذين يهدون بأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ، والواجب على من قال ذلك أن يتوب إلى الله، حيث يندم على مافعل، ويعزم على أن لا يعود في المستقبل.

[٤٨٧] وسئل فضيلته: عن قول الإنسان إذا سئل عن شخص قد توفاه الله قريبًا قال: «فلان ربنا افتكره»؟.

فأجاب فضيلته بقوله: إذا كان مراده بذلك أن الله تذكر ثم أماته

---

(١) سورة الأنعام، الآية «١١٥».

فهذه كلمة كفر، لأنه يقتضي أن الله ـ عزّ وجلّ ـ ينسى، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا ينسى، كما قال موسى، عليه الصلاة والسلام، لما سأله فرعون: ﴿**فما بال القرون الأولى. قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾(١). فإذا كان هذا هو قصد المجيب وكان يعلم ويدري معنى مايقول فهذا كفر.

أما إذا كان جاهلاً ولا يدري ويريد بقوله: «أن الله افتكره» يعني أخذه فقط فهذا لا يكفر، لكن يجب أن يُطهر لسانه عن هذا الكلام، لأنه كلام موهم لنقص رب العالمين ـ عزّ وجلّ ـ ويجيب بقوله: «توفّاه الله أو نحو ذلك».

٤٨٨ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم التسمي بقاضي القضاة؟

فأجاب قائلاً: قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله ـ عزّ وجلّ ـ فمن تسمى بذلك فقد جعل نفسه شريكاً لله ـ عزّ وجلّ ـ فيما لا يستحقه إلا الله ـ عزّ وجلّ ـ، وهو القاضي فوق كل قاضٍ. والحكم وإليه يرجع الحكم كله، وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز، لكن الأفضل أن لا يفعل، لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد، فلا يكون فيه مشاركة لله ـ عزّ وجلّ ـ وذلك مثل قاضي قضاة العراق، أو قاضي قضاة الشام، أو قاضي قضاة عصره.

وأما إن قيد بفن من الفنون فبمقتضى التقيد يكون جائزاً، لكن إن قيد بالفقه بأن قيل: عالم العلماء في الفقه سواء قلنا بأن الفقه يشمل أصول

(١) سورة طه، الآيتان «٥١ ـ ٥٢».

الدين وفروعه على حد قوله، صلى الله عليه وسلم: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**» أو قلنا بأن الفقه معرفة الأحكام الشرعية العملية كما هو المعـروف عند الأصوليين صار فيه عموم واسع مقتضاه أن مرجع الناس كلهم في الشرع إليه فأنا أشك في جوازه والأولى التنزه عنه. وكذلك إن قيد بقبيلة فهو جائز ولكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف حتى لا يغتر ويعجب بنفسه ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وسلم، للمادح: «**قطعت عنق صاحبك**».

٤٨٩ وسئل فضيلة الشيخ: عن تقسيم الـدِّين إلى قشور ولب، (مثل اللحية)؟

فأجاب فضيلته بقوله: تقسيم الدين إلى قشور ولب، تقسيم خاطيء، وباطل، فالدين كله لبٌ، وكله نافع للعبد، وكلّه يقربه لله ـ عزّ وجلّ ـ وكله يُثاب عليه المرء، وكله ينتفع به المرء، بزيادة إيمانه وإخباته لربه ـ عزّ وجلّ ـ حتى المسائل المتعلقة باللباس والهيئات، وما أشبهها، كلها إذا فعلها الإنسان تقربًا إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ واتباعًا لرسوله، صلى الله عليه وسلم، فإنه يُثاب على ذلك، والقشور كما نعلم لا ينتفع بها، بل ترمى، وليس في الدِّين الإسلامي والشريعة الإسلامية ماهذا شأنه، بل كلّ الشريعة الإسلامية لبّ ينتفع به المرء إذا أخلص النية لله، وأحسن في اتباعه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعلى الذين يروجون هذه المقالة، أن يفكروا في الأمر تفكيرا جديًّا، حتى يعرفوا الحق والصواب، ثم عليهم أن يتبعوه، وأن يدعوا مثل هذه التعبيرات، صحيح أن الدين الإسلامي

فيه أمور مهمة كبيرة عظيمة، كأركان الإسلام الخمسة، التي بينها الرسول، صلى الله عليه وسلم، بقوله: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**». وفيه أشياء دون ذلك، لكنه ليس فيه قشورٌ لا ينتفع بها الإنسان، بل يرميها ويطرحها.

وأما بالنسبة لمسألة اللحية: فلا ريب أن إعفاءها عبادة، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، أمر به، وكلّ ما أمر به النبي، صلى الله عليه وسلم، فهو عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، بامتثاله أمر نبيه، صلى الله عليه وسلم، بل إنها من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، وسائر إخوانه المرسلين، كما قال الله ـ تعالى ـ عن هارون: أنه قال لموسى: ﴿**يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي**﴾[1]. وثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أن إعفاء اللحية من الفطرة التي فطر الناس عليها، فإعفاؤها من العبادة، وليس من العادة، وليس من القشور كما يزعمه من يزعمه.

٤٩٠ سئل فضيلة الشيخ: عن عبارة «كل عام وأنتم بخير»؟

فأجاب بقوله: قول: «كل عام وأنتم بخير» جائز إذا قصد به الدعاء بالخير.

٤٩١ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم لعن الشيطان؟

فأجاب بقوله: الإنسان لم يؤمر بلعن الشيطان، وإنما أمر بالاستعاذة منه كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ**

(١) سورة طه، الآية «٩٤».

فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾[1] وقال ـ تعالى ـ في سورة فصلت: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾[2].

٤٩٢ وسئل فضيلة الشيخ: عن قول الإنسان متسخطًا: «لو أني فعلت كذا لكان كذا»، أو يقول: «لعنة الله على المرض هو الذي أعاقني»؟

فأجاب بقوله: إذا قال: «لو فعلت كذا لكان كذا» ندمًا وسخطًا على القدر، فإن هذا محرم ولا يجوز للإنسان أن يقوله، لقول النبي، عليه الصلاة والسلام: «**احرص على ماينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان، ولكن قل قد قدّر الله وماشاء فعل**». وهذا هو الواجب على الإنسان أن يفعل المأمور وأن يستسلم للمقدور، فإنه ماشاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن.

وأما من يلعن المرض وما أصابه من فعل الله ـ عزّ وجلّ ـ فهذا من أعظم القبائح ـ والعياذ بالله ـ لأن لعنه للمرض الذي هو من تقدير الله ـ تعالى ـ بمنزلة سبّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ فعلى من قال مثل هذه الكلمة أن يتوب إلى الله، وأن يرجع إلى دينه، وأن يعلم أن المرض بتقدير الله، وأن ما أصابه من مصيبة فهو بما كسبت يده، وما ظلمه الله، ولكن كان هو الظالم لنفسه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٢٠٠».

(٢) سورة فصلت، الآية «٣٦».

٤٩٣ وسئل : عن قول «لك الله»؟

فأجاب بقوله : لفظ «لك الله» الظاهر أنه من جنس «لله درك» وإذا كان من جنس هذا فإن هذا اللفظ جائز، ومستعمل عند أهل العلم وغيرهم، والأصل في هذا وشبهه الحل إلا ما قام الدليل على تحريمه، والواجب التحرز عن التحريم فيما الأصل فيه الحل.

٤٩٤ سئل فضيلة الشيخ : عن عبارة لم تسمح لي الظروف؟ أو لم يسمح لي الوقت؟

فأجاب قائلا : إن كان القصد أنه لم يحصل وقت يتمكن فيه من المقصود فلا بأس به، وإن كان القصد أن للوقت تأثيرا فلا يجوز.

٤٩٥ وسئل فضيلة الشيخ : عن حكم استعمال «لو»؟

فأجاب بقوله : استعمال «لو» فيه تفصيل على الوجوه التالية :

الوجه الأول : أن يكون المراد بها مجرد الخبر فهذه لا بأس بها مثل أن يقول الإنسان لشخص لو زرتني لأكرمتك، أو لو علمت بك لجئت إليك.

الوجه الثاني : أن يقصد بها التمني فهذه على حسب ما تمناه إن تمنى بها خيرا فهو مأجور بنيته، وإن تمنى بها سوى ذلك فهو بحسبه، ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وسلم، في الرجل الذي له مال ينفقه في سبيل الله وفي وجوه الخير ورجل آخر ليس عنده مال، قال لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : **«هما**

في الأجر سواء» والثاني رجل ذو مال لكنه ينفقه في غير وجوه الخير فقال رجل آخر: لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**هما في الوزر سواء**» فهي إذا جاءت للتمني تكون بحسب ما تمناه العبد إن تمنى خيرا فهي خير، وإن تمنى سوى ذلك فله ما تمنى.

الوجه الثالث: أن يراد بها التحسر على ما مضى فهذه منهي عنها، لأنها لا تفيد شيئا وإنما تفتح الأحزان والندم وفي هذه يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان**». وحقيقة أنه لا فائدة منها في هذا المقام لأن الإنسان عمل ما هو مأمور به من السعي لما ينفعه ولكن القضاء والقدر كان بخلاف ما يريد فكلمة «لو» في هذا المقام إنما تفتح باب الندم والحزن، ولهذا نهى عنها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يكون محزونا ومهموما بل يريد منه أن يكون منشرح الصدر وأن يكون مسرورا طليق الوجه، ونبه الله المؤمنين لهذه النقطة بقوله: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله**﴾[1]. وكذلك في الأحلام المكروهة التي يراها النائم في منامه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أرشد المرء إلى أن يتفل عن يساره ثلاث مرات، وأن يستعيذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وأن ينقلب إلى الجنب الآخر،

---

(١) سورة المجادلة، الآية «١٠».

وألا يحدث بها أحدا لأجل أن ينساها ولا تطرأ على باله قال «**فإن ذلك لا يضره**».

والمهم أن الشرع يحب من المرء أن يكون دائما في سرور، ودائما في فرح ليكون متقبلا لما يأتيه من أوامر الشرع، لأن الرجل إذا كان في ندم وهم وفي غم وحزن لاشك أنه يضيق ذرعا بما يلقى عليه من أمور الشرع وغيرها، ولهذا يقول الله ـ تعالى ـ لرسوله دائما: ﴿**ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون**﴾[1] ﴿**لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين**﴾[2] وهذه النقطة بالذات تجد بعض الغيورين على دينهم إذا رأوا من الناس ما يكرهون تجدهم يؤثر ذلك عليهم، حتى على عبادتهم الخاصة ولكن الذي ينبغي أن يتلقوا ذلك بحزم وقوة ونشاط فيقوموا بما أوجب الله عليهم من الدعوة إلى الله على بصيرة، ثم إنه لا يضرّهم من خالفهم.

٤٩٦ سئل الشيخ حفظه الله تعالى: عن هذه العبارة «لولا الله وفلان»؟

فأجاب قائلا: قرن غير الله بالله في الأمور القدرية بما يفيد الاشتراك وعدم الفرق أمر لا يجوز، ففي المشيئة مثلا لا يجوز أن تقول «ما شاء الله وشئت» لأن هذا قرن لمشيئة الله بمشيئة المخلوق بحرف يقتضي التسوية وهو نوع من الشرك، لكن لابد أن تأتي بـ«ثم» فتقول «ما شاء الله ثم شئت» كذلك أيضا إضافة الشيء إلى سببه مقرون بالله بحرف يقتضي التسوية ممنوع فلا تقول «لولا الله وفلان أنقذني لغرقت» فهذا حرام ولا يجوز

(١) سورة النحل، الآية «١٢٧».

(٢) سورة الشعراء، الآية «٣».

لأنــك جعلت السبب المخلوق مسـاويا لخالق السبب، وهـذا نوع من الشرك، ولكن يجوز أن تضيف الشيء إلى سببه بدون قرن مع الله فتقول «لولا فلان لغرقت» إذا كان السبب صحيحا وواقعا ولهذا قال الرسول، عليه الصلاة والسلام، في أبي طالب حين أخبر أن عليه نعلين يغلي منهما دماغه قال: «**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» فلم يقل لولا الله ثم أنا مع أنه ما كان في هذه الحال من العذاب إلا بمشيئة الله، فإضافة الشيء إلى سببـه المعلوم شرعا أو حسًّا جائز وإن لم يذكر معه الله ـ جلّ وعلاّ ـ، وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعا أو حسًّا جائز بشرط أن يكون بحرف لا يقتضي التسوية كـ«ثم» وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعا أو حسًّا بحرف يقتضي التسوية كـ«الواو» حرام ونوع من الشرك، وإضـافة الشيء إلى سبب موهوم غير معلوم حرام ولا يجوز وهو نوع من الشرك مثل العُقد والتمائم وما أشبهها فإضافة الشيء إليها خطأ محض، ونوع من الشرك لأن إثبات سبب من الأسباب لم يجعله الله سببا نوع من الإشراك به، فكأنك أنت جعلت هذا الشيء سببا والله ـ تعالى ـ لم يجعله فلذلك صار نوعا من الشرك بهذا الاعتبار.

٤٩٧ وسئل فضيلة الشيخ عن قولهم «المادة لا تفنى ولا تزول ولم تخلق من عدم»؟

فأجاب قائلاً: القول بأن المادة لا تفني وأنها لم تخلق من عدم كفر لا يمكن أن يقوله مؤمن، فكل شيء في السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عدم كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**الله خالق كل شيء**﴾[1] وليس

(١) سورة الزمر، الآية «٦٢».

هناك شيء أزلي أبدي سوى الله.

وأما كونها لا تفنى فإن عنى بذلك أن كل شيء لا يفنى لذاته فهذا أيضاً خطأ وليس بصواب؛ لأن كل شيء موجود فهو قابل للفناء، وإن أراد به أن من مخلوقات الله مالا يفنى بإرادة الله فهذا حق، فالجنة لا تفنى وما فيها من نعيم لا يفنى، وأهل الجنة لا يفنون، وأهل النار لا يفنون. لكن هذه الكلمة المطلقة «المادة ليس لها أصل في الوجود وليس لها أصل في البقاء» هذه على إطلاقها كلمة إلحادية فتقول المادة مخلوقة من عدم، فكل شيء سوى الله فالأصل فيه العدم.

أما مسألة الفناء فقد تقدم التفصيل فيها. والله الموفق.

٤٩٨ سئل فضيلة الشيخ: ماحكم قول «شاءت قدرة الله»، وإذا كان الجواب بعدمه فلماذا؟ مع أن الصفة تتبع موصوفها، والصفة لا تنفك عن ذات الله؟

فأجاب قائلاً: لا يصح أن نقول: «شاءت قدرة الله»؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة للشائي ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع هذه قدرة الله، كما نقول هذا خلق الله، وأما إضافة أمرٍ يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز.

وأما قول السائل: «إن الصفة تتبع الموصوف» فنقول: نعم، وكونها تابعة للموصوف تدل على أنه لا يمكن أن نسند إليها شيئا يستقل به الموصوف، وهي دارجة على لسان كثير من الناس، يقول شاءت قدرة الله كذا وكذا، شاء القدر كذا وكذا، وهذا لا يجوز؛ لأن القدر والقدرة أمران

معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدر.

٤٩٩ سئل فضيلة الشيخ عن هذه العبارة: «ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا»؟

فأجاب قائلاً: يقول الناس ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا، ويعنون ما توقعت وما ظننت أن يكون هكذا، وليس المعنى ما صدقت أن الله يفعل لعجزه عنه مثلاً، فالمعنى أنه ما كان يقع في ذهني هذا الأمر، هذا هو المراد بهذا التعبير، فالمعنى إذن صحيح لكن اللفظ فيه إيهام، وعلى هذا يكون تجنب هذا اللفظ أحسن لأنه موهم، ولكن التحريم صعب أن نقول حرام مع وضوح المعنى وأنه لا يقصد به إلا ذلك.

٥٠٠ سئل فضيلة الشيخ: عن قول الإنسان إذا شاهد جنازة: «من المتوفي» بالياء؟.

فأجاب بقوله: الأحسن أن يقال من المتوفى؟ وإذا قال من المتوفي؟ فلها معنى في اللغة العربية، لأن هذا الرجل توفى حياته وأنهاها.

٥٠١ سئل فضيلة الشيخ: عن قول «إن فلانًا له المثل الأعلى»، أو «فلان كان المثل الأعلى»؟.

فأجاب بقوله: هذا لا يجوز على سبيل الإطلاق، إلا لله ـ سبحانه وتعالى ـ، فهو الذي له المثل الأعلى، وإما إذا قال: «فلان كان المثل الأعلى في كذا وكذا»، وقيده فهذا لا بأس به.

٥٠٢ سئل فضيلة الشيخ: ما حكم قولهم «دفن في مثواه الأخير»؟

فأجاب قائلاً: قول القائل «دفن في مثواه الأخير» حرام ولا يجوز لأنك إذا قلت في مثواه الأخير فمقتضاه أن القبر آخر شيء له، وهذا يتضمن إنكار البعث، ومن المعلوم لعامة المسلمين أن القبر ليس آخر شيء، إلا عند الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، فالقبر آخر شيءٍ عندهم، أما المسلم فليس آخر شيء عنده القبر وقد سمع أعرابي رجلاً يقرأ قوله - تعالى -: ﴿**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر**﴾[1] فقال: «والله ما الزائر بمقيم» لأن الذي يزور يمشي فلابد من بعث وهذا صحيح.
لهذا يجب تجنب هذه العبارة فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير، لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة.

٥٠٣ وسئل عن قول: «مسيجيد، مصيحيف»؟

فأجاب قائلاً: الأولى أن يُقال المسجد والمصحف بلفظ التكبير لا بلفظ التصغير، لأنه قد يوهم الاستهانة به.

٥٠٤ سئل فضيلة الشيخ: عن إطلاق المسيحية على النصرانية؟ والمسيحي على النصراني؟.

فأجاب بقوله: لا شك أن انتساب النصارى إلى المسيح بعد بعثة النبي، صلى الله عليه وسلم، انتساب غير صحيح لأنه لو كان صحيحًا

(١) سورة التكاثر، الآية «١».

لآمنوا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، فإن إيمانهم بمحمد، صلى الله عليه وسلم، إيمان بالمسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، لأن الله - تعالى - قال: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾[1] ولم يبشرهم المسيح عيسى ابن مريم بمحمد، صلى الله عليه وسلم، إلا من أجل أن يقبلوا ماجاء به لأن البشارة بما لا ينفع لغو من القول لايمكن أن تأتي من أدنى الناس عقلاً، فضلاً عن أن تكون صدرت من عند أحد الرسل الكرام أولو العزم عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وهذا الذي بشر به عيسى ابن مريم بني اسرائيل هو محمد، صلى الله عليه وسلم، وقوله: ﴿**فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾. وهذا يدل على أن الرسول الذي بشر به قد جاء ولكنهم كفروا به وقالوا هذا سحرٌ مبين، فإذا كفروا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، فإن هذا كفر بعيسى ابن مريم الذي بشرهم بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وحينئذٍ لا يصح أن ينتسبوا إليه فيقولوا إنهم مسيحيون، إذ لو كانوا حقيقة لآمنوا بما بشر به المسيح ابن مريم لأن عيسى ابن مريم وغيره من الرسل قد أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، كما قال الله - تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه**﴾[2]. قال: ﴿**أأقررتم وأخذتم على**

(١) سورة الصف، الآية «٦».

(٢) سورة آل عمران، الآية «٨١».

ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[1] والـذي جاء مصـدقا لما معهم هو محمد، صلى الله عليه وسلم، لقوله ـ تعـالى: ﴿**وأنـزلنـا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**﴾[2].

وخلاصة القول أن نسبة النصارى إلى المسيح عيسى ابن مريم نسبة يكذبها الواقع، لأنهم كفروا ببشارة المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهو محمد، صلى الله عليه وسلم، وكفرهم به كفر بعيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام.

٥٠٥ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم قول «فلان المغفور له»، «فلان المرحوم»؟.

فأجاب بقوله: بعض الناس ينكر قول القائل «فلان المغفور له، فلان المرحوم» ويقولون: إننا لا نعلم هل هذا الميت من المرحومين المغفور لهم أو ليس منهم؟ وهذا الإنكار في محله إذا كان الإنسان يخبر خبراً أن هذا الميت قد رحم أو غفر له، لأنه لا يجوز أن نخبر أن هذا الميت قد رحم، أو غفر له بدون علم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾[3] لكن الناس لا يريدون بذلك الإخبار قطعاً، فالإنسان الذي يقول المرحوم الوالد، المرحومة الوالدة ونحو ذلك لا يريدون بهذا الجزم أو الإخبار بأنهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية «٨١».

(٢) سورة المائدة، الآية «٤٨».

(٣) سورة الاسراء، الآية «٣٦».

مرحومون، وإنما يريدون بذلك الدعاء أن الله ـ تعالى ـ قد رحمهم والرجاء، وفرق بين الدعاء والخبر، ولهذا نحن نقول فلان رحمه الله، فلان غفر الله له، فلان عفا الله عنه، ولا فرق من حيث اللغة العربية بين قولنا «فلان المـرحوم» و «فلان رحمه الله» لأن جملة «رحمه الله» جملة خبرية، والمرحوم بمعنى الذي رحم فهي أيضًا خبرية، فلا فرق بينهما أي بين مدلوليهما في اللغة العربية فمن منع «فلان المرحوم» يجب أن يمنع «فلان رحمه الله».

على كل حال نقـول لا إنكـار في هذه الجملة أي في قولنا «فلان المرحوم، فلان المغفور له» وما أشبه ذلك لأننا لسنا نخبر بذلك خبرًا ونقول إن الله قد رحمه، وإن الله قد غفر له، ولكننا نسأل الله ونرجوه فهو من باب الرجاء والدعاء وليس من باب الإخبار، وفرق بين هذا وهذا.

٥٠٦ وسئل فضيلة الشيخ: عن هذه العبارة: «المكتوب على الجبين لابد تراه العين»؟.

فأجاب بقوله: هذا وردت فيه آثار أنه يكتب على الجبين مايكون على الإنسان، لكن الآثار هذه ليست إلى ذاك في الصحة، بحيث يعتقد الإنسان مدلولها، فالأحاديث الصحيحة أن الإنسان يكتب عليه في بطن أمّه أجله، وعمله، ورزقه، وشقي أم سعيد.

٥٠٧ سئل فضيلة الشيخ: عن قول الإنسان إذا خاطب ملكاً «يامولاي»؟

فأجاب بقوله: الولاية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ولاية مطلقة وهذه لله عز وجل كالسيادة المطلقة، وولاية الله بالمعنى العام شاملة لكل أحد قال الله تعالى: ﴿**ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرعُ الحاسبين**﴾(١) فجعل له سبحانه الولاية على هؤلاء المفترين، وهذه ولاية عامة، وأما بالمعنى الخاص فهي خاصة بالمؤمنين المتقين قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾(٢) وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾(٣) وهذه ولاية خاصة.

القسم الثاني: ولاية مقيدة مضافة، فهذه تكون لغير الله، ولها في اللغة معان كثيرة منها الناصر، والمتولي للأمور، والسيد، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**﴾(٤) وقال، صلى الله عليه وسلم، «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» وقال، صلى الله عليه وسلم، «**إنما الولاء لمن اعتق**».

وعلى هذا فلا بأس أن يقول القائل للملك: مولاي بمعنى سيدي مالم يخش من ذلك محذور.

---

(١) سورة الأنعام، الآية «٦٢».

(٢) سورة محمد، الآية «١١».

(٣) سورة يونس، الآيتان «٦٢، ٦٣».

(٤) سورة التحريم، الآية «٤».

٥٠٨ وسئل فضيلة الشيخ: يحتجّ بعض الناس إذا نُهي عن أمر مخالف للشريعة أو الآداب الإسلامية بقوله: «الناس يفعلون كذا»؟

فأجاب بقوله: هذا ليس بحجة لقوله ـ تعالى ـ: **﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾**[1]. ولقوله: **﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾**[2]. والحجة فيما قاله الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، أو كان عليه السلف الصالح.

٥٠٩ وسئل فضيلة الشيخ: عن قول الإنسان لضيفه: «وجه الله إلا أن تأكل»؟

فأجاب بقوله: لا يجوز لأحد أن يستشفع بالله ـ عزّ وجلّ ـ إلى أحد من الخلق، فإن الله أعظم وأجل من أن يستشفع به إلى خلقه، وذلك لأن مرتبة المشفوع إليه أعلى من مرتبة الشافع والمشفوع له، فكيف يصح أن يجعل الله ـ تعالى ـ شافعًا عند أحد؟!.

٥١٠ سئل الشيخ: عن قولهم «هذا نوء محمود»؟

فأجاب بقوله: هذا لا يجوز وهو يشبه قول القائل مطرنا بنوء كذا وكذا الذي قال فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن الله ـ عزّ وجلّ ـ: **«من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب»**.

---

(١) سورة الأنعام، الآية «١١٦».

(٢) سورة يوسف، الآية «١٠٣».

والأنواء ماهي إلا أوقات لا تحمد ولا تذم، وما يكون فيها من النعم والرخاء فهو من الله ـ تعالى ـ وهو الذي له الحمد أولاً وآخراً، وله الحمد على كل حال.

٥١١ وسئل فضيلة الشيخ ـ حفظه الله ـ: عن قول «لا حول الله»؟

فأجاب قائلاً: قول «لا حول الله»، ما سمعت أحدًا يقولها وكأنهم يريدون «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فيكون الخطأ فيها في التعبير، والواجب أن تعدل على الوجه الذي يُراد بها، فيقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

٥١٢ سئل فضيلة الشيخ: ما رأيكم في هذه العبارة «لا سمح الله»؟

فأجاب قائلاً: أكره أن يقول القائل «لا سمح الله» لأن قوله «لا سمح الله» ربما توهم أن أحدًا يجبر الله على شيء فيقول «لا سمح الله» والله ـ عزّ وجلّ ـ كما قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: «**لا مكره له**». قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: «**لا يقول أحدكم اللهم اغفرلي أن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة فإن الله لا مكره له، ولا يتعاظمه شيء أعطاه**» والأولى أن يقول: «لا قدر الله» بدلاً من قوله: «لا سمح الله» لأنه أبعد عن توهم مالا يجوز في حق الله ـ تعالى ـ.

٥١٣ سئل فضيلة الشيخ غفر الله له: ما حكم قول «لا قدر الله»؟

فأجاب بقوله: «لا قدر الله» معناه الدعاء بأن الله لا يقدر ذلك، والدعاء بأن الله لا يقدر هذا جائز، وقول «لا قدر الله» ليس معناه نفي أن يقدر الله ذلك، إذ أن الحكم لله يقدر ما يشاء، لكنه نفي بمعنى الطلب فهو خبر بمعنى الطلب بلاشك، فكأنه حين يقول «لا قدر الله» أي أسأل الله أن لا يقدره، واستعمال النفي بمعنى الطلب شائع كثير في اللغة العربية وعلى هذا فلا بأس بهذه العبارة.

٥١٤ سئل فضيلة الشيخ: عن قول بعض الناس إذا مات شخص ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضية﴾؟

فأجاب بقوله: هذا لا يجوز أن يُطلق على شخص بعينه، لأن هذه شهادة بأنه من هذا الصنف.

٥١٥ سئل فضيلة الشيخ: ما رأيكم في قول بعض الناس «يا هادي، يادليل»؟

فأجاب بقوله: «يا هادي، يا دليل» لا أعلمها من أسماء الله، فإن قصد به الإنسان الصفة فلا بأس كما يقول اللهم يامجري السحاب، يا منزل الكتاب وما أشبه ذلك، فإن الله يهدي من يشاء و «الدليل» هنا بمعنى الهادي.

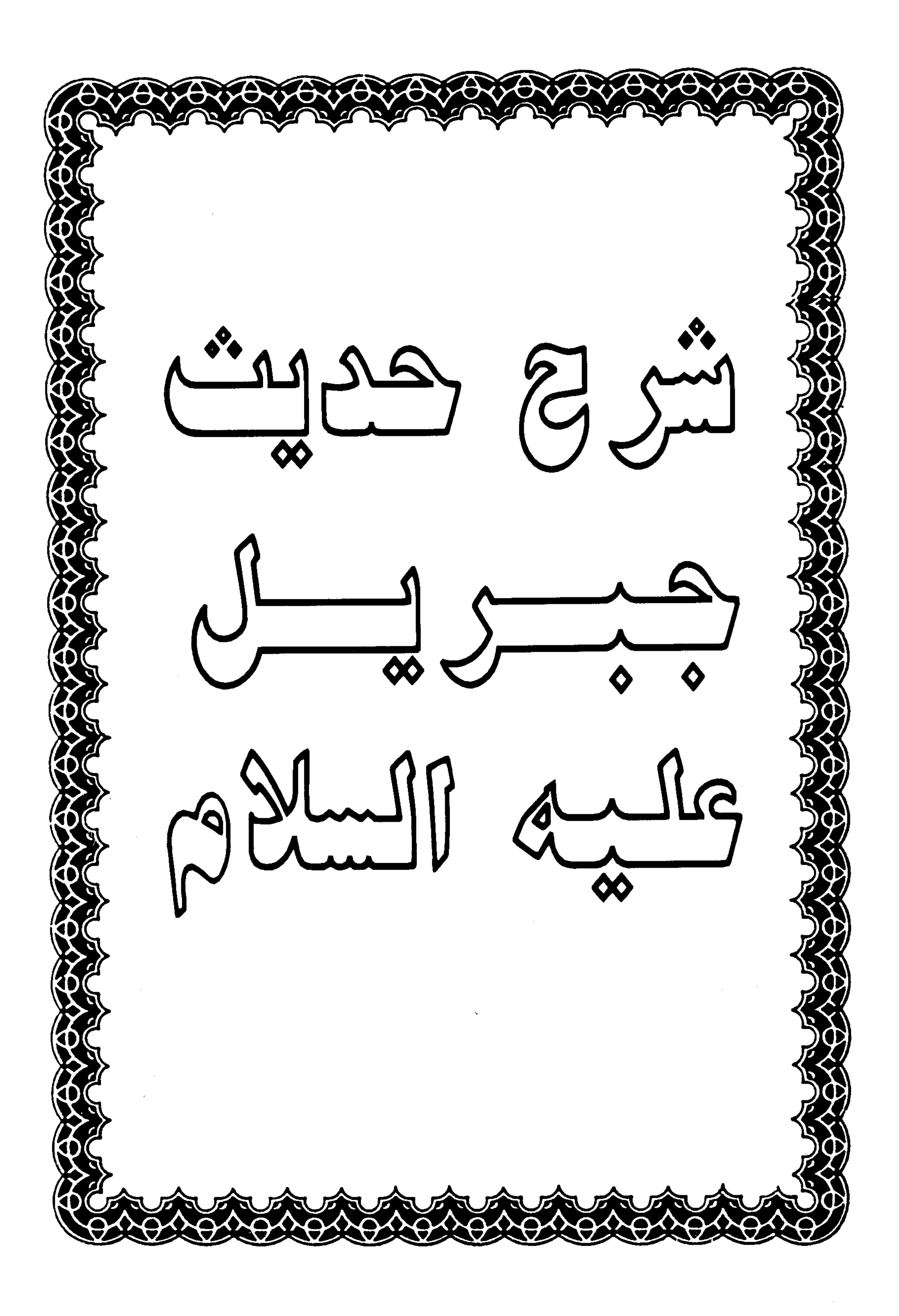
[٥١٦] وسئل غفر الله له: عن قول بعض الناس «يعلم الله كذا وكذا»؟

فأجاب بقوله: قول «يعلم الله» هذه مسألة خطيرة، حتى رأيت في كتب الحنفية أن من قال عن شيء يعلم الله والأمر بخلافه صار كافراً خارجاً عن الملة، فإذا قلت «يعلم الله أني ما فعلت هذا» وأنت فاعله فمقتضى ذلك أن الله يجهل الأمر، «يعلم الله أني مازرت فلاناً» وأنت زائره صار الله لا يعلم بما يقع، ومعلوم أن من نفى عن الله العلم فقد كفر، ولهذا قال الشافعي ـ رحمه الله ـ في القدرية قال: «جادلوهم بالعلم فإن أنكروه كفروا، وإن أقروا به خصموا» ا. هـ. والحاصل أن قول القائل «يعلم الله» إذا قالها والأمر على خلاف ما قال فإن ذلك خطير جداً وهو حرام بلاشك.

أما إذا كان مصيباً، والأمر على وفق ما قال فلا بأس بذلك، لأنه صادق في قوله ولأن الله بكل شيء عليم كما قالت الرسل في سورة يس **﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾**[1].

---

(١) سورة يس، الآية «١٦».


شرح حديث
جبريل
عليه السلام





نص الحديث

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «**بينما نحن عند رسول الله، ﷺ، ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لايرى عليه أثر السفر، ولايعرفه منَّا أحد، حتى جلس إلى النبي، ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه قال: يامحمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله، ﷺ: «الإسلام، أن تشهد أن لا إلـه إلَّا الله، وأنَ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ماالمسئول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمَة ربتَّها، وأن ترى الحفاة العُراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». قال: ثم انطلق فلبثت مليًا ثم قال لي: «ياعمر أتدري من السائل»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم**».

إن الحمد لله، نحمد، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد

أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى، ودين الحق، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح، الأمّة وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون: سأل جبريل النبي، ﷺ، عن الإيمان بعد أن سأله عن الإسلام قال فأخبرني عن الإيمان؟ فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

والإيمان هو: «الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان» أما مجرد أن يؤمن الإنسان بالشيء بدون أن يكون لديه قبول وإذعان، فهذا ليس بإيمان، بدليل أن المشركين مؤمنون بوجود الله ومؤمنون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر للأمور، وكذلك أيضًا فإن الواحد منهم قد يُقرُّ برسالة النبي، ﷺ، ولايكون مؤمنًا، فهذا أبو طالب عم النبي، ﷺ، كان يقر بأن النبي، ﷺ، صادق وأن دينه حق يقول:

لقد علموا أن ابننا لامكذب ... لدينا ولايعنى بقول الأباطر

وهذا البيت عن لاميته المشهورة الطويلة التي قال عنها ابن كثير: ينبغي أن تكون إحدى المعلَقات في الكعبة، ويقول أيضًا:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحًا بذلك مبينًا

فهذا إقرار بأن دين الرسول، ﷺ، حق، لكن لم ينفعه ذلك، لأنه لم يقبله ولم يذعن له فكان ـ والعياذ بالله ـ بعد شفاعة النبي، ﷺ، في ضحضاح من نار، وعليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه ـ نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم من النار ـ وهو أهون الناس عذابًا لكنه يرى أنه أشدهم

عذابًا، وكونه يرى أنه أشدهم عذابًا فهذا تعذيب نفسي قلبي، لأن الإنسان إذا رأى غيره مثله في العذاب أو دونه يهون عليه ماهو فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلَنْ ينفعكُم اليوم إذ ظَلمتم أنكم في العذاب مُشْتركون**﴾[1].

وعلى هذا فنقول: إن الإيمان ليس مجرد الاعتراف، بل لابد من الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان، ولقد عجبت أيما عجب حينما صعد جاجارين الروسي إلى الفضاء، وقال بعد أن صعد الفضاء ورأى وشاهد الآيات العظيمة، قال: إن لهذا الكون مدبرًا، ومع ذلك فلم يؤمن..

الركن الأول: الايمان بالله

قال رسول الله، ﷺ: «**أن تؤمن بالله**». والإيمان بالله - عز وجل - يتضمن الإيمان بأربعة أمور:

الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبية الله، والإيمان بألوهية الله، والإيمان بأسمائه وصفاته.

أولا: الإيمان بوجود الله:

وهو أن تؤمن بأن الله تعالى موجود، والدليل على وجوده العقل، والحس والفطرة، والشرع.

أولا الدليل العقلي: فالدليل العقلي على وجود الله - عز وجل - أن نقول: هذا الكون الذي أمامنا ونشاهده على هذا النظام البديع الذي لايمكن أن يضطرب ولا يتصادم ولايسقط بعضه بعضًا بل هو في غاية مايكون من النظام ﴿**لَا الشَّمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار**﴾[2]

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٠.

فهل يعقل أن هذا الكون العظيم بهذا النظام البديع يكون خالقًا لِنَفْسِه؟ كلا لايقعل، لأنه لايمكن أن يكون خالقًا لنفسه إذ إن معنى ذلك أنه عدم أوجد موجودًا، ولايمكن للعدم أن يوجد موجودًا، إذن فيستحيل أن يكون هذا الكون موجدًا لنفسه، ولايمكن أيضًا أن يكون هذا الكون العظيم وجد صدفة، لأنه على نظام بديع مطرد، وماجاء صدفة فالغالب أنه لايطرد ولايمكن أن يأتي صدفة لكن على التنزل.

ويذكر عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وكان معروفًا بالذكاء أنه جاءه قوم دهريون يقولون له: أثبت لنا وجود الله فقال: دعوني أفكِّر، ثم قال لهم: إني أفكِّر في سفينة أرست في ميناء دجلة وعليها حمل فنزل الحمل بدون حمَّال، وانصرفت السفينة بدون قائد، فقالوا كيف تقول مثل ذلك الكلام فإن ذلك لايعقل ولايمكن أن نصدقه؟ فقال: إذا كنتم لاتصدقون بها فكيف تصدقون بهذه الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، كيف يمكن أن تصدِّقوا أنها وجدت بدون موجد؟!.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدليل العقلي بقوله: **﴿أَمْ خُلقوا من غَيْر شيء أم هُمْ الخالقُون﴾**[1]

وسُئل أعرابي فقيل له: بم عرفت ربك؟ والأعرابي لا يعرف إلا ماكان أمامه فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبـراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ بلى.

ثانيًا: الدليل الحسي: فهو مانشاهده من إجابة الدعاء مثلاً فالإنسان يدعو الله ويقول ياالله فيجيب الله دعاءه ويكشف سوءه ويحصل

(١) سورة الطور، الآية: ٣٥.

له المطلوب وهو إنما قال: ياالله.إذن هناك رب سمع دعاءه، وأجابه، وماأكثر مانقرأ نحن المسلمين في كتاب الله أنه استجاب لأنبياء الله: ﴿**وَنُوحًا إذ نادَى من قبل فاستجبنا له**﴾[1]، ﴿**وأيُّوب إذ نادى ربَّهُ أنِّي مَّسني الضر وأنت أرحم الرٰحمين فاستجبنا له**﴾[2]. والآيات في هذه كثيرة والواقع يشهد بهذا.

ثالثًا: الدليل الفطري: فإن الإنسان بطبيعته إذا أصابه الضر قال: (ياالله) حتى إننا حُدثنا أن بعض الكفَّار الموجودين الملحدين إذا أصابه الشيء المهلك بغتة يقول على فلتات لسانه: (ياالله) من غير أن يشعر، لأن فطرة الإنسان تدله على وجود الرب ـ عز وجل ـ ، ﴿**وإذ أخذْ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**﴾[3]

رابعًا: الدليل الشرعي: وأما الأدلة الشرعية فحدث ولاحرج، كل الشرع إذا تأمَّله الإنسان علم أن الذي أنزله وشرعه هو الرب ـ عز وجل ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أفلا يتدبَّرون القرآن ولو كانَ مِنْ عند غَير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً**﴾[4] فائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضًا كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله ـ عز وجل ـ وكون هذا الدين بل كون جميع الأديان التي أنزلها الله ـ عز وجل ـ موافقة تمامًا لمصالح العباد دليل أنها من عند الله ـ عز وجل ـ.

ولكن حصل على جميع الأديان تحريف وتبديل وتغيير من المخالفين

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.

لشرائعه: ﴿يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه﴾[1] لكن الدين الذي نزل على الأنبياء كله يشهد بوجود الله ـ عز وجل ـ وحكمته وعلمه.

ثانيا: الإيمان بربوبيته:

ومعنى (الرب): أي الخالق، والمالك، والمدبر، فهذا معنى ربوبية الله ـ عز وجل ـ، ولايغني واحد من هذه الثلاثة عن الآخر، فهو الخالق الذي أوجد الأشياء من عدم ﴿بديع السَّموات والأرض﴾[2]، ﴿الحمد لله فَاطِر السمَوات الأرض﴾[3] فالذي أوجد الكون من العدم هو الله الخالق، المالك أي خلق الخلق وانفرد بملكه له كما انفرد بخلقه له، وتأمَّل قول الله ـ تعالى ـ في سورة الفاتحة: ﴿مالك يَوْمِ الدِّين﴾. وفي قراءة أخرى سبعية: ﴿مَلِك يَوْمِ الدِّين﴾[4] وهي قراءة سبعية متواترة، وإذا جمعت بين القراءتين ظهر معنى بديع، الملك أبلغ من المالك في السلطة والسيطرة، لكن الملك أحيانًا يكون ملكًا بالإسم لا بالتصرف، وحينئذٍ يكون ملكًا غير مالك، فإذا اجتمع أن الله تعالى: مَلِكِ ومالك تم بذلك الأمر: الملك، والتدبير.

ولهذا نقول: إن الله ـ عز وجل ـ منفرد بالملك، كما انفرد بالخلق، كذلك أيضًا منفرد بالتدبير، فهو المدبِّر لجميع الأمور وهذا بإقرار المشركين، فإنهم إذا سُئلوا من يدبِّر الأمور؟ فسيقولون: الله. فهو المنفرد بالتدبير: ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ مِن السَّماء إلى الأرض ثُمَّ يَعْرُجُ إليْهِ﴾[5]

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
(٥) سورة السجدة، الآية: ٥.

سُئل أعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم. فالإنسان يعزم أحيانًا على الشيء عزمًا وتصميمًا أكيدًا وفي لحظة يجد نفسه قد عزم على تركه ونقض العزم، وقد يهم الإنسان بالشيء متجهًا إليه ثم ينصرف بدون سبب، وهذا يدل على أن للأشياء مدبرًا فوق تدبيرك أنت، وهو الله ـ عز وجل ـ.

فإن قال قائل: كيف تقول إن الله منفرد بالخلق، مع أنه أثبت الخلق للمخلوق وسمى المخلوق خالقًا. قال سبحانه: ﴿**ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[1] وفي الحديث عن النبي، ﷺ، يقال للمصورين: «**أحيوا ماخلقتم**»؟.

فالجواب: أن خلق الإنسان ليس خلقًا في الحقيقة، لأن الخلق هو الإيجاد من العدم، والإنسان عندما يخلق لايُوجد من عدم، لكن يغير الشيء من صورة إلى صورة أخرى.

وكذلك (الملك) فإن قال قائل: كيف تقول: إن الله منفرد بالملك مع أن الله ـ سبحانه ـ أثبت الملك لغيره فقال: ﴿**إلَّا عَلَى أزواجهم أو ماملكت أيمانُهُم**﴾[2] وقال: ﴿**أو ماملكتم مفاتحه**﴾؟[3]

فالجواب: أن يقال: إن مُلك الإنسان ليس كملك الله، لأن ملك الله ـ عز وجل ـ شامل لكل شيء، ولأن ملك الله ـ تعالى ـ ملك مطلق غير مقيد، أما ملك الإنسان للشيء فهو غير شامل، فمثلًا الساعة التي معى لاتملكها أنت/ والساعة التي معك لاأملكها أنا، فهو ملك محدود ليس

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٦١.

شاملاً، كذلك أيضًا ليس ملكًا مطلقًا فأنا لايمكنني أن أتصرف في ساعتي كما أريد، لأنني مقيد بالشرع الذي هو المصلحة، فلو أراد إنسان تكسير ساعته مثلاً فإن ذلك لايجوز ولايملك شرعًا أن يفعل ذلك، لأن النبي، ﷺ، نهى عن إضاعة المال فكيف بإتلافه؟

ولهذا قال العلماء: إن الرجل لو كان بالغًا عاقلاً له زوجة وأولاد، وهو سفيه في المال لايتصرف فيه تصرف الرشيد فإنه يحجر على ماله.

لكن الله ـ عز وجل ـ يتصرَّف في ملكه كما يشاء، يحيي ويميت، ويمرض ويشفى، ويغني ويفقر، ويفعل مايشاء على أننا نؤمن بأنه ـ عز وجل ـ لايفعل الشيء إلا لحكمة.

إذن فهناك فارق بين ملك الخالق وملك المخلوق. وبهذا عرفنا أن قولنا: إن الله منفرد بالملك قول صحيح لايستثني منه شيء.

وكذلك التدبير، فإنه قد يكون للإنسان، فإنه يدبر مثل أن يدبِّر خادمه أو مملوكه، أو سيارته، أو ماشيته فله تدبير، لكن هذا التدبير ليس كتدبير الله، فهو تدبير ناقص ومحدود. ناقص إذ لايملك التدبير المطلق في ماله فأحيانا يدبِّر البعير لكن البعير تعصيه، وأحيانًا يدبِّر الإنسان ابنه فيعصيه كذلك، وكذلك هو تدبير محدود فلا يمكن أن يدبر الإنسان إلا ماله السيطرة والسلطة عليه التي جعلها الشارع له وبهذا صح أن نقول: إن الله منفرد بالتدبير كما قلنا إنه منفرد بالخلق، والملك.

ثالثا: الإيمان بألوهيته:

وهو أن يؤمن الإنسان بأنه سبحانه هو الإله الحق، وأنه لايشاركه أحد في هذا الحق لاملك مقرَّب، ولا نبي مرسل، ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هي الدعوة إلى قول: (**لا إله إلا الله**).

﴿ومـاأرسلنـا من قبلك من رسـول إلا نوحي إليـه أنَّـه لا إلـه إلا أنـا فاعبدون﴾[1] ﴿ولقد بعثنا في كل أمَّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[2]

لو أن أحدًا آمن بوجود الله، وآمن بربوبية الله، ولكنه يعبد مع الله غيره فلا يكون مؤمنًا بالله حتى يفرده ـ سبحانه ـ بالألوهية.

وقد يقول قائل: إن الله ـ تعالى ـ أثبت وصف الألوهية لغيره فقال ـ تعـالى ـ عن إبـراهيم: ﴿أئفكـا آلهـة دون الله تريدون﴾[3] وقال تعالى: ﴿ولاتدع مع الله إلهًا آخر﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات فكيف يصح أن تقول: إن الله متفرِّد بالألوهية؟

فالجـواب: أن الألوهية المثبتة لغير الله ألوهية باطلة، ولهذا صح نفيها نفيًا مطلقًا في مثل قول الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم: ﴿اعْبُدوا الله مالكُم من إلـه غيْرُه﴾[5]، لأنها آلهـة باطلة: ﴿ذَلِكَ بأنَّ الله هُوَ الحقُّ وأنَّ مايدْعُونَ من دُونِه هُوَ الْبَاطِلُ وأنَّ الله هُوَ العَلي الكبير﴾[6]

رابعا: الإيمان بأسمائه وصفاته:

وهذا معترك الفرق المنتسبة للإسلام بالنسبة لإفراد الله ـ تعالى ـ بالأسماء والصفات، فقد انقسموا إلى فرق شتى أصولها ثلاثة:

الأول: الإيمان بالأسماء دون الصفات.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٨٦.

(٤) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٦) سورة الحج، الآية: ٦٢.

الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات.

الثالث: الإيمان بالأسماء وبعض الصفات.

وهناك غلاة ينكرون حتى الأسماء، فيقولون «إن الله ـ عز وجل ـ ليس له أسماء ولا صفات» لكننا تركناها لأنَّها متشعبة.

السلف الصالح الذين كانوا على ماكان عليه النبي، ﷺ، وأصحابه يقرون بالأسماء والصفات اتِّباعًا لما جاء في كلام الله ـ عز وجل ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**ولله الأسْمَاء الحُسنى فادْعُوه بها**﴾[1] وهذا دليل إثبات الأسماء لله تعالى، وأما الدليل على إثبات الصفات فقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولله المثلُ الأعلى**﴾[2] ومعنى ﴿المثل الأعلى﴾ أي الوصف الأكمل، ففي الآيتين عمومان: **أحدهما**: في الأسماء. **والآخر**: في الصفات. أما التفاصيل فكثيرة في القرآن والسنة.

وهناك من يثبت الأسماء دون الصفات فيقول: إن الله سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وهذا هو المشهور في مذهب المعتزلة.

والفريق الثالث: يثبت الأسماء وبعض الصفات، فيثبت من الصفات سبعًا وينكر الباقي، والسبع هي:

١ ـ الحياة.

٢ ـ والعلم.

٣ ـ والقدرة.

٤ ـ والسمع.

٥ ـ والبصر.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة النحل الآية: ٦٠.

٦ ـ والإرادة.

٧ ـ الكلام.

جمعها السفاريني في عقيدته بقوله:

له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة وعلم واقتدر
بقدرة تعلقت بممكن كذا إرادة

يقولون: إن هذه الصفات دل عليها العقل فنثبتها، وما عداها فالعقل لايدل عليها فلا نثبتها.

فيقولون: إن الموجودات دالة على إيجاد، والإيجاد يدل على القدرة، فلا يمكن إيجاد بلا قدرة وهذا دليل عقلي، و يقول إن التخصيص يدل على ارادة أي كون هذه شمس، وهذا قمر، وهذه سماء، وهذه أرض كل ذلك يدل على إرادة وأن الذي خلقها أراد أن تكون على هذا الوجه، وهذا دليل عقلي أيضًا.

وإذا نظرنا في الخلق وجدناه خلقًا محكمًا متقنًا، والإحكام يدل على العلم، لأن الجاهل لايتقن.

فثبتت الآن ثلاث صفات: القدرة، والإرادة، والعلم.

ثم قالوا: إن هذه الثلاث لاتقوم إلا بحي ومن ثم ثبت أنه حي، فالحي إما أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا، أو أعمى أصمًا أخرسًا، والصمم، والعمي، والخرس صفات نقص، والسمع، والبصر، والكلام صفات كمال، فوجب ثبوت الكمال للحي.

فهذه أدلتهم وهي أدلة عقلية، فلذلك أثبتوا هذه الصفات السبع.

فإذا قيل له: تُثبت لله رحمة؟ قال: لاأثبت له الرحمة، لأني أفسرها بما أعتقد وأقول: الرحمة إرادة الإحسان، أو هو الإحسان نفسه، فلا يفسرها بصفة.

ولكن نقول: هذا خطأ بل نحن نستدل بالعقل على ثبوت الرحمة بما نشاهد من آثارها، فالنعم التي لاتعد، والنقم التي تدفع عنَّا هي بسبب الرحمة، ودلالة هذه النعم على صفة الرحمة أقوى من دلالة التخصيص على صفة الإرادة، لأن دلالة هذه النعم على الرحمة يعرفها العامي والخاص، ومع هذا فينكر هؤلاء صفة الرحمة ويثبتون صفة الإرادة.

وبذلك تعرف أن كل من حاد عن طريق السلف فهو في تناقض مطرد، لأن الباطل لايأتلف أبدًا: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾[1]

وموقفنا نحن من الإيمان بأسماء الله وصفاته، أن نثبت ماأثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وأن ننزه هذا الإثبات عن محظورين عظيمين وهما: التمثيل، والتكييف، ودليل ذلك السمع والعقل قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[2]. ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾[3]. ﴿**هل تعلم له سميا**﴾[4]، ﴿**فلا تجعلوا لله أندادا**﴾[5] والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

أما العقل، فإننا نقول: لا يعقل أبدًا أن يكون الخالق مماثلاً للمخلوق لما بينهما من التباين العظيم، فالخالق موجد، والمخلوق موجد، والخالق أزلي أبدي الوجود، والمخلوق جائز الوجود قابلاً للفناء بل هو فان قال ـ تعالى ـ: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[6]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٤.

(٤) سورة مريم، الآية: ٩٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٦) سورة الرحمن، الآية: ٢٦ ـ ٢٧.

قال بعض السلف ـ رحمهم الله ـ: إذا قرأت هذه الآية: ﴿**كل من عليها فان**﴾[1] فلا تقف عليها فصلها بما بعدها: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[2] ليتميز الفرقان المبين بين الخالق والمخلوق، وليعرف كمال الله ـ عز وجل ـ ونقص ماسواه.

لكن لو قال لنا قائل: مما وصف الله به نفسه أن له وجه كما قال سبحانه: ﴿**ويبقى وجه ربك**﴾[3] وأنا لاأعقل من الوجه إلا مثل وجه المخلوق فيلزم من إثبات الوجه لله التمثيل، لأن القرآن عربي، والوجه هو مايتعارف بين الناس وأكمل الوجوه وجوه البشر، فوجه الله كوجه الإنسان مثلاً فماذ نقول له؟

نقول له: إن هذا الفهم فهم خاطيء، لأن الوجه مضاف إلى الله، والمضاف بحسب المضاف إليه، فوجه الله يليق بالله، ووجه الإنسان يليق بالإنسان، ونقول له أيضًا: أنت لك وجه، والأسد نه وجه، والهر له وجه، فإذا قلنا وجه الإنسان، ووجه الأسد، ووجه الهر، فهل يلزم من ذلك التماثل؟! فلا أحد يقول: إن وجهه يماثل وجه الهر، أو الأسد أبدًا.

إذن نعرف من هذا أن الوجه بحسب مايضاف إليه، فإثباتنا لصفات الله ـ عز وجل ـ لايستلزم إبدًا المماثلة بين الخالق والمخلوق بدليل السمع وبدليل العقل.

الثاني: التكييف: أي أن صفات الله ـ عز وجل ـ لاتكيف تقديرًا بالجنان ولا نطقًا باللسان، ودليل ذلك سمعي وعقلي أيضًا.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

الدليل السمعي قوله ـ تعالى ـ: **﴿ولايحيطون به علما﴾**[1]، وقوله: **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾**[2] على أحد التفسيرين وقوله ـ تعالى ـ: **﴿قل إنما حرَّم ربي الفـواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾**[3] وقوله: **﴿ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾**[4] فمن كيَّف صفة الله فقد قال على الله مالا يعلم.

أما الدليل العقلي لامتناع التكييف فإننا نقول: لايمكن لأي إنسان أن يعرف كيفية الشيء إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو الخبر الصادق عنه.

مثل: لو أني شاهدت مسجلاً بعينه فإني أعرف كيفيته لأنني شاهدته بعيني أو مشاهدة نظيره مثل أن يأتيني رجل ويقول: عندي سيارة واشتريتها موديل ٨٨ مثلاً، وصفتها كذا، ولونها كذا، فإنه يمكني معرفة هذه السيارة، مع أني لم أشاهدها، لأني أعرف نظيرها وأشاهده.

ومثال الخبر الصادق عندي مثل: أن يأتيني رجل ويقول عندي بعير صفته كذا وكذا، وعليه الوسم الفلاني، فهذا عرفت كيفيته بالخبر الصادق.

إذا طبَّقنا هذه القاعدة العقلية على صفات الله ـ عز وجل ـ، فإنه لايمكن أن نعرف صفات الله ـ عز وجل ـ بهذه الوسائل الثلاث، لأننا لم

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

نشاهد ولم نشاهد نظيراً ولم نخبر عنه.

ولهذا قال بعض العلماء إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل؟.

فقل: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، فعلينا أن نؤمن بما بلغنا وأن نمسك عمَّا لم يبلغنا. ونظير ذلك قول مالك ـ رحمه الله ـ حين سأله سائل: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1] كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك برأسه تعظيماً لهذا السؤال وتحملاً وتحسباً له حتى علاه الرحضاء ـ أي العرق ـ ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التي تعتبر ميزاناً لجميع الصفات قال له: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

فكل من سأل عن كيفية صفة من صفات الله قلنا له: أنت مبتدع فوظيفتك أن تؤمن بما بلغك وتسكت عمَّا لم يبلغك.

الركن الثاني: الايمان بالملائكة

الملائكة: جمع ملك وأصل (ملك) كما يقول النحويون الذين يحللون ألفاظ اللغة العربية يقولون: أصله (مألك)، ثم زحزت الهمزة إلى مكان اللام وقدمت اللام فصار (ملاك)، ثم حذفت الهمزة للتخفيف فصار (ملك) لماذا؟ قالوا: لأن ملائكة مأخوذة من (ألالوكة) وهي الرسالة والهمزة في (ألالوكة) مقدمة على اللام.

(١) سورة طه، الآية: ٥.

فالملائكة إذن هم الرسل كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**جاعل الملائكة رسلا**﴾[1]

وإذا أردنا أن نعرفهم نقول: هم عالم غيبي خلقهم الله ـ عز وجل ـ من نور: ﴿**يسبحون الليل والنهار لايفترون**﴾[2] يقومون بأمر الله، ﴿**لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون**﴾[3]

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، فهذا مرتبته في الدين، ومن أنكر الملائكة فهو كافر، لأنه مكذِّب لله، ورسوله، وإجماع المسلمين.

كيف نؤمن بالملائكة؟

نؤمن بهم أولاً: بأسماء من عِلْمنَا اسمه منهم، ثانيًا: بأوصاف من علمنا وصفه، ثالثًا: بأعمال من علمنا عملهم.

أولاً: نؤمن بأسماء من علمنا اسمه: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، وملك الموت، ومنكر، ونكير، فجبريل، وميكائيل، وإسرافيل كل منهم موكل بما فيه الحياة:

فجبريل: موكل بما فيه حياة القلوب وهو الوحي، لأن جبريل هو الذي جعله الله ـ تعالى ـ وكيلاً في نزول الوحي على الرسل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**نزلَ به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مُبين**﴾[4]

وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد عند البعث.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٤) الشعراء، الآيات: ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

وأما: ميكائيل: فهو موكل بالقطر، والنبات، وبالقطر والنبات تكون حياة الأرض.

ولهذا جمع النبي، ﷺ، بين هؤلاء الملائكة في حديث استفتاح صلاة الليل، فكان يستفتح صلاة الليل بقوله: «**اللهم رب جبرائيل، وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون، إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».

وأما (مالك): فهو موكل بالنار لقوله ـ تعالى ـ عن أهل النار: ﴿**ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**﴾[1]

وأما (رضوان): فموكل بالجنة واسمه هذا ليس ثابتًا ثبوتًا واضحًا كثبوت مالك لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الإسم، والله أعلم.

وأما السادس (ملك الموت): وقد اشتهر أن اسمه «عزرائيل»، لكنه لم يصح. إنما ورد هذا في آثار إسرائيلية لاتوجب أن نؤمن بهذا الإسم، فنسمي من وكل بالموت بـ (ملك الموت) كما سمَّاه الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون**﴾[2]

والسابع والثامن وهما (منكر ونكير): وهما الملكان اللذان يسألان الميت في قبره، وقد ورد في ذلك حديث في الترمذي ضعفه بعض العلماء وقال إنه لايمكن أن يطلق اسم (منكر ونكير) على الملائكة الذين: ﴿**لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون**﴾[3]

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

على كل حال فهما الملكان اللذان يسألان الميت عن ربه، ودينه، ونبيه.

ثانيًا: الإيمان بأوصفا من علمنا وصفه:

علمنا بما صح عن النبي، عليه الصلاة والسلام، أنه رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق، وهذا يدل على عظمته، ومع ذلك فإنه من الممكن أن يأتي على غير هذه الصفة، كما أتى على صورة رجل شديد البياض، شديد سواد الشعر، كما في الحديث الذي نحن بصدد شرحه، وجاء مرة على صورة دحية الكلبي، ولكن هذا التحول من الصورة التي عليها إلى صورة البشر إنما كان بأمر الله، وقد تمثَّل جبريل بشرًا لمريم بنت عمران كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بشرًا سويًّا**﴾[1]

ومن أهم مايجب الإيمان به أن نؤمن بأن كل شخص معه ملكان يكتبان عمله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[2] رقيب حاضر من هؤلاء الملائكة.

فإياك أيها المسلم أن يكتب هذان الملكان عنك مايسوؤك يوم القيامة فكل شيء تقوله وتلفظ به فإنه مكتوب عليك: ﴿**مايلفظ من قول**﴾[3] سواء كان لك، أو عليك، أو لغوًا لا لك ولا عليك، فاحرص ياأخي على ضبط اللسان حتى لايكتب عليك كلمات تسوؤك يوم القيامة. ولما دخلوا على الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وكان مريضًا فإذا هو يئن أنين المريض فقيل له ياأبا

(١) سورة مريم، الآية: ١٧.
(٢) سورة ق، الآية: ١٧ ـ ١٨.
(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

عبدالله: «**إن طاووسًا ـ وهو أحد التابعين ـ يقول إن أنين المريض يكتب عليه**» فأمسك عن الأنين. فأنين المريض قد يكتب عليه، فما يلفظ الإنسان من قول إلا لديه رقيب عتيد يكتب عمله، وإذا كان يوم القيامة يخرج له كتابه: ﴿**يلقاه منشورًا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا**﴾[1]

الركن الثالث: الايمان بالكتب

الركن الثالث وهو الإيمان بكتب الله ـ عز وجل ـ التي أنزلها على الرسل، وما من رسول إلا أنزل الله معه كتابًا قال ـ تعالى ـ: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان**﴾[2] وقال ـ تعالى ـ: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**﴾[3] فما من رسول إلا أنزل الله معه كتابًا يهتدي به الناس.

كيف نؤمن بالكتب؟

الإيمان بالكتب: أن نؤمن بما علمنا اسمه باسمه، والذي علمنا اسمه من هذه الكتب: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى ـ إن قلنا انها غير التوراة ـ ومالم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً، لأن الله تعالى لايضيع خلقه بل سينزل عليهم الكتب ليبين لهم الحق، هذا من حيث الإيمان بالكتب.

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٣، ١٤.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

أما من حيث قبول ماجاء فيها من خبر، فيجب أن نقبل كل ماجاء في هذه الكتب من الخبر، ولكن لايعني أن نقبل كل خبر فيها الآن، لأنها دخلها التحريف والتغيير والتبديل، لكن نقول إننا نؤمن بكل خبر جاء في التوراة، أو في الإنجيل، أو في الزبور، أو في صحف إبراهيم.

مثال ذلك: في صحف إبراهيم: «لاتزر وازرة وزر أخرى وأن لَّيْسَ للإنسان إلا ماسعى» وعلمنا ذلك من قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أم لم يُنَبَّأ بما في صحف موسى وإبـراهيم الذي وفّى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيـه سوف يرى ثم يجزاه الجـزاء الأوفى**﴾[1] وقـولـه ـ تعـالى ـ: ﴿**بـل تؤثـرون الحياة الدنيا والآخرة خيرٌ وأبقى إن هذا لفي الصُّحف الأولى صُحِفِ إبراهيم وموسى**﴾[2]

فما صحَّ من هذه الكتب فإنه يجب علينا أن نقبل خبره بدون تفصيل هذا بالنسبة للأخبار.

أمـا بالنسبـة للأحكـام ـ أي مافي الكتب المنزلة من الأحكام ـ ففيه تفصيل: فما كان في القرآن فإنه يلزمنا التعبد به، وماكان في الكتب السابقة نظرنا إن كان مخالفًا لشريعتنا فإننا لانعمل به، لا لأنه باطل بل هو حق في زمنه، ولكننا لا يلزمنا العمل به لأنه نسخ بشريعتنا، وإن وافق شريعتنا فإننـا نعمل به، لأن شريعتنا أقرته وشرعته، ومالم يكن في شرعنا خلافه ولا وفاقه فإن العلماء قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال: هو شرع لنا. ومنهم من قال: ليس بشرع لنا.

فالذين قالوا إنه شرع لنا استدلوا بمثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أولئك الذين**

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣٦ ـ ٤١.

(٢) سورة الأعلى، الآيات: ١٦ ـ ١٩.

هدى الله فبهداهم اقتده﴾(١) واستدلوا كذلك بأن ماسبق من الشرائع لولا أن فيه فائدة لكان ذكره نوعًا من العبث، والراجح: أننا نعمل به.

مثال مايخالف شريعتنا كقوله ـ تعالى ـ: **﴿وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾**(٢)

فاليهود حرَّم الله عليم كل ذي ظفر مثل الإبل، وكذلك كل ذي رجل غير مشقـوقـة أي مالها أصابع ولا فُرِّق بعضها من بعض فهو حرام عليهم، ومن البقر والغنم حرَّم الله عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما، أو الحوايا أو مااختلط بعظم. فهذا منسوخ بشريعتنا، فإن الله ـ تعالى ـ قد أحلَّ لنا ذلك.

وأما مثال ماوافق شريعتنا فكثير مثل قوله ـ تعالى ـ: **﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾**(٣) ومثل قولـه تعـالى الـذي أشرنـا إليه سابقًا: **﴿أم لم يُنبأ بما في صحف موسى وإبـراهيم الـذي وفَّى ألا تزرُ وازرَةٌ وِزْر أخـرى وأن ليس للإنسان إلا ماسعى. . . ﴾**(٤) وأمثلة ذلك كثيرة.

وأما مالم يرد شرعنا بخلافه فمثاله الأخذ بقرينة الحال: كحكم سليمان بين المرأتين المتنازعتين، حيث دعا بالسكين ليشقه بينهما فوافقت إحداهما وامتنعت الأخـرى فحكم به للتي امتنعت مع أنها هي الصغـرى، لأن امتناعها دليل على أنها أمه، وهذا لم يرد مثله في شرعنا بعينه، وإن كان قد

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٤) سورة النجم، الآيات: ٣٦ ـ ٤١.

ورد مايدل على اعتبار القرائن من حيث الجملة. ولكن القول الراجح فيه: أنه شرع لنا، وأننا نعمل به لما ذكرنا من الدليل من القرآن.

الركن الرابع: الايمان بالرسل

الايمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة، والرسل ينقسمون إلى قسمين رسل من البشر، ورسل من الملائكة قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين**﴾[1] والمراد بالرسول هنا جبريل وهو رسول ملكي، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**إنه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر**﴾[2] والمراد به محمد، ﷺ، وهو رسول بشري لكن المراد بقولنا: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، المراد بالرسل هنا البشر لأن الرسول الملكي داخل في قولنا: (وملائكته).

الرسول البشري تعريفه عند جمهور أهل العلم: «أنه من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه» وأول الرسل نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وآخرهم محمد، ﷺ، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾[3] والدليل على أن محمدًا خاتمهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ماكان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[4]

فإن قلت: هل آدم رسول أم لا؟.

---

(١) سورة التكوير، الآيات: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠، ٤١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

فالجواب: أنه ليس برسول لكنه نبي، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبَّان في صحيحه أن النبي، ﷺ سئل عن آدم: أنبي هو؟ قال: «**نعم نبي مُكلَّم**». ولكنه ليس برسول والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**كان النَّاس أمَّةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**﴾[1] وقوله، ﷺ، في حديث الشفاعة: «**إن الناس يذهبون إلى نوح فيقولون: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**». وهذا نص صريح بأن نوحًا أول الرسل.

كيف نؤمن بالرسل؟

الإيمان بالرسل أن نؤمن بأسماء من علمنا اسمه منهم، وأن نؤمن بكل خبر أخبروا به، وأن نؤمن بأنهم صادقون فيما قالوه من الرسالة، أما من لم نعرف اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، فإننا لم نعرف أسماء جميع الرسل لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**﴾[2]

وأحكام الرسل السابقة من ناحية إلزامنا بها، أو لا، فالقول فيها كالقول في أحكام الكتب.

فإن قال قائل: كيف نجمع بين كون محمد، ﷺ، خاتم النبيين وبين ماصح به الحديث من نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان؟

فالجواب: أن عيسى ـ عليه السلام لاينزل على أنه رسول؛ لأن رسالته التي بعث بها كانت سابقة قبل رسالة النبي، ﷺ، ولأنه إذا نزل فلا يأتي بشرع من عنده، ولكنه يجدد شرع النبي، ﷺ، وبهذا يزول الإشكال بين كون محمد، ﷺ، خاتم النبيين وبين نزول عيسى بن مريم آخر الزمان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ٨٧.

الركن الخامس: الايمان باليوم الاخر:

الايمان باليوم الآخر: وسمى يومًا آخرًا لأنه لايوم بعده، فإن للإنسان أحوالاً أولها العدم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدَّهْر لم يكن شيئًا مذكوراً**﴾[1] ثم يصير حملاً، ثم يكون عاملاً في الدنيا، وحاله في الدنيا أكمل من حاله أثناء الحمل، ثم ينتقل إلى الحال الرابعة وهي: البرزخ وحاله في البرزخ أكمل من حاله في الدنيا، ثم ينتقل إلى الحال الخامسة وهي اليوم الآخر وحاله في هذه المرحلة أكمل المراحل السابقة.

وبيان ذلك أن الإنسان في بطن أمه لاشك أنه ناقص عن حاله في الدنيا قال ـ تعالى ـ: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾[2] فصار بعد خروجه من بطن أمه عنده العلم، والسمع، والبصر، والعمل، وأحواله في هذه الدنيا ليست على الصفاء دائمًا بل فيه صفاء وكدر، وتعب وراحة، وجور وعدل، وصالح وفاسد، يقول الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا ويم نُساءُ ويوم نسرُ

وهي بلا شك حنيئذ تكون حياة ناقصة، لأنه مامن لذة فيها إلا وهي منغصة كما قال الشاعر:

لاطيب للعيش مادامت منغصة لذاته بادِّكار الموت والهرم

فأنت الآن شاب وقوي لكن سيأتيك أحد أمرين: إما الموت، وإما

(١) سورة الإنسان، الآية: ١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

الهـرم، فحياة الدنيا منغصة ولهذا سميت الدنيا وهي من الدناءة، ومن الدنو أيضًا، فهي دنيئة بالنسبة للآخرة، وهي أيضًا دنية لنقصانها عن مرتبة الآخرة، وهي دنيا لأنها سابقة للآخرة فهي أدنى منها.

وحاله في البرزخ أكمل حالاً في الدنيا، لأن حاله مستقرة، فإذا كان من أهل الخير فهو منعم في قبره، يفتح له في قبره مد البصر، ويفرش من الجنة، ويفتح له باب إلى الجنة، ولاينال هذا في الدنيا، أما في الآخرة فيعطى الكمال المطلق بالنسبة للإنسان حياة كاملة لايمكن أن تنسب إليها حياة الدنيا بأي وجه من الوجوه وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى بعد ذلك.

كيف نؤمن باليوم الآخر؟

الإيمان باليوم الآخـر أن نؤمن بأن الناس سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم، وأن نؤمن بكل ماجاء في الكتاب والسنة من أوصاف ذلك اليوم، وقد وصف الله ـ تعالى ـ ذلك اليوم بأوصاف عظيمة ولنأخذ منها وصفًا واحـدًا قال ـ تعالى ـ: ﴿**يأيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمَّا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾[1] وأوصاف هذا اليوم الدالة على هوله وعظمته كثيرة في الكتاب والسنة.

ولا يقتصر الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بهذا اليوم الذي يكون بعد البعث، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية: (من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ماأخبر به النبي، ﷺ، مما يكون بعد الموت).

أولا: فتنة القبر:

وأول شيء يكون بعد الموت فتنة القبر فإن الناس يفتنون ـ أي يختبرون

(١) سورة الحج، الآيات: ١، ٢.

- في قبورهم فما من إنسان يموت سواء دفن في الأرض، أو رُمي في البر، أو أكلته السباع، أو ذرته الرياح، إلا ويفتن هذه الفتنة فيسأل عن ثلاثة أمور: من ربك؟ ومادينك؟ ومن نبيك؟.

فأمَّا المؤمن فيقول ربي الله - جعلنا الله منهم - وديني الإسلام، ونبي محمد، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، وحينئذ يفسح له في قبره مد البصر، ويفرش له فراش من الجنة، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، وهذه الحال بلا شك أكمل من حال الدنيا.

أما إذا كان كافرًا أو منافقًا فإنه إذا سئل من ربك؟ مادينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ها هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

وتأمَّل ماذا تدل عليه كلمة «هاه هاه»؟ فإنها تدل على أن هذا المجيب كأنه يتذكَّر شيئًا يبحث عنه ولكن يعجز عن استحضاره، وكون الإنسان يتذكَّر شيئًا ويعجز عن استحضاره أشد ألمًا من كونه لايدري عنه بالكلية، فلو سئلت عن شيء وأنت لاتعلم عنه فقلت لاأدري. فهذا نقص بلا شك لكن لايوجب حسرة، لكن لو أنت سئلت عن شيء وكنت تعلمه ثم عجزت عنه فإن ذلك حسرة، ولهذا يقول «هاه هاه» كأنه يتذكَّر شيئًا «لاأدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان - (الإنس والجن) -، ولو سمعها لصعق، وقد ورد في صفة هذه المرزبة أنه لو اجتمع عليها أهل منى ماأقلوها - والعياذ بالله -.

هذه الفتنة يجب الإيمان بها، لأن الإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر فإن قلت: كيف يكون الإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر وهي في الدنيا؟ فالجواب: إن الإنسان إذا مات فقد قامت قيامته.

ثانيًا: عذاب القبر ونعيمه:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بعذاب القبر ونعيم القبر ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾[1] ومحل الدلالة قوله: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون**﴾[2] حال توافيهم: ﴿**سلام عليكم ادخلوا الجنة**﴾[3] وهم وإن كانوا لم يدخلوا الجنة التي عرضها السموات والأرض لكن دخلوا القبر الذي فيه نعيم الجنة.

وقال تعالى أيضًا: ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم* وأنتم حينئذ تنظرون* ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون* فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين* فأمَّا إن كان من المقربين* فروحٌ وريحان وجنة نعيم**﴾[4] وهذا يكون إذا بلغت الروح الحلقوم وهذا هو نعيم القبر بل إن الإنسان يبشر بالنعيم قبل أن تخرج روحه يقال لروحه: أخرجي أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتفرح الروح بذلك وتخرج خروجًا سهلاً ميسرًا.

وأمَّا السنّة فإن النبي، ﷺ، أخبر في أحاديث كثيرة بما يدل على أن الإنسان ينعم في قبره، وقد أشرنا إلى شيء منها.

وأما عذاب القبر فثابت أيضًا في الكتاب والسنة، فمن القرآن قال الله ـ تبارك وتعالى ـ في آل فرعون: ﴿**النارُ يُعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم**

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الواقعة، الآيات: ٨٣ ـ ٨٨.

تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب﴾[1] فقوله: ﴿يعرضون عليها غدوًا وغشيًا﴾[2] هذا قبل أن تقوم الساعة: ﴿ويوم تقوم الساعة ادخلوا إلى فرعون أشد العذاب﴾[3] وقال تعالى: ﴿ولَوْ تَرَى إذْ الظَّالِمُون في غَمَراتِ المَوْتِ والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾[4] وكان هؤلاء يشحون بأنفسهم لايخرجونها، لأنه يبشرون بالعذاب ـ ولعياذ بالله ـ، فترتد الأرواح لاتريد أن تخرج من أجسادها هربًا مما أنذرت به: ﴿أخرجُوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[5]

ووجه الدلالة من قوله: ﴿اليوم تجزون﴾[6] لأن (أل) هنا للعهد الحضوري لقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[7] أي اليوم الحاضر وهو يوم وفاة هؤلاء الظالمين.

وقال تعالى: ﴿وأمَّا إن كان من المكذبين الضَّالين فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾[8]

وكلنا نقول في الصلاة: (أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر). فعذاب القبر ثابت بالقرآن، والسنة، والإيمان به من الإيمان باليوم الآخر.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٣٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.
(٨) سورة الواقعة، الآيات: ٩٢ ـ ٩٤.

هل العذاب في القبر على البدن أو على الروح؟

العذاب في القبر على الروح في الأصل وربما يتصل بالبدن، ومع ذلك فإن كونه على الروح لايعني أن البدن لايناله منه شيء بل لابد أن يناله من هذا العذاب أو النعيم شيء وإن كان غير مباشر.

واعلم أن العذاب والنعيم في القبر على عكس العذاب أو النعيم في الدنيا، فإن العذاب أو النعيم في الدنيا على البدن، وتتأثر به الروح، وفي البزخ يكون النعيم أو العذاب على الروح، ويتأثر به البدن.

فلو قال لنا قائل: كيف تقولون: إن القبر يضيق على الإنسان الكافر حتى تختلف أضلاعه، ونحن لو كشفنا القبر لوجدنا أن القبر لم يتغير، وأن الجسد لم يتغير أيضًا؟

فالجواب على هذا أن نقول: إن عذاب القبر على الروح في الأصل، وليس أمرًا مسحوسًا على البدن، فلو كان أمرًا محسوسًا على البدن، لم يكن من الإيمان بالغيب، ولم يكن منـه فائدة، لكنه من الأمو الغيبية المتعلقة بالأرواح، والإنسان قد يرى في المنام وهو نائم على فراشه أنه قائم، وذاهب وراجع، وضارب ومضروب، وربما يرى وهو على فراشه نائم أنه قد سافر إلى العمرة، وطاف وسعى، وحلق أو قصَّر، ورجع إلى بلده، وجسمه على الفراش لم يتغيّر.

فأحوال الروح ليست كأحوال البدن.

ثالثًا: البعث:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر البعث فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يبعث الأجساد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. حفاة ليس عليهم نعال ولاخفاف: أي ليس عليهم لباس رجل، عراة: ليس عليهم لباس بدن، غرلاً: أي

غير مختونين. وفي بعض الأحاديث: (بُهْمًا) أي ليس معهم مال، بل كل واحد وعمله.

والبعث هنا إعادة وليس تجديدًا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**قال من يُحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾(١) وقال تعالى: ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيدُه**﴾(٢)، ولأنه لو كان خلقًا جديدًا لكان الجسد الذي يعمل السيئات في الدنيا سالمًا من العذاب، ويؤتى بجسد جديد فيعذب، وهذا خلاف العدل، فالنص والعقل قد دل على أن البعث ليس تجديدًا ولكنه إعادة، ولكن يبقى النظر كيف تكون إعـادة، والإنسان ربما يموت، فتأكله السباع، ويتحول من اللحم إلى الدم في الحيوان الآكل وروث وما أشبه ذلك؟.

فيقال: إن الله على كل شيء قدير يقول للشيء كن فيكون، فيأمر الله هذه الأجساد التي تفرَّقت وأكلت وطارت بها الرياح أن تعود فتعود، وهذا ينبني على القاعدة التي سبق أن قررناها وهي: «أن الواجب على الإنسان في الأمور الخبرية الغيبية هو التسليم».

وقد أوردت عائشة ـ رضي الله عنها ـ إشكالاً على قول النبي، ﷺ: «**يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقالت: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أعظم من أن يهمهم ذلك**». فإن في ذلك اليوم لاينظر أحـد إلى أحد لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿**يَوْمَ يَفرُّ المرء من أخيه* وأمِّه وأبيـهِ* وصـاحبته وبنيه* لكل امريء منهم يومئذ شأنٌ يغنيه**﴾(٣) حتى

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٣٤: ٣٧.

الإنسان يذهل عن أنسابه وأقاربه ﴿**فإذا نفخ في الصُّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**﴾[1].

رابعًا: دنو الشمس من الخلائق:

ومن الإيمان باليوم الآخر أن نؤمن بأن الشمس تدنو من الخلائق بمقدار ميل، والميل يحتمل أن يكون ميل المكحلة، ويحتمل أنه المسافة من الأرض، وسواء كان ميل المكحلة أو ميل المسافة فإن الشمس تكون قريبة من الرءوس.

فإن قلت: كيف يمكن هذا ونحن الآن حسب مانعلم أن هذه الشمس لو دنت عما كانت عليه الآن بمقدار شبر واحد لأحرقت الأرض، فكيف يمكن أن تدنوا من الخلائق يوم القيامة بمقدار ميل؟

فالجواب: أن وظيفة المؤمن ـ وهذه قاعدة يجب أن تبنى عليها عقيدتنا ـ فيما ورد من أخبار الغيب القبول والتسليم وألا يسأل عن كيف؟ ولم؟ لأن هذا أمر فوق ماتتصوره أنت فالواجب عليك أن تقبل وتسلم وتقول: آمنّا وصدقنا بأن الشمس تدنوا من الخلائق يوم القيامة بمقدار ميل. ومازاد على ذلك من الإيرادات فهو من البدع، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن استواء الله كيف استوى؟ قال السؤال عن بدعة، هكذا أيضًا كل أمور الغيب السؤال عنها بدعة وموقف الإنسان منها القبول والتسليم.

أما الجواب الثاني بالنسبة لدنو الشمس من الخلائق يوم القيامة فإننا نقول: إن الأجسام تبعث يوم القيامة لا على الصفة التي عليها في الدنيا من النقص وعدم التحمُّل بل هي تبعث بعثًا كاملاً تامًّا، ولهذا يقف الناس

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

يوم القيامة يومًا مقداره خمسون ألف سنة لايأكلون ولايشربون، وهذا أمر لايحتمل في الدنيا فتدنو الشمس منهم وأجسامهم قد أعطيت من القوة مايتحمل دنوها - ويشهد لهذا ماذكرناه من الوقوف خمسين ألف سنة لايحتاجون إلى طعام ولا شراب، وأن أهل الجنة ينظر الواحد منهم إلى مُلكه مسيرة ألف عام ينظر أقصاه كما ينظر أدناه ولا يمكن هذا في الدنيا، فالأجسام يوم القيامة لها شأن آخر غير شأنها في هذه الدنيا.

خامسًا: محاسبة الخلائق على أعمالهم:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر أن تؤمن بأن الخلائق يحاسبون على أعمالهم، وقد سمى الله يوم القيامة يوم الحساب، لأنه اليوم الذي يحاسب الإنسان فيه على عمله.

ولكن هل الحساب حساب مناقشة كما يحاسب التاجر تاجرًا آخر بالفلس والهللة؟.

الجواب: لا، لكنه حساب فضل وإحسان وكرم بالنسبة للمؤمن فإن الله - سبحانه وتعالى - يحاسب المؤمن فيخلو به ويضع كنفه عليه أي ستره ويقرره بذنوبه فيقول له: عملت كذا في يوم كذا حتى يقر ويعترف، فإذا أقرَّ واعترف قال الله - سبحانه وتعالى - له: «**إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**».

وكلنا لايخلو من الذنوب في هذه الدنيا ذنوب باطنة تتعلق بالقلوب، وذنوب ظاهرة تتعلق بالأبدان، لكن لايراها الناس، فقد تشاهد الرجل ينظر بعينه نظرًا محرمًا وأنت تظنه ينظر نظرًا حلالاً ماتدري ولهذا قال الله -

تعالى ـ: ﴿**يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور**﴾[1] خائنة الأعين أمر يعلم بالحس، لكن لايعمله أحد من يعلم أن هذه العين تنظر نظرًا محرمًا؟، ﴿**وماتخفي الصدور**﴾[2]

هذا باطن فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: «**سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**».

أما الكفَّار والعياذ بالله فإنهم لايحاسبون هذا الحساب بل يقررون بأعمالهم ويقول عملتم كذا وكذا فإذا أنكروا تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم، وأرجلهم بما كانوا يعملون، حتى الجلود فإنها تشهد فيقولون لجلودهم: ﴿**لم شهدتم علينا**﴾[3] قالو: ﴿**أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون* وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون* وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين* فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين**﴾[4] يقرر الكفار بأعمالهم ويخزون بها والعياذ بالله ويُنادى على رءوس الأشهاد: ﴿**هؤلاء الذين كذبُوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**﴾[5] فانظر الفرق بين حساب المؤمن وحساب الكفار.

هل ينجو من الحساب أحد؟

الجواب: نعم ينجو منه عالم لايحصيهم إلا الله قال النبي، ﷺ: «إن

(١) سورة غافر، الآية: ١٩.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٩.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٢١.
(٤) سورة فصلت، الآيات: ٢١ ـ ٢٤.
(٥) سورة هود، الآية: ١٨.

أمته عرضت عليه وإن منهم سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم الذي لايرقون، ولايسترقون، ولايكتوون، ولايتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

سادسًا: الوزن:

مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر: الوزن قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**والوزن يومئذ الحق**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[2] فتوزن الأعمال يوم القيامة بميزان توضع في إحداهما الحسنات وفي الأخرى السيئات، والذي يوزن في ظاهر النصوص العمل قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره**﴾[3] وقال النبي، ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**». فيوضع هذا الميزان للخلائق وتوزن فيه الأعمال.

ولكن هنا أسئلة على الميزان:

أولاً: كيف توزن الأعمال وهي أوصاف للعاملين وحركات وأفعال؟

فالجواب: أن القاعدة في ذلك كما أسلفنا أن علينا أن نسلم ونقبل ولا حاجة لأن نقول كيف؟ ولم؟ ومع ذلك فإن العلماء ـ رحمهم الله ـ قالوا في جواب هذا السؤال: إن الأعمال تقلب أعيانًا فيكون لهم جسم يوضع في الكفة فيرجح أو يخف، وضربوا لذلك مثلاً بما صح به الحديث عن النبي، ﷺ: «**أن الموت يجعل يوم القيامة على صورة كبش فينادى أهل الجنة ياأهل**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

الجنة فيطلعون ويشرئبون وينادى ياأهل النار: فيطلعون ويشرئبون ماالذي حدَث؟ فيؤتي بالموت على صورة كبش فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيذبح الموت بين الجنة والنار ويقال: ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار: خلود فلا موت». ونحن نعلم جميعًا أن الموت صفة، ولكن الله تعالى يجعله عينًا قائمة بنفسه وهكذا الأعمال.

ثانيًا: هل الميزان واحد أم متعدد؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد ومرة بالجمع مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ونضع الموازين القسط﴾[1]، وكذلك في قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾[2]. وأفرد في مثل قوله، ﷺ: «ثقيلتان في الميزان» فقال بعض العلماء: إن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون أو باعتبار الأمم فهذا الميزان توزن به أعمال أمة محمد، وأعمال أمة موسى، وأعمال أمة عيسى، وهكذا فجمع الميزان باعتبار تعدد الأمم، والذين قالوا إنه متعدد بذاته قالوا: لأن هذا هو الأصل في التعدد ومن الجائز أن الله ـ تعالى ـ يجعل لكل أمة ميزانًا، أو يجعل للفرائض ميزانًا، وللنوافل ميزانًا.

والذي يظهر والله أعلم أن المراد أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون.

سابعًا: نشر الكتب:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر نشر الدووابن وهي الكتب، تنشر بين الناس فيختلف الناس في أخذ هذه الكتب، منهم من يأخذها باليمين،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨.

ومنهم من يأخذها بالشمال، وقد أشار الله إلى ذلك في سورة الحاقة فقال: ﴿فأمَّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابية* إني ظننتُ أنَّي ملاق حسابية* فهو في عيشة راضية* في جنة عالية قطوفها دانية* كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية* وأمَّا من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابية* ولم أدر ماحسابيه﴾[1] فالمؤمن يقول للناس خذو كتابي إقرأوه مستبشرًا مسرورًا به، والكافر والعياذ بالله يتحسّر ويقول: ﴿ياليتني لم أوت كتابية ولم أدر ماحسابية﴾[2].

هذا الكتاب قد كتب فيه مايعمله الإنسان كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كلا بل تُكـذِبـون بالـدين وإنَّ عليكُمْ لحافظين كرامًا كاتبين﴾[3]، ويقال للإنسان ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾[4].

قال بعض العلماء: والله لقد أنصفك من جعلك حسيبًا على نفسك.

فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب، وأنها توزع يوم القيامة عن اليمين وعن الشمال، لكن في سورة الانشقاق يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وأمَّا من أوتي كتابه وراء ظهره﴾[5]، فكيف يمكن الجمع بين قوله: ﴿كتابه بشماله﴾[6]، وقوله: ﴿كتابه وراء ظهره﴾[7]؟

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ١٩ ـ ٢٦.
(٢) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٣) سورة الانفطار، الآيات: ٩ ـ ١١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٥) سورة الانشقاق، الآية: ١٠.
(٦) سورة الحاقة، الآية: ٢٥.
(٧) سورة الانشقاق، الآية: ١٠.

فالجواب: أنه يأخذه بشماله، لكن تخلع الشمال إلى الخلف من وراء ظهره، والجزاء من جنس العمل، فكما أن هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره أعطى كتابه يوم القيامة من وراء ظهره جزاءً وفاقًا.

ثامنًا: الحوض:

وممَّا يدخل في الإيمان باليوم الآخر أيضًا الحوض. حوض النبي، ﷺ، ـ جعلنا الله ـ ممَّن يشرب منه ـ هذا الحوض حوض واسع، طوله شهر وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء في كثرتها وحُسنها، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، ومن يشرب منه شربة لايظمأ بعدها أبدًا، ويستمد الحوض ماؤه من الكوثر، وهو نهر أعطيه النبي، ﷺ، في الجنة يصب منه ميزابان على الحوض فيبقى الحوض دائمًا مملوءًا، وَيَردُهُ المؤمنون من أمة الرسول، ﷺ، ويشربون منه، ويكون هذا الحوض في عرصات يوم القيامة عند شدة الحر وتعب الناس وهمهم وغمهم، فيشربون من هذا الحوض الذي لايظمئون بعد الشرب منه أبدًا.

تاسعًا: الشفاعة:

وممّا يدخل في الإيمان باليوم الآخر كذلك الشفاعة، وهي نوعان: **أحدها**: خاص بالنبي، ﷺ. **والثاني**: عام له ولسائر النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

أما الخاص بالنبي، ﷺ:

أولاً: الشفاعة العظمى التي تكون للقضاء بين الناس، وذلك أن الناس يوم القيامة يلحقهم من الكرب، والهم، والغمْ، مالا يطيقون، لأنهم يبقون خمسين ألف سنة، والشمس من فوق رءوسهم، والعرق قد يلجم بعضهم، فيجدون همًّا، وغمًا، وكربًا، فيطلبون من يشفع لهم إلى

الله ـ عز وجل ـ فينجيهم من ذلك، فيلهمهم الله ـ عز وجل ـ أن يذهبوا إلى آدم الذي هو أبو البشر فيأتون إليه ويسألونه الشفاعة، ولكنه يعتذر بأنه عصى ربه في أكله من الشجرة التي حرَّم الله عليه أن يأكل منها.

ولكن قد يقول قائل: إن أكله من الشجرة ذنب قد تاب منه وبعد أن تاب اجتباه الله وهداه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وعصى آدمُ ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾[1]

فالجواب: نعم الأمر كذلك، وآدم بعد الخطيئة خير منه قبلها، لأن الله تعالى قال بعد أن حصلت الخطيئة والتوبة: ﴿**اجتباه ربه**﴾[2] فجعله من المجتبين المصطفين، ولكنه يعتذر ـ أي من الشفاعة ـ بأكله من الشجرة، لأن مقام الشفاعة مقام عظيم يحتاج أن يكون الشافع فيه نزيهًا من كل شيء، لأنه شافع يريد أن يتوسط لغيره، فإذا كان مذنبًا كيف يمكن أن يكون شافعًا؟

فيذهب الناس إلى نوح ويطلبون منه الشفاعة، ولكنه يعتذر بأنه سأل ماليس له به علم، وكان قد سأل الله ـ تعالى ـ أن ينجي ابنه الكافر من الغرق: ﴿**قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين* قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنَّ ماليس لك به علم إني أعظِكَ أن تكون من الجاهلين**﴾[3] فيعتذر.

فيأتون إلى إبراهيم خليل الرحمن، عليه الصلاة والسلام، فيعتذر بأنه كذب ثلاث كذبات، وهو ليس في الواقع كذب، ولكنه تورية، لكن

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٥ ـ ٤٦.

التورية ظاهرها الحقيقة والمراد خلاف الظاهر فمن أجل هذا تشبه الكذب من بعض الوجوه، ولكمال أدب إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، مع الله هاب أن يشفع وقد كذب هذه الكذبات في ذات الله ـ عز وجل ـ.

فيأتون إلى موسى بعد ذلك، فيعتذر بأنه قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها، والنفس التي قد أشار إلى أنه قتلها بغير حق: أنه خرج عليه الصلاة والسلام، فوجد رجلين يقتتلان هذا من شيعته، وهذا من عدوه، أحدهما من بني إسرائيل، والثاني من الأقباط، فاستغاثه الذي من شيعته ـ وهو الإسرائيلي ـ على الذي من عدوه وهو القبطي، وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلاً شديدًا، فوكز القبطي، فقضى عليه، فهذه هي النفس التي قتلها قبل أن يؤمر بقتلها، وهذا جعله يعتذر عن الشفاعة للناس.

ثم يأتون إلى عيسى، عليه الصلاة والسلام ـ وهو الذي ليس بينه وبين النبي، ﷺ، رسول ـ فلا يعتذر، لكنه يعترف بفضل النبي، ﷺ، يقول لهم: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخَّر فيأتون إلى النبي، ﷺ، فيطلبون منه الشفاعة، فيشفع إلى ـ عز وجل ـ، فينزل الله ـ عز وجل ـ للقضاء بين العباد، وهذه الشفاعة تسمى العظمى، وهي من المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾[1] فيشفع النبي، ﷺ، إلى الله فينزل الله ـ تعالى للقضاء بين عباده ويريحهم من هذا الموقف.

ثانيًا: من الشفاعة الخاصة بالرسول، ﷺ، أن يشفع لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فأهل الجنة إذا عبروا الصراط ووصلوا إلى باب الجنة وجدوه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

مغلقًا، فيشفع النبي، ﷺ، إلى الله بأن يفتح لهم باب الجنة وقد أشار الله إلى هذه الشفاعة فقال ـ تعالى ـ: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**﴾[1]، ولم يقل: حتى إذا جاءوها فتحت، كما قال في أهل النار: ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا حتى إذا جاءوها فتحت**﴾[2]، أما في أهل الجنة فقال: ﴿**حتى إذا جاءوها وفتحت**﴾[3]، لأنها لاتفتح إلا بعد الشفاعة.

أما الذي تكون فيه ـ الشفاعة ـ عامًا، له ولسائر النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فهما شفاعتان:

الأول: الشفاعة في أهل النار من المؤمنين أن يخرجوا من النار.

والثانية: الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين أن لايدخل النار.

شروط الشفاعة:

ولابد للشفاعة من شروط ثلاثة:

أولها: رضا الله عن الشافع. ثانياها: رضاه عن المشفوع له.

ثالثها: إذنه.

ودليلها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾[4] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولايشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[5] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**من ذا الذي يشفع**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٤) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

عنده إلا بإذنه﴾(١)، وقوله ـ تعالى ـ: **﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾**(٢)

ولاتنفع هذه الشفاعة المشركين، لأن الله ـ تعالى ـ لايرضاها، ويشترط رضا الله عن المشفوع له، ولهذا أصنام المشركين التي يتعلقون بها، ويقولون إنها شفعاؤنا عند الله لاتنفعهم ولا تشفع لهم، بل لايزدادون بها إلا حسرة، لأن الله تعالى يقول: **﴿إِنَّكُمْ وماتعبدون من دون الله حصب جهنَّم أنتم لها واردون﴾**(٣)، **فتحصب آلهتهم في النـار فيزدادون والعياذ بالله غمًّا إلى غمهم.**

عاشرًا: الصراط:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر: الصراط، وهو عبارة عن جسر ممدود على النار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، على حسب أعمالهم كل من كان أسرع في الدنيا لقبول الحق والعمل به كان على الصراط أسرع عبورًا، وكلما كان الإنسان أبطأ لقول الحق والعمل به كان على الصراط أبطأ، فيمر أهل الجنة على هذا الصراط فيعبرون، أما الكفار فلا يمرون عليه، لأنه يصار بهم إلى النار والعياذ بالله، فيأتونها وردًا عطاشًا.

الحادي عشر: دخول الجنة أو النار:

وهي آخر المراحل حيث يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، والسؤال: هل الجنة والنار موجودتان الآن؟.

فالجـواب: نعم. موجـودتـان ودليل ذلـك من الكتاب والسنة: أما

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.

الكتاب فقال الله ـ تعالى ـ في النار: ﴿واتَّقوا النار التي أعدت للكافرين﴾[1] والإعداد بمعنى التهيئة، وفي الجنة قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وسَارِعُوا إلى مغفرة من رَّبكُمْ وجنَّة عرضها السموات والأرض أعدِت للمتقين﴾[2]، والإعداد أيضًا التهيئة.

وأما السنة فقد ثبت في الصحيحن وغيرهما في قصة كسوف الشمس أن النبي، ﷺ، قام يصلي فعرضت عليه الجنة والنار، وشاهد الجنة حتى همَّ أن يتناول منها عنقودًا، ثم بدا له ألا يفعل، عليه الصلاة والسلام، وشاهد النار ورأى فيها عمرو بن لحى الخزاعي يجرُّ قُصْبه في النار والعياذ بالله ـ يعني معاءه ـ قد اندلقت من بطنه، فهو يجرها والعياذ بالله في نار جهنم، لأن هذا الرجل أول من أدخل الشرك على العرب؛ فكان له كفل من العذاب الذي يصيب من بعده، ورأى امرأة تعذب في النار في هرة حبستها حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، ورأى فيها صاحب المحجن ـ والمحجن: عصا محنية الرأس ـ وصاحب المحجن سارق يسرق الحجاج بمحجنه؛ فإن فطن له الحاج قال: هذا المحجن انشبك بغير إرادتي، وإن لم يفطن له أخذه ومشى، فرأى النبي، ﷺ، في النار هذا الرجل يعذب بمحجنه، والعياذ بالله.

فدل ذلك على أن الجنة والنار موجودتان الآن.

هل الجنة والنار تفنيان أم تبقيان؟

الجنة والنار تبقيان، فالجنة تبقى أبد الآبدين، والنار تبقى كذلك أبد الآبدين، ودليل ذلك من القرآن كثير: بالنسبة للجنة قال الله ـ تعالى ـ:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

﴿إنَّ الذين آمنُوا وعملُوا الصالحات أولئك هم خيرُ البريَّة جزاؤهم عند ربِّهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[1]

وفي النار ذكر الله التأبيد في ثلاث آيات من القرآن:

الأولى: في سورة النساء: **﴿إنَّ الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقًا* إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا﴾**[2]

الثانية: في سورة الأحزاب قال الله تعالى: **﴿إن الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيراً خالدين فيها أبدًا﴾**[3]

والثالثة: في سورة الجن وهي قوله ـ تعالى ـ: **﴿ومن يَعْص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾**[4]

وبعد هذا النص الصريح في القرآن، يتبين أن ماقيل من أن النار تفنى قول ضعيف جدًا لايعول عليه؛ لأنه لايمكن أن تعول على قول صرّح القرآن بخلافه، بل ولايحل لنا ذلك.

فالنار والجنة موجودتان الآن، وتبقيان، ولاتفنيان أبدًا.

---

(١) سورة البينة الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

(٤) سورة الجن، الآية ٢٣.

الركن السادس: الايمان بالقدر خيره وشره

الإيمان بالقدر خيره وشره هو الركن السادس، وهو محل عراك بين العلماء وآرائهم، ومحل عراك بين النفس المطمئنة والنفس الأمَّارة بالسوء.

الإيمان بالقدر معناه أن تؤمن بأن الله ـ عز وجل ـ قد قدَّر كل شيء يكون إلى مالا نهاية له، وأنَّه قدَّره عن علم، ولهذا قال العلماء: إن مراتب الإيمان بالقدَر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم ومعناها: أن تؤمن بأن الله ـ تعالى ـ عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً فيما يتعلق بفعله الذي يفعله ـ عز وجل ـ بنفسه كالخلق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر وغير ذلك، أو يتعلق بفعل المخلوقين، كأقوال الإنسان، وأفعاله، بل حتى أفعال الحيوان كلها معلومة لله ـ عز وجل ـ قبل وقوعها، وأدلة هذه المرتبة كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وكان الله بكل شيء عليما**﴾[1]، ومنها قوله: ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير* وأن الله قد أحاط بكل شيء علما**﴾[2]، ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وماتسقط من ورقه إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلا في كتاب مبين**﴾[3]

ونتكلم عن قوله: ﴿**ويعلم مافي البر والبحر..**﴾[4] كلمة ﴿**ما**﴾ اسم موصول، وكل اسم موصول فهو مفيد للعموم، فكل شيء في البر الله ـ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

سبحانه وتعالى ـ يعلمه، وكذلك كل شيء في البحر فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلمه.

﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾[1] أي ورقة في أي شجرة في أي مكان في رأس جبل، أو في بطن وادي، أو في روضة من بقاع الأرض، كل شجرة يسقط منها ورقة فالله ـ تعالى ـ يعلم هذه الورقة، وكل ورقة تنبت فهو عالم بها من باب أولىٰ.

وقوله: ﴿وماتسقط من ورقة﴾[2]، في هذه الجملة حرف زائد وهو ﴿من﴾، فإنه زائد في الإعراب، لكنه يزيد في المعنى: وهو تأكيد العموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي، لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، فإذا جاءت «من» زادته توكيدًا.

﴿ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ﴾[3]، أي حبة، سواء كانت كبيرة، أو صغيرة في ظلمات الأرض إلا يعلمها الله ـ عز وجل ـ، وكلمة ﴿ظلمات﴾ جمع تدل على أن للأرض ظلمات الأرض: وهي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الطين، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، وظلمة الغبار، فهذه ظلمات ست وقد يكون هناك ظلمات أخرى لم نعلمها، وهذه الظلمات لاتحول بين الله ـ عز وجل ـ وبين هذه الحبة، بل هو ـ سبحانه وتعالى ـ يعلمها ويراها ـ جل وعلا ـ.

﴿لارَطْب وَلايابس﴾[4]، وما من شيء إلا وهو إما رطب وإما يابس:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

﴿**إلاَّ في كتاب مُبين**﴾[1]، وهو اللوح المحفوظ، وهذا الكتاب إنما كان عن علم من الله ـ عز وجل ـ.

وعلم الله ـ تعالى ـ بعمل الإنسان موجود في كتاب الله ـ عز وجل ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**أمْ يحسبون أنَّا لانسمع سرَّهم ونجواهم بلى ورسلُنا لديهم يكتبون**﴾[2]، فهو يعلم السر والنجوى، والسر: هو مايسّره الإنسان في قلبه، ويحدِّث به نفسه، وأما النجوى: فهي مايتناجى به مع صاحبه. وكل هذا معلوم الله ـ عز وجل ـ.

وهذا العلم من الله ـ عز وجل ـ لم يسبقه جهل، ولايلحقه نسيان، ولهذا لما قال فرعون لموسى: ﴿**فَمَا بَالُ القرون الأولى**﴾[3] قال: ﴿**علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولاينسى**﴾[4]، ﴿**لا يضل**﴾، أي يجهل، ولاينسى ماكان معلومًا. بينما علم البشر محفوف بهاتين الآفتين، جهل سابق، ونسيان لاحق، ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئًا**﴾[5]

المرتبة الثانية: الكتابة ومعناها: أن تؤمن بأن الله ـ تعالى ـ كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة. كل شيء في الوجود، أو يكون إلى العدم فإنه مكتوب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

فالله عز وجل لـمَّا خلق القلم، قال له: اكتب قال رب: وماذا أكتب؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٥١.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٨.

قال: اكتب ماهو كائن، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وماأخطأه لم يكن ليصيبه.

ودليل هذه المرتبة من الكتاب قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألَمْ تعلم أنَّ الله يعلم مافي السَّماء والأرض أنَّ ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**مَاأصاب من مُصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**﴾[2]

قال أهل العلم: والكتابة لها أنواع:

النوع الأول: الكتابة العامة وهي الكتابة في اللوح المحفوظ.

النوع الثاني: الكتاب العُمريَّة (نسبة إلى العمر) وهي التي تكون على الإنسان وهو في بطن أمه فإن الإنسان كما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حدَّثنا رسول الله، ﷺ، وهو الصادق المصدوق فقال: «**إن أحدكم يجمع خلقِه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك ويؤمر بأربع كلمات: بكتب، رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»، لأن الكتاب الأول هو العمدة.

ولكن نحن إذا قرأنا هذا الحديث، فإنه لاينبغي أن ننسى أحاديث أخرى تبشر الإنسان بالخير، صحيح أن هذا الحديث مروع أن يقول

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

القائل: كيف يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يخذل ـ والعياذ بالله ـ فيعمل بعمل أهل النار؟ لكن هناك ولله الحمد نصوصًا أخرى، تفرج عن المؤمن كربته فيما يتعلق بهذا الحديث، من ذلك: قال النبي، ﷺ: «**مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يارسول أفلا تنكل على الكتاب وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل مُيَسّر لما خلق الله، فأمَّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأمَّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**»، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وصدَّق بالحُسْنى فَسَنيسره لليسرى وأمَّا من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾. إذن هذه بشارة من الرسول، عليه الصلاة والسلام، للإنسان أنه إذا عمل بعمل أهل السعادة فهو دليل على أنه كتب من أهل السعادة فليستبشر.

وروى البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه أن النبي، ﷺ، كان في غزاة، وكان معهم رجل شجاع مقدام، فقال النبي، ﷺ، ذات يوم: «**إن هذا من أهل النار**» مع شجاعته وإقدامه، فعظم ذلك على الصحابة وشق عليهم، فقال أحد الصحابة: والله لألزمنَّ هذا، فلزمه فأصاب هذا الرجل الشجاع سهم من العدو فغضب، ثم وضع سيفه على صدره واتكأ عليه، حتى خرج من ظهره، فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي، ﷺ، فقال له: أشهد أنك رسول الله قال: وماذا؟ قال: إن الرجل الذي قلت لنا إنَّه من أهل النار فعل كيت وكيت، ثم قال رسول الله، ﷺ: «**إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**». أسأل الله أن يخلص سريرتي وسرائركم، فالسريرة لها شأن عظيم في توجيه الإنسان، فالقلب هو الموجه للإنسان، وهو الأصل، لذلك يجب أن نلاحظ القلوب،

وأن نمحصِّها ونغسلها من درنها، فقد يكون فيها عرق خبيث، يتظاهر الإنسان بعمل جوارحه بالصلاح، لكن في القلب هذا العرق الفاسد الذي يطيح به في الهاوية في النهاية.

يقول بعض السلف: (ماجاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص)، الذي ليس بشيء عند كثير منَّا هذا يحتاج إلى جهاد عظيم، لو كان في الإنسان شيء يسير من الرياء لم يكن مخلصًا تمام الإخلاص وربما يكون هذا الشيء اليسير من الرياء في قلبه ـ ربما يكون ـ سببًا لهلاكه في آخر لحظة.

ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ آثار الذنوب وعقوبتها، ومن جملة ماذكر أن رجلاً منهمكًا في الربا، جعل أهله يلقنونه الشهادة، فكلما قالوا له: قل: لا إله إلا الله. قال: العشرة إحدى عشر، لأنه ليس في قلبه غير ذلك من المعاملات المحرَّمة التي رانت على قلبه حتى طبع عليه في آخر لحظة ـ والعياذ بالله.

ولمَّا حضرت الوفات الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وناهيك به علمًا وعبادة وورعًا وزهدًا لما حضرته الوفاة سمعوه إذا غشي عليه يقول: (بعدُ بعدُ)، فلما أفاق قيل له: ياأبا عبدالله ماقولك: (بعد بعد) قال رأيت الشيطان يعض على أنامله يقول: (فتني ياأحمد)، فأقول له: (بعد بعد) أي: ألم أفتك مادامت الروح في البدن، فالإنسان على خطر، والنبي، ﷺ، يقول: «**حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**».

نعود إلى ماسبق من الكتابة العمرية، فالإنسان يكتب عليه وهو في بطن

أمه، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

النوع الثالث: الكتابة الحولية ـ أي عند كل حول: وهي التي تكون ليلة القدر، فإن ليلة القدر يكتب فيها مايكون في السنة كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إنَّا أنزلناه في ليلة مباركة إنَّا كُنَّا مُنذرين* فيها يُفرق كل أمر حكيم**﴾(١)، ﴿**يفرق**﴾ أي يبين ويفصل، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**إنَّا أنزلناه في ليلة القدْر**﴾(٢)، أي مقدر فيها مايكون في تلك السنة.

النوع الرابع: كتابة مستمرة كل يوم وهي كتابة الأعمال فإن الإنسان لا يعمل عملاً إلا كتب، إمَّا له وإمَّا عليْه. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**كلا بل تُكذِّبون بالدين وإنَّ عليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ماتفعلون**﴾(٣)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد* إذ يتلقَّى المتلقَّيان عن اليمين وعن الشَّمال قعيد مايلفظُ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد**﴾(٤)، لكن هذه الكتابة تختلف عن الكتابات السابقة، فالكتابات السابقة كتابة لما يفعل، وهذه الكتابة كتابة لما فعل، ليكون الجزاء عليه.

النوع الخامس: كتابه الملائكة التي تكون عند أبواب المساجد يوم الجمعة، فإن أبواب المساجد يوم الجمعة يكون عليها ملائكة يكتبون الأول فالأول، فمن راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٣، ٤.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ٨: ١١.

(٤) سورة ق، الآية: ١٦: ١٨.

الرابعة فأنما قرب دجاجة، ومن راح في الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، ومن جاء بعد مجيء الإمام فليس له أجر التقدم؛ لأن الإمام سبقه، وإذا حضر الإمام طويت الصحف، وحضرت الملائكة يستمعون الذكر.

المرتبة الثالثة: المشيئة ومعناها: أن تؤمن بأن كل كائن وجودًا أو عدمًا فهو بمشيئة الله، وقد أجمع المسلمون على هذا في الجملة فكل المسلمين يقولون: ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن.

فكل شيء واقع بمشيئة الله، أما ماكان بفعل الله فهو بمشيئته لا إشكال فيه، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وكذلك ماكان من فعل المخلوق فهو أيضًا بمشيئة الله، ودليل ذلك من الكتاب قوله - تعالى -: ﴿**وَلَوْ شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البيِّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد**﴾[1]، والاقتتال فعل العبد فجعله الله - عز وجل - بمشيئته وقال - تعالى -: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يُوحي بعضُهم إلى بعض زُخرف القول غرورًا* ولو شاء ربُّك مافعلوه**﴾[2]، وقال - تعالى - في آية أخرى: ﴿**ولو شاء الله مافعلوه**﴾[3]

وقال - تعالى -: ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاءون إلا أن يشاء الله ربُّ العالمين**﴾[4]، إذن فأفعالنا واقعة بمشيئة الله.

أما الدليل العقلي فأن يقال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٤) سورة التكوير، الآيتان: ١٨، ١٩.

هل الخلق ملك لله؟

فالجواب: نعم.

هل يمكن أن يكون في ملك الله مالا يريد؟

الجواب: لايمكن، فمادام الشيء ملكه فلن يكون في ملكه مالا يريد. إذن فكل ماكان في ملكه فهو بإرادته وبمشيئته ولا يكون في ملكه مالايشاء أبدًا، إذ لو كان في ملكه مالا يشاء لكان ملكه ناقصًا، وكان في ملكه مايقع بدون اختياره وبدون علمه.

المرتبة الرابعة: الخلق ومعناها: الإيمان بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق كل شيء، فنؤمن بعموم خلق الله ـ تعالى ـ لكل شيء ودليل ذلك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّرهُ تقديرًا**﴾[1]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**الله خالِقُ كل شيء وهو على كل شيء وكيل**﴾[2]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**بديعُ السموات والأرض أنَّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**إنَّا كلَّ شيء خلقناهُ بقدَر**﴾[4]

والآيات في ذلك واضحة كثيرة: أن كل شيء مخلوق لله ـ عز وجل ـ حتى فعل الإنسان مخلوق لله ـ تعالى ـ، وإن كان باختياره وإرادته لكنه مخلوق لله ـ تعالى ـ، وذلك أن فعل الإنسان ناشيء من أمرين هما: الإرادة الجازمة، والقدرة التامة.

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٩.

مثال ذلك: أمامك حجر زنته عشرون كيلو، فقلت لك: أحمل هذا الحجر فقلت: لاأريد حمله، فهنا انعدمت إرادتك على حمل الحجر، قلت لك ثانية: احمل هذا الحجر، فقلت: نعم سمعًا وطاعة، ثم أردت أن تحمله فعجزت عن حمله، فهذا أنت لم تحمله لعدم القدرة، قلت لك ثالثة: احمل هذا الحجر فقلت سمعًا وطاعة وحملته فوق رأسك فهنا حملته لقدرتك وإرادتك.

فأفعالنا كلها التي نفعلها ناشئة عن إرادة جازمة، وقدرة تامة، والذي خلق هذه القدرة والإرادة هو الله ـ عز وجل ـ، فلو أن الله جعلك مشلولاً ماقدرت، ولو صرف همتك عن الفعل مافعلت. ولهذا قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم. فأحيانًا يكون الإنسان عنده عزيمة أكيدة على الشيء، ثم تنتقض هذه العزيمة بدون أي سبب. وأحيانًا يخرج الإنسان يريد الذهاب لأحد أصدقائه، ثم ينصرف ولا يذهب بدون أي سبب، لكن الله ـ عز وجل ـ يلقي في قلبه انصراف الهمة فيرجع.

لهذا نقول: إن أفعال الإنسان مخلوقه لله، لأنها ناشئة عن إرادة جازمة وقدرة تامة، وخالق هذه الإرادة، والقدرة هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ووجه كون الله هو الخالق لهذه الإرادة والقدرة؛ لأن الإرادة والقدرة وصفان للمريد والقادر خالقه هو الله، وخالق الموصوف خالق للوصف، وبهذا اتضَّح الأمر وانجلى بأن أفعال الإنسان مخلوقة لله ـ عز وجل ـ.

وهاهنا بحوث في باب القدر، لأن هذا الباب كما قلنا في أول الكلام عليه باب شائك مشكل:

المبحث الأول: لله ـ عز وجل ـ مشيئة، وله إرادة ومحبة

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ويفعلُ الله ما يشاءُ﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿الله يفعل مايريد﴾[2]

أولاً: هل المشيئة والارادة شيء واحد؟ أم يفترقان؟ الجواب: بل يفترقان.

ثانيًا: هل الإرادة والمحبة شيء واحد، يعني أن الله إذا أحبَّ شيئًا أراده، وإذا أراد شيئًا فقد أحبَّه؟ أو يفترقان؟ الجواب: بل يفترقان.

فعندنا ثلاثة أشياء: المشيئة، والمحبة، والإرادة، وهذه الثلاثة ليست بمعنى واحد، بل تختلف.

المشيئة: تتعلق بالأمور الكونية سواء كانت محبوبة لله أو مكروهة له، أي أن الله ـ تعالى ـ قد يشاء الشيء وهو لايحبه، وقد يشاء الشيء وهو يحبه.

فالمعاصي كائنة بمشيئة الله، وهو لايحبها، والفساد في الأرض كائن بمشيئة الله، والله لايحب الفساد، والكفر كائن بمشيئة الله، والله لايحب الكفر.

فالمشيئة إذن تتعلق بالأمور الكونية فيشاء الله كونًا مالايحبه ومايحبه.

المحبة: تتعلق بالأمور الشرعية، فلا تكون إلا فيما يبحه الله، فالمعاصي غير محبوبة لله، وأما الطاعات فهي محبوبة له سبحانه، سواء حصلت أم لم تحصل.

الإرادة: ولها جانبان: جانب تكون فيه بمعنى المشيئة، وجانب تكون

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

فيه بمعنى المحبة، فإذا كانت بمعنى المحبة فهي الإرادة الشرعية، وإذا كانت بمعنى المشيئة فهي الإرادة الكونية.

وإذا كانت الإرادة شرعية وهي التي تكون بمعنى المحبة، فإنه لايلزم منها وقوع المراد مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والله يُريدُ أن يتوب عليكم**﴾، فهذه إرادة شرعية بمعنى المحبة، لأنَّها لو كانت بمعنى المشيئة لوقعت التوبة على جميع الناس، ونحن نشاهد أن من الناس من يتوب ومنهم من لايتوب.

وأما الإرادة الكونية التي بمعنى المشيئة فيلزم فيها وقوع المراد، فإذا أراد الله شيئًا كونًا وقع ولابد وهذه الإرادة كالمشيئة، تكون فيما يحبه وفيما لايحبه، لكن إذا أراد الله شيئًا بهذا المعنى وقع ولابد، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولكنَّ الله يفعلُ مايريدُ**﴾[1]. فإنه كقوله: ﴿**ويفعل الله مايشاء**﴾[2]، سواء بسواء ومثل قوله: ﴿**إن كان الله يريدُ أن يغويكم**﴾[3]، فإنها بمعنى يشاء أن يغويكم، وليست بمعنى يحب أن يغويكم، لأن الله ـ تعالى ـ لايحب أن يغوي عباده.

ويمكن أن تتفق الإرادتان ـ الشرعية والكونية ـ في حادث واحد، مثل إيمان أبي بكر فهذا مراد الله شرعًا وكونًا؛ لأن الله يحبه فهو مراد له شرعًا؛ ولأنه وقع فهو مراد له كونًا.

وتنتفي الإرادتان مثل (كفر المؤمن) فهو غير مراد لله شرعًا، لأنَّه يكرهه، وغير مراد لله كونًا، لأنَّه لم يقع.

ومثال الإرادة الكونية دون الشرعية مثل (كفر أبي جهل وأبي لهب)، فقد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٤.

تعلَّق بكفـرهمـا الإرادة الكونية، لأنه وقع الكفر دون الشرعية، لأن الله لايحب الكافرين.

ومثـال الإرادة الشرعية دون الكـونية، مثـل (إيمان فرعون) فهو مراد شرعًا، لأن الله ـ عز وجل ـ أرسل إليه موسى ودعاه، لكن الله لم يرده كونًا، فلذلك لم يقع ولم يؤمن فرعون.

المبحث الثاني: كراهية الله ـ سبحانه ـ للكفر مع إرادته له:

إذ كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكره الكفر فكيف يريده مع أنَّه لا أحَدَ يُكرِهُ الله ـ عز وجل ـ؟ فالجواب: أن المراد نوعان:

النوع الأول: مراد لذاته: وهو المحبوب، فالشيء المحبوب يريده من يريده لذاته كالإيمان، فالإيمان مراد لله كونًا وشرعًا؛ لأنَّه مراد لذاته.

النوع الثاني: المراد لغيره بمعنى أن الله تعالى يقدِّره لا لأنه يحبه، ولكن لما يترتب عليه من المصالح فهو مراد لغيره، فيكون من هذه الناحية مشتملاً على الحكمة وليس فيه إكراه.

مثال ذلك: الكفر مكروه لله ـ عز وجل ـ ولكن الله يُقدِّره على العباد، لأنه لولا الكفر لم يتميز المؤمن من الكافر، ولم يكن المؤمن محلاً للثناء؛ لأن كل الناس مؤمنون، وأيضًا لو لم يقع الكفر فلم يكن هناك جهاد فمن يجاهد المؤمن إذن، ولو لم يقع الكفر ماعرف المؤمن قدر نعمة الله عليه بالإسلام، ولو لم يقع الكفر، وكان الناس كلهم مسلمين ماكان للإسلام فضل، ولا ظهر له فضل، ولو لم يقع الكفر لكان خلق النار عبثًا وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى هذا المعنى في قوله: ﴿**ولو شاء ربُّك لجعل النَّاس أمة واحدةً ولايزالون مختلفين إلَّا من رحم ربُّك ولذلك خلقهُم وتمَّت كلمةُ ربِّك لأملأنَّ جهنَّم من الجنةِ والناس أجمعين**﴾[1]، فتبينَّ أن المراد الكوني ـ الذي يكون مكروهًا لله ـ يكون مرادًا لغيره.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

واضرب مثلاً: ﴿ولله المثل الأعلى﴾[1]، برجل له ابن يحبه حبًا جمًا، ولو سقطت عليه شرارة من نار، لكانت كالتي سقطت على قلب أبيه، من محبته له، فمرض هذا الابن فعرض على الأطباء، فقال الطبيب: لابد من كيه بمسمار من نار، فقال الأب، وهو كذلك، فهذا الكي للابن ليس محبوبًا للأب لذاته بل محبوبًا لغيره، فتجد هذا الأب أراد وبكل طمأنينة وراحة وانشراح صدر أراد أن يكوي ابنه بمسمار من نار، مع أنه لو سقطت على الابن شرارة لكانت ساقطة على قلب أبيه.

فعلم الآن أن المكروه قد يفعل، لا لذاته ولكن لغيره، فهكذا الكفر والمعاصي والفساد، يريدها الرب ـ عز وجل ـ لما تتضمنه من المصالح، فهي مرادة لغيرها لا لذاتها.

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

المبحث الثالث: قضاء الله والرضا به:

نحن نؤمن بأن الله ـ سبحانه ـ يقضي كل شيء، فنؤمن بقضاء الله أيًا كان هذا القضاء، ويجب علينا أن نؤمن به ونرضى به أيًا كان، لكن هل يجب علينا أن نرضى بالمقضى؟ أو لانرضى؟.

نقول: هذا أقسام، فالمقضي نوعان:

الأول: مقضي شرعاً. **والثاني**: مقضي كونًا.

فالمقضي شرعًا: يجب علينا أن نرضى به، مثل أن قضى الله علينا بوجوب الصلاة، فيجب أن نؤمن بهذا القضاء، وأن نسلِّم لوجوب الصلاة، ومثل: أن قضى الله بتحريم الزنا، فيجب علينا أن نؤمن بهذا المقضي، وأن الزنا محرم، ومثل أن قضى الله بحل البيع فيجب علينا أن نرضى بذلك وأن نؤمن بأن البيع حلال، ومثل: أن قضى الله بتحريم الربا، فيجب علينا أن نؤمن بهذا، وأن نستسلم لتحريم الربا.

فالخط العريض لهذا المسألة أن القضاء الشرعي يجب الرضا به، والتسليم به؛ لأن: **﴿ومَن لَمْ يَحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**(1).

وأمَّا الثاني فهو القضاء الكوني: أي مايقضى به الله كونًا ـ فإن كان محبوبًا للنفس، ملائمًا للطبع، فالرضا به من طبيعة الإنسان وفطرته، كما لو قضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان بعلم فإنه يرضى به، وكذلك لو قضى الله سبحانه للإنسان بمال فإنه يرضى به، وكذلك لو قضى بولد فإنه يرضى به.

---

(1) سورة المائدة: الآية: ٤٤.

وإما أن يكون المقضي كونًا غير ملائم للإنسان، ولا موافق لطبيعته مثل المرض، الفقر، الجهل، فقدان الأولاد، أو ماأشبه ذلك، فهذا اختلف العلماء فيه:

فمنهم من قال: يجب الرضا.

ومنهم من قال يستحب الرضا.

والصحيح: أن الرضا به مستحب.

وأحوال الإنسان عند هذا النوع من القضاء - وهو القضاء الذي لايلائم الطبع ويكون مكروهًا للإنسان - أحواله عنده أربع: السخط، والصبر، والرضا، والشكر.

أولاً: السخط: وهو محرَّم كما لو أصيب رجل بمصيبة وهي تلف المال، فأخذ يستخط من قضاء الله وقدره وصار يخمش وجهه، ويشق ثوبه، ويجد في نفسه كراهة لتدبير الله - عز وجل -، فهذا محرَّم، ولهذا لعن النبي، ﷺ، النائحة والمستمعة وقال: «**ليس منّا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**».

هل هذا الفعل مع كونه محرمًا، ومن كبائر الذنوب هل يبرد من حرارة المصيبة؟ أبدًا لايبرد من حرارة المصيبة، بل يزيدها، ويبدأ الإنسان يتسخط ويتحسر ولا يستفيد شيئًا؛ لأن هذا القضاء الذي قضاه الله - عز وجل -، لابد أن يقع مهما كان، يعني لاتقدر أنك لو لم تفعل كذا لم يكن كذا فهذا تقدير وهمي من الشيطان، فهذا المقدَّر لابد أن يكون، ولهذا قال النبي، عليه الصلاة والسلام: «**ماأصابك لم يكن ليخطئك، وماأخطأك لم يكن ليصيبك**». فلابد أن يقع كما أراد الله - عز وجل -، وقال النبي، ﷺ:

«احرص علىماينفعك، واستعن بالله، ولاتعجزنَّ، وإن أصابك شيء - أي بعد أن تحرص على ماينفعك، وتستعين بالله - إن أصابك شيء لاتقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

فلو أن إنسانًا خرج للنزهة بسيارته - التي هي من أحسن السيارات - فأصيب بحادث وتكسرت السيارة، فبدأ يقول: لو أني ماخرجت لهذه النزهة ماتكسرت السيارة، ويُندم نفسه، ويلوم نفسه، فهل ينفعه هذا؟ أبدًا لاينفع، لأن هذا كُتب وسيجري الأمر بما كتب مهما كان.

ثانيًا: الصبر: يتألم الإنسان من المصيبة جدًا ويحزن، ولكنه يصبر، لا ينطق بلسانه، ولايفعل بجوارحه، قابض على قلبه، موقفه أنه قال: **«اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها»**. **«إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُون»**، فحكم الصبر هنا الوجوب، فيجب على الإنسان أن يصبر على المصيبة، وألا يحدِّث قولاً محرمًا، ولا فعلاً محرمًا.

ثالثًا: الرضا: تصيبه المصيبة فيرضى بقضاء الله، والفرق بين الرضا والصبر، أن الراضي لم يتألم قلبه بذلك أبدًا، فهو يسير مع القضاء **«إن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له»**، ولايرى الفرق بين هذا وهذا بالنسبة لتقبله لما قدّره الله - عز وجل -، أي أن الراضي تكون المصيبة وعدمها عنده سواء. هذه المسألة يقول بعض العلماء: إنها واجبة، لكن جمهور أهل العلم على أنها ليست بواجبة، بل مستحبة، فهذه لاشك أنها أكمل حالاً من الصبر، وأما أن نلزم الناس ونقول يجب عليكم أن تكون المصيبة وعدمها عندكم سواء، فهذا صعب ولا أحد يتّحمله، فالصبر يستطيع الإنسان أن يصبر، ولكن الرضا يعجز أن يرضى.

رابعًا: الشكر: وهذه قد يستغربها الإنسان، فكيف يمكن للإنسان أن يصاب بمصيبة فيشكر الله، وهل هذا إلا مناف لطبيعة البشر؟ ولكن يكون هذا إذا عرف الإنسان قدر ثواب المصيبة إذا صبر عليها قال ـ تعالى ـ: ﴿**إنما يُوَفَّى الصَابِرُونَ أجرهُم بِغيْرِ حِسَاب**﴾[1]، وقال: ﴿**وبشِّرِ الصابرين الـذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**﴾[2]، فيقول: ماأرخص الدنيا عندي، وماأقلها في عيني، إذا كنت أنال بهذه المصيبة التي صبرت عليها أنال هذه الصلوات وهذه الرحمة من الله ـ عز وجل ـ وهذا الأجر الذي أوفاه بغير حساب، فيشكر الله على هذه النعمة ويرى أن هذه من نعمة الله عليه، لأن كل الدنيا زائلة وفانية، والأجر، والصلوات، والرحمة باقية، فيشكر الله على هذه المصيبة ـ والشكر هنا على المصيبة مستحب وليس بواجب، لأنه أعلى من الرضا ـ أما الشكر على النعم فهو واجب.

فهـذه هي مراتب الإنسـان بالنسبـة للمقضي كونًا مما يخالف الطبيعة ولايلازم رغبة الإنسان.

وهنا مسألة: إذا قال قائل: ماتقولون في الرضا بالنسبة لما يفعله الإنسان من الأمورالشرعية كما لو زنى إنسان، أو سرق، فهل ترضون بزناه وسرقته؟

فالجواب: أن فيها نظرين: الأول باعتبار أن الله قدَّرها وأوجدها، فهي من هذه الناحية قضاء كوني يجب علينا أن نرضى به، فلا نقول لماذا جعل الله الزاني يزني، وجعل السارق يسرق، فليس لنا أن نعترض.

أما بالنسبة لفعل العبد لها فلا نرضى، ولهذا فإننا نقيم عليه الحد قال

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥ـ ١٥٧.

ـ تعالى ـ: ﴿الزانية والزَّاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله وباليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[1]، وفي السارق قال الله ـ تعالى ـ: ﴿والسَّارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[2]، ومعلوم أن جلدهما، وقطع يد السارق والسارقة غير رضا، فلو كان رضا ماكنا تعرَّضنا لهم بالعقوبة.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

المبحث الرابع: احتجاج المذنبين بالقدر:

نحن ذكرنا أن كل شيء قد كتبه الله، وكل شيء بمشيئة الله، وكل شيء مخلوق لله، فهل هذا الإيمان يستلزم أن يكون للعاصي حجة على معصية؟ أو لا؟ كما لو أمسكنا رجلاً يعصى الله، فقلنا له لم تفعل المعصية؟ فقال: هذا بقضاء الله وقدره، فهذا صحيح، لكن إذا جاء بهذه الكلمة ليحتج بها على معصية، فنقول: هذه الحجة باطلة، ولا حجة لك بالقدر على معصية الله - عز وجل -، ودليل ذلك قال الله - تعالى -: ﴿**سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا أباؤنا ولا حرَّمنا من شيء كذلك كذَّب الـذين من قبلهم حتى ذاقُوا بأسنا**﴾[1]، فلم يقرهم الله - سبحانه - على احتجاجهم والدليل على أنه لم يقرَّهم قوله: ﴿**حتَّى ذاقُوا بأسنا**﴾، ولو كان لهم حجة في ذلك ماأذاقهم الله بأسًا.

ولكن سيورد علينا مورد خلاف ماقررناه، سيقول قائل: ألم يقل الله - تعالى -: ﴿**اتَّبعْ ماأوحي إليك من ربِّك لا إله إلا هو واعْرِض عن المُشركين ولـو شاء الله ماأشركـوا ومـاجعلنـاك عليهم حفيظًا وماأنت عليهم بوكيل**﴾[2]، فكيف تقول إن الله أبطل حجة الذين قالوا: ﴿**لو شاء الله ماأشركنا ولا أباؤنا**﴾[3] والله - عز وجل - يقول لرسوله: ﴿**ولو شاء الله ماأشركوا**﴾[4]؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.

فالجواب: هناك فرق بين المراد في الآيتين، أما قوله: ﴿اتَّبع ماأوحي إليك من ربِّك لا إله إلا هو وأعرض عن المُشركين ولو شاء الله ماأشركوا﴾(١)، فهذا تسلية للرسول، ﷺ، يبين الله له أن شركهم واقع بمشيئة الله، من أجل أن يطمئن الرسول، ﷺ، ويعلم أنه إذا كان بمشيئة الله فلابد أن يقع، ويكون به الرضا.

أما الآية الثانية: ﴿سَيقولُ الَّذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا. . .﴾(٢)، فإنما أبطل الله ذلك لأنهم يريدون أن يحتجوا بالقدر على الشرك والمعصية، فهم لو احتجّوا بالقدر للتسليم به مع صلاح الحال لقبلنا ذلك منهم، كما لو أنهم عندما أشركوا قالوا: هذا شيء وقع بمشيئة الله، ولكن نستغفر الله ونتوب إليه من ذلك، لقلنا: أنتم صادقون، أما أن يقولوا حين ننهاهم عن الشرك: ﴿لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حَرَّمنا من شيء. .﴾(٣)، فهذا غير مقبول منهم إطلاقًا.

ثانيًا: ويدل على بطلان احتجاج العاصي بالقدر أيضًا قول الله ـ تعالى ـ حين ذكر الرسل: ﴿إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾(٤)، قال: ﴿رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾(٥) ووجه الدلالة بهذه الآية أن القدر لو كان حجة لم تنقطع هذه الحجة بإرسال الرسل، لأن القدر قائم حتى بعد إرسال الرسل، فلمَّا كان إرسال الرسل حجة يقطع عذر العاصي تبيَّن أن القدر ليس حجة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

للعصاة، ولو كان القدر حجة لهم لبقي حجة لهم حتى بعد إرسال الرسل، لأن القدر لاينقطع بإرسال الرسل.

ثالثًا: ومن الأدلة على بطلان الاحتجاج بالقدر أن يقال لمن احتجَّ بالقدر: إن أمامه الآن طريقان، طريق خير، وطريق شر، وهو قبل أن يدخل طريق الشر، هل يعلم أن الله قدَّر له أن يدخل طريق الشر؟ لايعلم بلا شك، وإذا كان لايعلم فلماذا لايُقدِّر أن الله قدَّر له طريق الخير؟! لأن الإنسان لايعلم ماقدَّره الله إلا بعد أن يقع؛ لأن القضاء كما قال بعض العلماء: «سر مكتوم»، لايعلم إلا بعد أن يقع ونشاهده فنقول للعاصي: أنت أقدمت على المعصية، وحين إقدامك لاتعلم أن الله قدَّرها لك، فإذا كنت لاتعلم فلماذا لاتقدِّر أن الله قدَّر لك الخير فتلج باب الخير؟!

رابعًا: أن نقول له: أنت في شئون دنياك تختار الخير أم الشر؟ فسيقول: الخير، فنقول له لماذا لاتختار في شئون الآخرة ماهو خير؟!

ومثل ذلك: إذا قلنا له أنت الآن ستسافر إلى المدينة قال: نعم. فقلنا له، هناك طريقان طريق اليسار غير مسفلت، وفيه قطَّاع طريق، وأخطار عظيمة، وأما الطريق الأيمن فهو مسفلت وآمن فمن أين ستسافر؟ بالتأكيد أنه سيقول من الأيمن، فنقول له: لماذا في أمور الدنيا تذهب إلى الأيمن الذي فيه الخير والنجاة؟! لماذا لاتذهب مع الطريق الأيسر، الذي فيه قطَّاع الطريق وغير معبَّد وتقول هذا مقدَّر عليَّ؟! فسيقول: أنا لا أعلم المقدَّر ولكن بنفسي أختار الطيب. فنقول له: لماذا لاتختار في طريق الآخرة ماهو طيب؟!

مثال آخر: إذا أمسكنا واحدًا من الناس، وبدأنا نضربه ضربًا مبرحًا، وهو يصيح ونحن نقول له: هذا قضاء الله وقدره، وكلَّما صاح ضربناه وقلنا

له: هذا قضاء الله وقدره، فهل يقبل هذه الحجة؟ بالتأكيد أنه لن يقبلها، مع أنه إذا عصى الله قال: هذا قضاء الله وقدره ولكن نحن إذا عصينا الله فيه مايقبل أن نقول له: هذا قضاء الله وقدره، بل يقول: هذا من فعلكم أنتم، أليست هذه حجة عليه؟ ولهذا يذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ جيء إليه بسارق فأمر بقطع يده، لأن السارق يجب أن تقطع يده، فقال: مهلاً ياأمير المؤمنين، فوالله ماسرقت إلا بقضاء الله وقدره، فهو صادق لكن أمامه عمر فقال له رضي الله عنه: ونحن لانقطعك إلا بقضاء الله وقدره، فأمر بقطعه بقضاء الله وقدره، فاحتج عليه عمر بما احتج به هو على عمر.

فإذا قال قائل: إن لدينا حديثًا أقرّ فيه النبي، ﷺ، الاحتجاج بالقدر وهو: أن آدم احتجّ هو وموسى فقال له موسى: أنت أبونا خيبتنا أخرجتنا ونفسك من الجنة، فقال له آدم: أتلومني على شيء قد كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني؟ فقال النبي، ﷺ: «**فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**»، أي غلبه بالحجة مع أن آدم احتج بقضاء الله وقدره. فهل هذا الحديث إلا إقرار للاحتجاج بالقدر؟.

فالجواب أن نقول: إن هذا ليس احتجاجًا بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصية العبد، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب، ولهذا قال: «**خيبتنا، أخرجتنا ونفسك من الجنة**». ولم يقل: عصيت ربك فأخرجت من الجنة.

إذن احتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبر مصيبة، والاحتجاج بالقدَر على المصائب لا بأس به.

أرأيت لو أنك سافرت سفرًا، وحصل لك حادث، وقال لك إنسان: لماذا تسافر، لو أنك بقيت في بيتك ماحصل لك شيء؟ فبماذا ستجيبه؟ الجواب: أنك ستقول له: هذا قضاء الله وقدره، أنا ماخرجت لأجل أن أصاب بالحادث، وإنما خرجت لمصلحة فأصبت بالحادث، كذلك آدم عليه الصلاة والسلام، هل عصى الله لأجل أن يخرجه من الجنة؟ لا فالمصيبة إذن التي حصلت له مجرد قضاء وقدر، وحينئذ يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجًا صحيحًا، ولهذا قال النبي، ﷺ: «**فحج آدم موسى فحج آدم موسى**».

مثال آخر: ماتقولون في رجل أصاب ذنبًا وندم على هذا الذنب وتاب منه، وجاء رجل من إخوانه يقول له: يافلان كيف يقع منك هذا الشيء؟ فقال: هذا قضاء الله وقدره. فهل يصح احتجاجه هذا أو لا؟ نعم يصح، لأنه تاب فهو لم يحتج بالقدر ليمضي في معصيته، لكنه نادم ومتأسف.

ونظير ذلك أن النبي، ﷺ، دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعلى فاطمة بنت محمد رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها، فوجدهما نائمين، فكأن النبي، ﷺ، لامهما لماذا لم يقوما؟ فقال: علي بن أبي طالب: يارسول الله إن أنفسنا بيد الله فإن شاء الله أمسكها، وإن شاء أرسلها، فخرج النبي، ﷺ، يضرب على فخذه وهو يقول: ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾[1] فهل الرسول قبل حجته؟ لا، لكن الرسول، ﷺ، بيَّن أن هذا من الجدل، لأن الرسول، ﷺ، يعلم أن الأنفس بيد الله، لكن يريد أن يكون الإنسان حازمًا، فيحرص على أن يقوم ويصلي.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

على كل حال تبين لنا أن الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريرًا لموقف الإنسان واستمرارًا فيها فغير جائز.

المبحث الخامس: هل الانسان مسير أم مخير؟

شاعت كلمة بين الناس في هذا الزمن المتأخِّر وهي قوله: هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر؟

الأفعال التي يفعلها الإنسان يكون مخيراً، فالإنسان مخير، فبإمكانه أن يأكل، ويشرب، ولهذا بعض الناس إذا سمع أذان الفجر قام إلى الماء ليشرب، وذلك باختياره، وكذلك إذا جاء الإنسان النوم فإنه يذهب إلى فراشه لينام باختياره، وإذا سمع أذان المغرب، والتمر أمامه والماء، فإنه يأكل باختياره، وهكذا جميع الأفعال تجد أن الإنسان فيها مخيراً، ولولا ذلك لكان عقوبة العاصي ظُلمًا، فكيف يعاقب الإنسان على شيء ليس فيه اختيار له، ولولا ذلك لكان ثواب المطيع عبثًا، فكيف يثاب الإنسان على شيء لااختيار له فيه؟! وهل هذا إلا من باب العبث؟.

إذن فالإنسان مخير، ولكن مايقع من فعل منه فهو بتقدير الله، لأن هناك سلطة فوق سلطته ولكن الله لايجبره، فله الخيار ويفعل باختياره.

ولهذا إذا وقع الفعل من غير إرادة من الإنسان فإنه لاينسب إليه، قال ـ تعالى ـ في أصحاب الكهف: ﴿**ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**﴾[1]، فنسب الفعل ﴿نقلبهم﴾ إليه سبحانه، لأن هؤلاء نُوَّم فلا اختيار لهم، وقال النبي، ﷺ: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**». فنسب الإطعام والسقي إلى الله، لأن الناسي مافعل الشيء باختياره فلم يختر أن يفسد صومه بالأكل والشرب.

---

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

الحاصل أن هذه العبارة لم أرها في كتب المتقدمين من السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا في كلام الأئمة، ولا في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، أو ابن القيم أو غيرهم ممن يتكلمون، لكن حدثت هذه أخيرًا، وبدأوا يطنطنون بها، «هل الإنسان مسيِّر أم مخيَّر؟» ونحن نعلم أننا نفعل الأشياء باختيارنا وإرادتنا، ولا نشعر أبدًا أن أحدًا يكرهنا عليها ويسوقنا إليها سوقًا، بل نحن الذين نريد أن نفعل فنفعل، ونريد أن نترك فنترك.

لكن كما أسلفنا أولاً في مراتب القدر فإن فعلنا ناشيء عن إرادة جازمة وقدرة تامة، وهذان الوصفان في أنفسنا، وأنفسنا مخلوقة لله، وخالق الأصل خالق للفرع.

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر له فوائد:

أولاً: تكميل الإيمان بالله فإن القدر قدر الله ـ عز وجل ـ فالإيمان به من تمام الإيمان بالله ـ عز وجل ـ.

ثانيًا: استكمال لأركان الإيمان: لأن النبي، ﷺ، ذكره ضمن الإيمان في حديث جبريل.

ثالثًا: أن الإنسان يبقى مطمئنًا لأنه إذا علم أن هذا من الله رضي واطمأن وعرف أن ماأصابه لم يكن ليخطئه، وماأخطأه لم يكن ليصيبه، وقد قلنا إنه لايمكن أن يغيِّر الشيء عمَّا وقع أبدًا، فلا تحاول، ولا تفكَّر، ولا تقل (لو)، فالذي وقع لايمكن أن يتغيَّر أو يتحوَّل.

رابعًا: أن هذا من تمام الإيمان بربوبية الله، وهذا يشبه الفائدة الأولى، لأن الإنسان إذا رضي بالله ربًا استسلم لقضائه وقدَّره واطمأن إليه.

خامسًا: إن الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله ـ عز وجل ـ فيما يقدره من خير أو شر، ويعرف به أن وراء تفكيره وتخيّلاته من هو أعظم وأعلم، ولهذا كثيرًا مانفعل الشيء أو كثيرًا مايقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا. فأحيانًا يشاهد الإنسان رأي العين أن الله يعسر عليه امرأ يريده، فإذا حصل ماحصل وجد أن الخير في عدم حدوث ذلك الشيء. وماأكثر مانسمع أن فلانًا قد حجز في الطائرة الفلانية على أنه سيسافر، ثم يأتي فيجد أن الطائرة قد أقلعت، وفاته السفر، فإذا بالطائرة يحصل عليها حادث. فهو عندما حضر أولاً ليركب فيها ووجد أنها أقلعت يحزن، لكن عندما يقع الحادث يعرف أن هذا خير له، ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: **﴿كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾**[1]

بقي علينا في حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سؤال جبريل النبي، ﷺ، عن الإحسان، والساعة حيث قال جبريل للنبي ﷺ ماالإحسان قال النبي، ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فقال أخبرني عن الساعة؟ قال: ماالمسئول عنها بأعلم من السائل؟**».

أولاً: الإحسان:

الإحسان: ضد الإساءة، وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى، فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وعلمه، وجاهه، وبدنه.

فأما المال فأن ينفق، ويتصدق، ويزكي، وأفضل أنواع الإحسان بالمال

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولايتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله ـ عز وجل ـ، ويلي ذلك، مايجب على الإنسـان من نفقـة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممَّن هم أهل للصدقة كطلَّاب العلم مثلاً.

وأمَّا بذل المعروف في الجاه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

وأمـا بعلمه فأن يبذل علمه لعباد الله، تعليمًا في الحلقات والمجالس العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلِّم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلَّما جلست مجلسًـا جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبي، ﷺ، كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأمـا الإحسـان إلى النـاس بالبـدن فقـد قال النبي ـ عليه الصـلاة والسلام ـ: «**وتعينَّ الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة**». فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي، ﷺ، وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب

وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثًا عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرَّب إليه ـ سبحانه وتعالى ـ، «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله ـ عز وجل ـ كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه الدرجة عند أهل العبادة أدنى من الدرجة الأولى.

وعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عابده هما ركنان

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غاية الحب، وغاية الذل، ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والهرب، فهذا هو الإحسان في عبادة الله ـ عز وجل ـ.

وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصًا لله ـ عز وجل ـ، لايريد بعبادته رياء ولاسمعة، ولامدحًا عند الناس، وسواء اطَّلع الناس عليه أم لم يطَّلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال، بل إن من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سرًا، إلا إذا كان فإعلان ذلك مصلحة للمسلمين أو للإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعًا يقتدى به، وأحب أن يبيِّن عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراسًا يسيرون عليه، أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة

الإخفاء، لهذا يثني الله - عز وجل - على الذين ينفقون أموالهم سرًا وعلانية، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إلى الله أسروا، وإذا كان في الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه.

والمؤمن ينظر ماهو الأصلح، كلّما كان أصلح وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل.

الساعة وعلامتها:

ثم قال جبريل للنبي، ﷺ: «**أخبرني عن الساعة متى تكون؟ فقال النبي، ﷺ: ماالمسئول عنها بأعلم من السائل؟**». فالمسئول هو الرسول، ﷺ، والسائل جبريل عليه السلام، وكلنا يعلم أن هذين الرسولين أفضل الرسل فجبريل أفضل الملائكة، ومحمد أفضل البشر، بل أفضل الخلق على الإطلاق، عليه الصلاة والسلام، وكلاهما لايدري متى تقوم الساعة، لأنه لايدري متى تقوم الساعة إلا الرب - عز وجل - قال تعالى: ﴿**يسألك الناس عن الساعة قل إنّما علمُها عند الله**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**يسألونك عن الساعة أيّان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربّك مُنتهاها**﴾[2]، فكان النبي، ﷺ، يقول لجبريل: إذا كنت لاتعلمها فأنا أيضًا لا أعلمها، وليس المسئول بأعلم من السائل، وإذا كانت خفية عليك فهي أيضًا خفية علي، فلا يعلمها إلا الله، قال: «**فأخبرني عن أماراتها**». أي علاماتها وأشراطها، كما قال - تعالى -: ﴿**فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٤٢ - ٤٤.

فقد جاء أشراطها﴾[1]

وأشراط الساعة هي العلامات الدالة على قربها، وقد قسَّمها العلماء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أشراط مضت وانتهت.

القسم الثاني: أشراط لم تزل تتجدد وهي وسط،

القسم الثالث: أشراط كبرى تكون عند قرب قيام الساعة.

فمن الأشراط السابقة المتقدمة: بعثة النبي، ﷺ، فإن بعثة الرسول، ﷺ، وكونه خاتم النبيين دليل على قرب الساعة، ولهذا قال النبي، ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى**». أين أنهما متقاربان.

وأما الأشراط التي تتجدد وهي صغيرة، فمثل فتح بيت المقدس وغيرها مما جاءت به السنة عن النبي، ﷺ.

وأما الأشراط الكبرى التي تنتظر فمثل طلوع الشمس من مغربها، فإن هذه الشمس التي تدور الآن، إذا غابت استأذنت من الله ـ عز وجل ـ أن تستمر في سيرها، فإن أذن الله لها وإلا قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع وتخرج من مغربها، وحينئذ يؤمن الناس إذا رأوها، ولكن: ﴿**لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكُن آمَنْت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾[2]

ثم ذكر الرسول، ﷺ، من أشراطها.

أولاً: قال: «**أن تلد الأمـة ربتها**». وفي رواية «**أن تلد الأمة ربها**»، ومعنى هذا أن من أشراط الساعة أن الأمَة التي كانت تباع وتشترى تلد من يكـونـوا أسيادًا ومالكين، فهي كانت مملوكة في الأول، وتلد من يكونوا

(١) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

أسيادًا مالكين.

ويكون معنى قوله (ربتها) أو (ربها) إضافة إلى الجنس، لا إضافة إلى نفس الوالدة، لأن الوالدة لايمكن أن يملكها ابنها، ولكن المراد الجنس كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد زيَّنا السماءَ الدُنيا بمصابيحَ وجعلناها رجومًا للشياطين**﴾[1]، فالضمير في ﴿**جعلناها**﴾[1] يعود إلى الذي يرمي به الشهب، لكن لما كانت هذه الشهب تخرج من النجوم أضيفت إلى ضمير يعود عليها، كذلك (ربها) أو (ربتها) فالمراد الجنس أي أن الأمة تلد من يكون سيدًا أو تلد الأمة من تكون سيدة.

ثانيًا: «وأن الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان» وهذه الأوصاف تنطبق على الفقراء الذين من البادية يرعون الغنم يتطاولون في البنيان، وهذا يلزم أن أهل البادية يرجعون إلى المدن فيتطاولن في البنيان، بعدما كانوا حفاه، عراة، عالة، يرعون الشاة، وهذا وقع من زمان.

وهنا سؤال: هل الرسول، ﷺ، لما قال له جبريل: أخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربَّها. . .» إلخ هل أراد الحصر؟ أم أراد التمثيل؟ فالجواب: أنه أراد التمثيل، وفي هذا دليل على أن الشيء قد يفسَّر ببعض أفراده على سبيل التمثيل، وإلا فهناك أشراط أخرى لم يذكرها النبي، ﷺ.

(فانطلق) ثم قال النبي، عليه الصلاة والسلام: «**أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

---

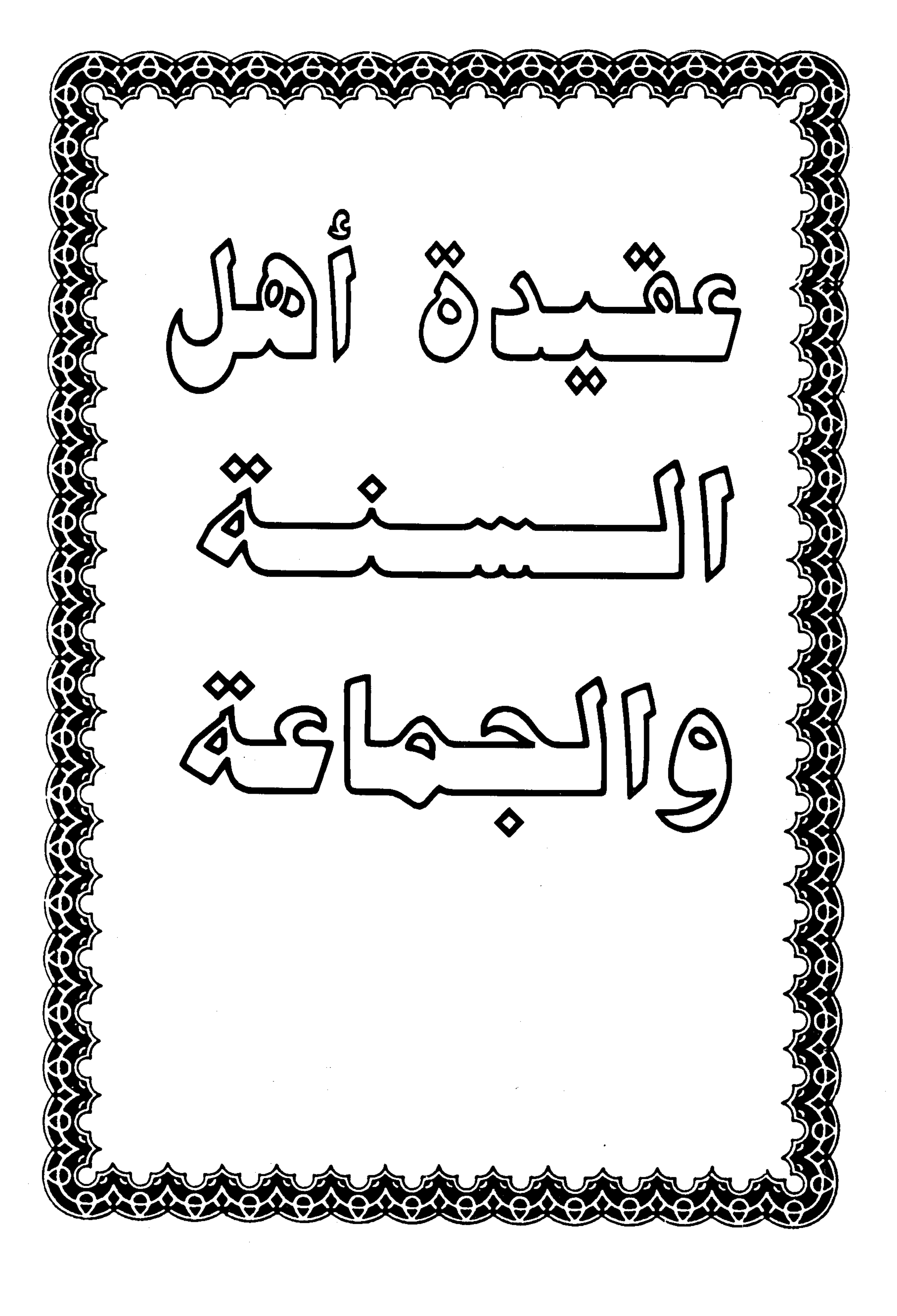
(١) سورة الملك، الآية: ٥.

فجبريل الذي له ستمائة جناح، وقد سد الأفق، أتى على صورة رجل، ثم قال: «**يعلمكم دينكم**» ومع أن الذي علَّمنا الدين هو النبي، ﷺ، لكن النبي، ﷺ، جعل جبريل معلمًا، لأنه هو الذي سأل وكان التعليم بسببه، فيستفاد منه أن المتسبب كالمباشر.

وقد أخذ الفقهاء قاعدة من هذا في باب الجنايات قالوا: (المتسبب كالمباشر) ولهذا سمى النبي، ﷺ، جبريل الذي تسبب لتعليم الرسول، ﷺ، هذا الدين الذي أجاب به جبريل سمَّاه معلمًا.

الثاني: أن الإنسان إذا سأل عن مسألة وهو يعلمها، لكن من أجل أن يعرفها الناس صار هو المعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبهذا انتهى شرح حديث جبريل والحمد لله رب العالمين.


عقيدة أهل
السنة
والجماعة



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لسماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فقد اطلعت على العقيدة القيّمة الموجزة، التي جمعها أخونا العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وسمعتها كلها، فألفيتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة؛ في باب توحيد الله، وأسمائه، وصفاته، وفي أبواب الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وقد أجاد في جمعها وأفاد وذكر فيها ما يحتاجه طالب العلم، وكل مسلم في إيمانه بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقد ضمّ إلى ذلك فوائد جمة تتعلق بالعقيدة قد لا توجد في كثير من الكتب المؤلفة في العقائد. فجزاه الله خيراً، وزاده من العلم والهدى، ونفع بكتابه هذا وبسائر مؤلفاته، وجعلنا وإيّاه، وسائر إخواننا من الهداة المهتدين الداعين إلى الله على بصيرة، إنه سميع قريب.

قاله مُمليه الفقير إلى الله ـ تعالى ـ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز سامحه الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهـد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتمُ النبيين وإمام المتقين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله تعالى أرسل رسوله محمدًا، ﷺ، بالهدى ودين الحق؛ رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على العباد أجمعين.

بيّن به، وبما أنزل عليـه من الكتاب والحكمة كل ما فيه صلاح العبـاد واستقـامة أحوالهم؛ في دينهم ودنياهم: من العقائد الصحيحة، والأعـمال القويمة، والأخلاق الفاضلة، والآداب العالية، فترك، ﷺ، أمته على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يَزيغُ عنها إلا هالك.

فسار على ذلك أمته الذين استجابو لله ورسوله، وهم خيرة الخلق من الصحـابـة والتـابعـين، والـذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته وتمسكوا بسنته، وعضوا عليها بالنواجذ: عقيدة، وعبادة، وخلقًا، وأدبًا.

فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك.

ونحن ـ ولله الحمـد ـ على آثـارهم سائـرون، وبسـيرتهم المؤيدة بالكتاب والسنة مهتدون، نقول ذلك تحدثًا بنعمة الله تعالى وبيانًا لما يجب أن يكون عليه كل مؤمن.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا واخواننا المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب.

ولأهمية هذا الموضوع، وتفرق أهواء الخلق فيه، أحببت أن أكتب على سبيل الاختصار عقيدتنا، عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، سائلاً الله تعالى أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، موافقًا لمرضاته نافعًا لعباده.

عقيدتنا

عقيدتنا: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره.

فنؤمن بربوبية الله تعالى أي بأنه الرب الخالق، الملك، المدبر لجميع الأمور.

ونؤمن بألوهية الله تعالى، أي بأنه الإلـه الحق، وكل معبود سواه باطل.

ونؤمن بأسمائه وصفاته، أي بأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العُليا.

ونؤمن بوحدانيته في ذلك، أي بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًّا﴾.[1].

نؤمن بأنه: ﴿الله لا إلـه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[2].

ونؤمن بأنه: ﴿هو الله الذي لا إلـه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إلـه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

العزيز الحكيم﴾[1].

ونؤمن بأن له ملك السموات والأرض: **﴿يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهبُ لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير﴾**[2].

ونؤمن بأنه **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم﴾**[3].

ونؤمن بأنه: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾**[4].

ونؤمن بأنه: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**[5].

ونؤمن بأن الله: **﴿عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾**[6].

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء: **﴿وكلّم الله موسى تكليمًا﴾**[7]. **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه﴾**[8]. **﴿وناديناه من**

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) سورة هود، الآية: ٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٦) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.

جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا﴾[1] .

ونؤمن بأنه : **﴿لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾**[2] . **﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾**[3] .

ونؤمن بأن كلماته أتم الكلمات؛ صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام وحسنًا في الحديث قال الله تعالى : **﴿وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً﴾**[4] . **﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾**[5] .

ونؤمن بأن القرآن الكريم، كلام الله تعالى تكلّم به حقًّا وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل على قلب النبي، ﷺ **﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾**[6] . **﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾**[7] .

ونؤمن بأن الله عز وجل عليّ على خلقه بذاته، وصفاته لقوله تعالى : **﴿وهو العلي العظيم﴾**[8]. وقوله : **﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾**[9] .

ونؤمن بأنه : **﴿خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على**

---

(١) سورة مريم، الآية : ٥٢ .
(٢) سورة الكهف، الآية : ١٠٩ .
(٣) سورة لقمان، الآية : ٢٧ .
(٤) سورة الأنعام، الآية : ١١٥ .
(٥) سورة النساء، الآية : ٨٧.
(٦) سورة النحل، الآية : ١٠٢ .
(٧) سورة الشعراء، الآية : ١٩٣ .
(٨) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .
(٩) سورة الأنعام، الآية : ١٨ .

العرش يدبر الأمر﴾[1]. واستواؤه على العرش، علوه عليه بذاته، علوًّا خاصًّا، يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إلا هو.

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه، وهو على عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبر أمورهم، يرزق الفقير ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[2].

ولا نقول كما تقول الحلولية؛ من الجهمية وغيرهم: إنه مع خلقه في الأرض.

ونرى أن من قال ذلك، فهو كافر أو ضالٌّ لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله، ﷺ، أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد؛ للفصل بين العباد لقوله تعالى: **﴿كلا إذا دُكَّت الأرض دكًّا دكًّا. وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾**[3].

ونؤمن بأنه تعالى: **﴿فعال لما يريد﴾**[4].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢١.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٧.

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان:

كونية: يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوبًا له، وهي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد**﴾[1]. ﴿**إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم**﴾[2].

وشرعية: لا يلزم منها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوبًا له. كقوله تعالى: ﴿**والله يريد أن يتوب عليكم**﴾[3].

ونؤمن بأن مراده الكوني، والشرعي تابع لحكمته؛ فكل ما قضاه كونًا، أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة؛ سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك: ﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾[4]. ﴿**ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون**﴾[5].

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه، وهم يحبونه: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[6]. ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾[7]. ﴿**والله يحب الصابرين**﴾[8]. ﴿**وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾[9]. ﴿**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾[10].

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٣٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٧.
(٤) سورة التين، الآية: ٨.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٩) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(١٠) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

نهى عنه منها: ﴿**إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم**﴾[1]. ﴿**ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين**﴾[2].

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**﴾[3].

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب؛ من الكافرين وغيرهم: ﴿**الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم**﴾[4]. ﴿**ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾[5].

ونؤمن بأن لله تعالى وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[6].

ونؤمن بأن لله تعالى يدين كريمتين عظيمتين: ﴿**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[7]. ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾[8].

ونؤمن بأن لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين لقوله تعالى: ﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**﴾[9]. وقال النبي، ﷺ: «**حجابه النور لو كشفه**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٦.
(٣) سورة البينة، الآية: ٨.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٦) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٨) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٩) سورة هود، الآية: ٣٧.

لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» .

وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي، ﷺ، في الدجال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**» .

ونؤمن بأن الله تعالى ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾[1] .

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[2] .

ونؤمن بأن الله تعالى لا مثيل له لكمال صفاته ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[3] .

ونؤمن بأنه ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾[4] . لكمال حياته وقيوميته.

ونؤمن بأنه لا يظلم أحدًا؛ لكمال عدله.

وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده؛ لكمال رقابته وإحاطته.

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض؛ لكمال علمه وقدرته: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون**﴾[5] .

وبأنه لا يلحقه تعب، ولا إعياء؛ لكمال قوته: ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾[6] أي من تعب ولا إعياء.

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله، ﷺ، من

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٦) سورة ق، الآية: ٣٨.

الأسماء والصفات، لكننا نتبرأ من محذورين عظيمين هما:

التمثيل: أن يقول بقلبه أو لسانه: صفات الله تعالى كصفات المخلوقين.

والتكييف أن يقول بقلبه أو لسانه: كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله، ﷺ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتًا لكمال ضده.

ونسكت عما سكت الله عنه، ورسوله.

ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لابد منه، وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه، أو نفاه عنها سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثًا، والعباد لا يحيطون به علمًا.

وما أثبته له رسوله، أو نفاه فهو خبر أخبر به عنه، وهو أعلم الناس بربه، وأنصح الخلق، وأصدقهم وأفصحهم.

ففي كلام الله تعالى ورسوله، ﷺ، كمال العلم، والصدق، والبيان، فلا عذر في رده، أو التردد في قبوله.

فصـــل

وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتًا أو نفيًا، فإننا في ذلك على كتاب ربنا، وسنة نبينا معتمدون، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون.

ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عز وجل.

ونتبرأ من طريق المحرفين لها، الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله.

ومن طريق المعطلين لها، الذين عطلوها من مدلولها الذي أراده الله ورسوله.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل، أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه، ﷺ، فهو حق لا يناقض بعضه بعضًا لقوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾[1]. ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضًا، وهذا محال في خبر الله تعالى ورسوله، ﷺ.

ومن ادعى أن في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله، ﷺ، أو بينهما تناقضًا، فذلك لسوء قصده، وزيغ قلبه فليتب إلى الله ولينزع عن غَيِّه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

ومن توهم التناقض في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله، ﷺ، أو بينهما، فذلك إما لقلة علمه، أو قصور فهمه، أو تقصيره في التدبر، فليبحث عن العلم، وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق، فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه وليكف عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم: ﴿**آمنا به كل من عند ربنا**﴾[1]. وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

فصـــل

ونؤمن بملائكة الله تعالى وأنهم: **﴿عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[1].

خلقهم الله تعالى فقاموا بعبادته، وانقادوا لطاعته **﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾**[2].

حجبهم الله عنا؛ فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي، ﷺ، جبريل على صورتـه له ستمائة جناح قد سد الأفق، وتمثل جبريل لمريم بشرًا سويًّا فخاطبته وخاطبها، وأتى إلى النبي، ﷺ، وعنده الصحابة؛ بصورة رجل لا يعرف ولا يرى عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي، ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي، ﷺ، ووضع كفيه على فخذيه وخاطب النبي، ﷺ، وخاطبه النبي، ﷺ، وأخبر النبي، ﷺ، أصحابه أنه جبريل.

ونؤمن بأن للملائكة أعمالاً كُلِّفوا بها.

فمنهم جبريل الموكل بالوحي، ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله.

ومنهم ميكائيل، الموكل بالمطر والنبات.

ومنهم إسرافيل، الموكل بالنفخ في الصور، حين الصعق والنشور.

ومنهم ملك الموت، الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومنهم ملك الجبال، الموكل بها.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

ومنهم مالك خازنُ النار.

ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام، وآخرون موكلون بحفظ بني آدم، وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم؛ لكل شخص ملكان: **﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[1].

وآخـرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه فـ **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾**[2].

ومنهم الملائكة، الموكلون بأهل الجنة: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**[3].

وقد أخبر النبي، ﷺ، أن البيت المعمور في السماء يدخله ـ وفي رواية يصلي فيه ـ كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

فصـــــل

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل على رسله كتبًا حجة على العالمين، ومحجة للعاملين يعلمونهم بها الحكمة، ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتابًا لقوله تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[1].

ونعلم من هذه الكتب:

١ - التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى، ﷺ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل: ﴿**فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء**﴾[2].

٢ - الإنجيل: الذي أنزله الله تعالى على عيسى، ﷺ، وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها: ﴿**وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**﴾[3]. ﴿**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**﴾[4].

٣ - الزبور: الذي آتاه الله تعالى داود، ﷺ.

٤ - صحف إبراهيم وموسى، عليهما الصلاة والسلام.

٥ - القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه، محمد خاتم النبيين

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[1] فكان ﴿مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه﴾[2]. فنسخ الله به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين، وزيغ المحرفين ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[3]. لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين، إلى يوم القيامة.

أما الكتب السابقة؛ فإنها مؤقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها، ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير. ولهذا لم تكن معصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص.

﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[4].

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[5].

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا﴾[6].

﴿وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٩.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾[1] إلى قوله: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.



فصـــل

ونؤمن بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً: **﴿مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا﴾**[1].

ونؤمن بأن أولهم نوح، وآخرهم محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾**[2]. **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[3].

وأن أفضلهم محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح، وعيسى ابن مريم، وهم المخصوصون في قوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾**[4].

ونعتقد أن شريعة محمد، ﷺ، حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرسل المخصوصين بالفضل لقوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**[5].

ونؤمن بأن جميع الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. قال الله تعالى عن نوح، وهو أولهم: **﴿ولا أقول لكم عندي**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٣.

خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾[1] . وأمر الله تعالى محمدًا، وهو آخرهم أن يقول: **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾**[2] . وأن يقول: **﴿لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله﴾**[3] . وأن يقول: **﴿قل إني لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا﴾**[4] .

ونؤمن بأنهم عبيد من عباد الله، أكرمهم الله تعالى بالرسالة، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم، فقال في أولهم نوح: **﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا﴾**[5] . وقال في آخرهم محمد، ﷺ: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾**[6] . وقال في رسل آخرين: **﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾**[7] . **﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾**[8] . **﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾**[9] . وقال في عيسى ابن مريم: **﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾**[10] .

---

(١) سورة هود، الآية: ٣١.
(٢) سورة هود، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٤) سورة الجن، الآية: ٢١.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٣.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٧) سورة ص، الآية: ٤٥.
(٨) سورة ص، الآية: ١٧.
(٩) سورة ص، الآية: ٣٠.
(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.

ونؤمن بأن الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمد، ﷺ، وأرسله إلى جميع الناس لقوله تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إلـه إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**[1].

ونؤمن بأن شريعته، ﷺ، هي دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وأن الله تعالى لا يقبل من أحد دينًا سواه لقوله تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[2]. وقوله: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾**[3]. وقوله: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[4].

ونــرى أن من زعم اليوم دينـًا قائـمًا مقبـولاً عنـد الله سوى دين الإسلام، من دين اليهودية، أو النصرانية، أو غيرهما، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدًا، لأنه مكذب للقرآن.

ونــرى أن من كفر برسالة محمد، ﷺ، إلى الناس جميعًا فقد كفر بجميع الرسل، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به، متبع له، لقوله تعالى: **﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾**[5]. فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحًا رسول. وقال تعالى: **﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

للكافرين عذابًا مهينًا﴾[1] .

ونؤمن بأنه لا نبي بعد محمد رسول الله ، ﷺ ، ومن ادعى النبوة بعده أو صدق من ادعاها فهو كافر، لأنه مكذب لله ، ورسوله ، وإجماع المسلمين .

ونؤمن بأن للنبي ، ﷺ ، خلفاء راشدين خلفوه في أمته : علمًا ، ودعوة ، وولاية على المؤمنين ، وبأن أفضلهم وأحقهم بالخلافة أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين .

وهكذا كانوا في الخلافة قدرًا كما كانوا في الفضيلة ، وما كان الله تعالى وله الحكمة البالغة ليولي على خير القرون رجلاً ، وفيهم من هو خير منه وأجدر بالخلافة .

ونؤمن بأن المفضول من هؤلاء قد يتميز بخصيصة يفوق فيها من هو أفضل منه ، لكنه لا يستحق بها الفضل المطلق على من فضله ، لأن موجبات الفضل كثيرة متنوعة .

ونؤمن بأن هذه الأمة خير الأمم ، وأكرمها على الله عز وجل ، لقوله تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[2] .

ونؤمن بأن خير هذه الأمة الصحابة ، ثم التابعون ، ثم تابعوهم .

وبأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل .

ونعتقد أن ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الفتن ، فقد

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

صدر عن تأويل اجتهدوا فيه. فمن كان منهم مصيبًا كان له أجران، ومن كان منهم مخطئًا فله أجر واحد، وخطؤه مغفور له.

ونرى أنه يجب أن نكف عن مساوئهم، فلا نذكرهم إلا بما يستحقونه من الثناء الجميل، وأن نطهر قلوبنا من الغل والحقد على أحد منهم، لقوله تعالى فيهم: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنى**﴾[1]. وقول الله تعالى فينا: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾[2].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.



فصل

ونؤمن باليوم الآخر، وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، حين يبعث الناس أحياء للبقاء: إما في دار النعيم، وإما في دار العذاب الأليم.

فنؤمن بالبعث وهو إحياء الله تعالى الموتى، حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**(١).

فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاة بلا نعال، عراة بلا ثياب، غرلاً بلا ختان **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾**(٢).

ونؤمن بصحائف الأعمال تعطى باليمين، أو من وراء الظهور بالشمال **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حسابًا يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعوا ثبورًا. ويصلى سعيراً﴾**(٣). **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾**(٤).

ونؤمن بالموازين توضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾**(٥). **﴿فمن ثقلت**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الانشقاق، الآيات: ٧ - ١٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾(١).
﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾(٢).

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله، ﷺ، خاصة، يشفع عند الله تعالى بإذنه ليقضي بين عباده، حين يصيبهم من الهم والكرب ما لا يطيقون فيذهبون إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى حتى تنتهي إلى رسول الله، ﷺ.

ونؤمن بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أن يخرجوا منها، وهي للنبي، ﷺ، وغيره من النبيين، والمؤمنين، والملائكة.

وبأن الله تعالى يخرج من النار أقوامًا من المؤمنين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته.

ونؤمن بحوض رسول الله، ﷺ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء حسنًا وكثرة، يَرِدُهُ المؤمنون من أمته، من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك.

ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، واشد الرجال، والنبي، ﷺ، قائم على الصراط يقول: «**يا رب سلم سلم**». حتى تعجز أعمال العباد، فيأتي من يزحف، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكردس في النار.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

ونؤمن بكـل ما جاء في الكتـاب والسنـة، من أخبـار ذلك اليوم وأهواله، أعاننا الله عليها.

ونؤمن بشفاعة النبي، ﷺ، لأهل الجنة أن يدخلوها. وهي للنبي، ﷺ، خاصة.

ونؤمن بالجنـة والنـار، فالجنـة دار النعيم، التي أعـدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**[1].

والنار دار العذاب، التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب، والنكال ما لا يخطر على البال **﴿إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا﴾**[2].

وهمـا موجـودتـان الآن، ولن تفنيا أبـد الآبدين **﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله له رزقًا﴾**[3].

﴿إن الله لعن الكـافـرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليًا ولا نصيراً. يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾[4].

ونشهد بالجنة لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين، أو بالوصف.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤.

فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ونحوهم ممن عيّنهم النبي ، ﷺ.

ومن الشهادة بالوصف: الشهادة لكل مؤمن، أو تقي.

ونشهد بالنار لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين، أو بالوصف.

فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي لهب، وعمرو بن لحي الخزاعي، ونحوهما.

ومن الشهادة بالوصف: الشهادة لكل كافر، أو مشرك شركًا أكبر، أو منافق.

ونؤمن بفتنة القبر، وهي سؤال الميت في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه فـ ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[1]. فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

ونؤمن بنعيم القبر للمؤمنين ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾[2].

ونؤمن بعذاب القبر للظالمين الكافرين ﴿**ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون**﴾[3]

والأحاديث في هذا كثيرة معلومة، فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينهما. والله المستعان.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

فصـــل

ونؤمن بالقدر: خيره وشره، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

وللقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم، فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ما كان، وما يكون، وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم.

المـرتبـة الثـانيـة: الكتـابـة، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ، ما هو كائن إلى يوم القيامة: ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾[1].

المـرتبـة الثـالثة: المشيئة، فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السماوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته. ما شاء الله، كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: الخلق، فنؤمن بأن الله تعالى ﴿**خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السموات والأرض**﴾[2].

وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه، ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال، أو أفعال، أو تروك فهي معلومة لله تعالى، مكتوبة عنده، والله تعالى قد شاءها وخلقها ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾[3]. ﴿**ولو**

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٣) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾[1] . **﴿ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾**[2] . **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[3] .

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختيارًا وقدرة بهما يكون الفعل .

والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور:

الأول: قوله تعالى : **﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾**[4] . وقوله : **﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾**[5] . فأثبت للعبد إتيانًا بمشيئته ، وإعدادًا بإرادته .

الثاني: توجيه الأمر والنهي إلى العبد ، ولو لم يكن له اختيار وقدرة ؛ لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق ، وهو أمر تأباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق في قوله : **﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾**[6] .

الثالث: مدح المحسن على إحسانه ، وذم المسيء على إساءته ، وإثابة كل منهما بما يستحق .

ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره ؛ لكان مدح المحسن عبثًا وعقوبة المسيء ظلمًا ، والله تعالى منزه عن العبث والظلم .

الرابع: أن الله تعالى أرسل الرسل **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[7] .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٣ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٧ .

(٣) سورة الصافات، الآية : ٩٦.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٢٣ .

(٥) سورة التوبة، الآية : ٤٦ .

(٦) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

(٧) سورة النساء، الآية : ١٦٥ .

ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره، ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

الخامس: أن كل فاعل يحس أنه يفعل الشيء، أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم، ويقعد، ويدخل، ويخرج، ويسافر، ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحدًا يكرهه على ذلك، بل يفرّق تفريقًا واقعيًّا بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرق الشرع بينهما تفريقًا حكميًّا، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهًا عليه، فيما يتعلق بحق الله تعالى.

ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى، لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره، من غير أن يعلم أن الله تعالى قدرها عليه، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا**﴾[1] فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج بها؛ حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه. وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله: ﴿**سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون**﴾[2].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدرًا أن الله تعالى قد كتبها لك؟ فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك. ولهذا لما أخبر النبي، ﷺ، الصحابة بأن كل واحد قد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار قالوا: أفلا نتكل وندع العمل. قال: «**لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة، وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب، والثاني آمن سهل،

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

فإنك ستسلك الثاني، ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول: إنه مقدر علي ولو فعلت لعدك الناس في قسم المجانين.

ونقول له أيضًا: لو عرض عليك وظيفتان إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتج بالقدر؟!.

ونقول له أيضًا: نراك إذا أصبت بمرض جسمي؛ طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة، وعلى مرارة الدواء، فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟!

ونؤمن بأن الشر لا ينسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته، قال النبي، ﷺ: «**والشر ليس إليك**» رواه مسلم. فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبدًا، لأنه صادر عن رحمة وحكمة.

وإنما يكون الشر في مقتضياته؛ لقول النبي، ﷺ، في دعاء القنوت الذي علمه الحسن: «**وقني شر ما قضيت**». فأضاف الشر إلى ما قضاه. ومع هذا فإن الشر في المقضيات ليس شرًّا خالصًا محضًا، بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه، أو شر في محله، خير في محل آخر.

فالفساد في الأرض من: الجدب، والمرض، والفقر، والخوف شر، لكنه خير في محل آخر. قال الله تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾[1].

وقطع يد السارق، ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع اليد وإزهاق النفس، لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما، فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضًا خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

فصـــل

هذه العقيدة السـامية المتضمنـة لهذه الأصـول العـظيمـة، تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة كثيرة.

فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته، يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه، يحصـل بهما كمال السعـادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع ﴿**من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾[1].

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولاً: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

ثانيًـا: شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثًا: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

ومن ثمرات الإيمان بالكتب:

أولاً: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

ثانيًا: ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها. وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم، مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر، ومكان إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

ثالثًا: شكر نعمة الله تعالى على ذلك.

ومن ثمرات الإيمان بالرسل:

أولاً: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام؛ للهداية والإرشاد.

ثانيًا: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

ثالثًا: محبة الرسل، وتوقيرهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، قاموا لله بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، والصبر على أذاهم.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

أولاً: الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته؛ خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

ثانيًا: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا، ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

ومن ثمرات الإيمان بالقدر:

أولاً: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا، وأريح نفسًا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس، عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعًا: طرد القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر.

وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾**(١).

فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على هذه العقيدة، وأن يحقق لنا ثمراتها ويزيدنا من فضله، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

تمت في ٣٠/١٠/١٤٠٤هـ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.





القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى



تقديـــم

لسماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بســـم الله الرحمـن الرحـيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.

أمـــا بعـــد :

فقد اطلعت على المؤلَّف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخـونـا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصّفات وسماه: «**القـواعـد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**». وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتابا جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السّلف الصّالح في أسـماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمّة في باب الأسماء والصّفات، وأوضح معنى المعيّة الواردة في كتاب الله - عزّ وجلّ - الخاصّة، والعامّة عند أهل السّنة والجماعة، وأنها حقّ على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجًا واختلاطاً بالمخلوقين، بل هو - سبحانه - فوق عرشه كما أخـبر عن نفسـه، وكـما يليق بجـلالـه - سبحانه - وإنّما تقتضي علمه، واطلاعه، وإحاطته بهم، وسماعه لأقوالهم، وحركاتهم، وبصره بأحوالهم، وضـمائـرهم، وحفـظه، وكلاءته لرسله، وأوليائه المؤمنين، ونصره لهم، وتـوفيقـه لهم إلى غير ذلـك مما تقتضيه المعيّة العامّة والخاصّة من المعاني الجليلة، والحقائق الثابتة لله - سبحانه -، كما اشتمل على إنكار قول أهل

التّعطيل، والتشبيه، والتّمثيل، وأهل الحلول والاتحاد، فجزاه الله خيراً، وضاعف مثوبته، وزادنا وإيّاه علماً وهدىً وتوفيقًا، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

قالـه ممليه الفقـير، إلى الله تعالى، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز سامحه الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٥/١١/١٤٠٤هـ.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
الرئيس العـام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد

بســـم الله الرحمن الرحـيم

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمـدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وسلّم تسليمًا.

وبــــعــــد:

فإن الإيمانَ بأسماءِ الله وصفاته، أحد أركان الإيمانِ بالله تعالى، وهي الإيمان بوجـود الله تعالى، والإيمان بربوبيّته، والإيمان بألوهيّته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به، أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصّفات.

فمنزلته في الدّين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الـوجه الأكمل، حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى، وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بها﴾[1]. وهذا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، أن تقدّم بين يَدَيْ مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبًا مثل أن تقول: يا غفورُ اغفر لي. ويا رحيم ارحمني. ويا حفيظ احفظني. ونحو ذلك.

ودعـاء العبـادة: أن تتعبّـد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم

(١) سورة الأعراف، الآية: «١٨٠»

بالتّوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السّميع، وتتعبّد له بجوارحك لأنه البصير. وتخشاه في السرّ لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشىء عن الجهل أو التعصب تارة أخرى، أحببت أن أكتب فيه ما تيسّر من القواعد، راجيًا من الله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده.

وسميته: «**القواعد المُثْلى في صفاتِ الله تعالى وأسمائهِ الحُسْنَى**».

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته؛ قال الله تعالى: ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[1]. وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.

* مثال ذلك: «الحي» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر وغيرها.

* ومثال آخر: «العليم» إسم من أسماء الله متضمّن للعلم الكامل، الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عند ربي في كتاب لا يضلُّ ربّي ولا يَنْسَى﴾[2]. العلم الواسع المحيط بكل شيء جملةً وتفصيلاً، سواء ما يتعلّق بأفعاله، أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغَيْب لا يعلَمُها إلا هُو ويعلمُ ما في البرِّ والبحر وما تَسْقُطُ من ورَقَةٍ إلا يعلمُها ولَا حبّة في ظُلمات الأرضِ ولا رَطْب ولا يَابس إلاّ في كتابٍ مُبين﴾[3]. ﴿وما من دابّة في الأرضِ إلاّ على الله رِزْقُها ويعلمُ مستقَرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مُبين﴾[4]. ﴿يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تُسرُّون وما تُعلِنُون والله عليمٌ بذات الصّدور﴾[5].

* ومثال ثالث: «الرحمن» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرّحمة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: «١٨٠»

(٢) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: «٥٩»

(٤) سورة هود، الآية: «٦»

(٥) سورة التغابن، الآية: «٤»

الكاملة، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أرْحم بعباده من هذه بولدها» يعني أم صبي وجدته في السّبى فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته. ومتضمّن أيضًا للرّحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿ورحمتي وسعَتْ كلّ شيء﴾[1]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ربنا وسِعْتَ كلَّ شيء رحمة وعلمًا﴾[2].

والحسن في أسماء الله تعالى، يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمالٌ فوق كمالٍ.

مثال ذلك: «العزيزُ الحكيمُ». فإنّ الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا. فيكون كل منهما دالًّا على الكمال الخاصّ الذي يقتضيه، وهو العزّة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دالٌّ على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزّاء المخلوقين، فإنّ العزيز منهم قد تأخذه العزّة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذّل.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى، أعلام وأوصاف:

فهي أعلام، باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلّت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص في الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم. كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله سبحانه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: «١٥٦»

(٢) سورة غافر، الآية: «٧»

وتعـالى، لكن معنى الحيّ غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

وإنـما قلنـا بأنها أعلام وأوصاف، لدلالة القرآن عليه. كما في قوله تعـالى: ﴿**وهـو الغَفُـورُ الـرَّحِيمُ**﴾[1]. وقـولـه: ﴿**وربـك الغفـور ذو الـرحمـة**﴾[2] فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة. ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة وهكذا.. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة بل ميتة لدلالة السمع[3] والعقل على بطلانها.

أمـا السّمع: فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة، مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: ﴿**إنّ بطشَ ربّك لشديدٌ إنه هو يُبدىء ويُعيدُ وهـوالغفـور الودود ذو العرش المجيدُ فعّال لما يريدُ**﴾[4]. وقال تعالى: ﴿**سبِّح اسم ربِّك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى. والذي أخـرج المـرعى. فجعله غُثاءً أحوى**﴾[5]. ففي هذه الآيات الكريمات أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدّد القدماء.

وأما العقل: فلأن الصّفات ليست ذوات بائنة من الموصوف، حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها، فهي قائمة

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٣) السمع هو القرآن والسُنة وسيمر بك هذا التعبير كثيراً فانتبه له.

(٤) سورة البروج، الآيات: من ١٢ ـ ١٥.

(٥) سورة الأعلى، الآية: من ١ ـ ٥.

به وكل موجود فلا بدّ له من تعدّد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود، أو ممكن الوجود، وكونه عينا قائمًا بنفسه أو وصفًا في غيره.

وبهذا أيضًا علم أن: «الدّهر» ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد، لا يتضمّن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى، عن منكري البعث: ﴿**وقالوا ماهِيَ إلا حيَاتُنا الدّنيا نموتُ ونحيَا وما يُهلكُنا إلا الدّهر**﴾[1] يريدون مرور الليالي والأيام.

فأما قوله، صلى الله عليه وسلم، : قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدّهر، وأنا الدّهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار**». فلا يدل على أن الدهر من أسماء تعالى وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزّمان الذي هو محل الحوادث لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: «وأنا الدهر» مافسّره بقوله: «بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار، وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها)، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مرادًا به الله تعالى.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ، تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله ـ عزّ وجلّ ـ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها. ولهذا استدلّ أهل العلم على سقوط الحدّ عن قُطّاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**إلا الذين تابُوا من قبل أن تَقْدِرُوا عليهم فاعْلَمُوا أن الله غفورٌ رحيمٌ**﴾[2] لأن

---

(١) سورة الجاثية، الآية: «٢٤»

(٢) سورة المائدة، الآية: «٣٤»

مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحدّ عنهم.

* مثال ذلك: «السميع»، يتضمن إثبات السميع اسمًا لله تعالى، وإثبات السّمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى: ﴿والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إنّ الله سَمِيعٌ بصير﴾[1].

وإن دلّت على وصف غير متعد تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله - عز وجل -.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله - عز وجل -.

* مثال ذلك: «الحيّ»، يتضمن إثبات الحي إسمًا لله - عزّ وجلّ - وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى، على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام.

* مثال ذلك: «الخالق»، يدلّ على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدلّ على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿لتعلَمُوا أنّ الله على كلِّ شيء قديرٌ وأنّ الله قد أحاط بكلِّ شيء علمًا﴾[2] ودلالة الالتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى ووفقه الله تعالى فهما للتلازم فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى، وقول رسوله، صلى الله عليه وسلم، إذا صحّ أن يكون لازمًا فهو حقٌّ وذلك لأن كلام الله ورسوله حق

---

(١) سورة المجادلة، الآية: «١»

(٢) سورة الطلاق، الآية: «١٢»

ولازم الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً.

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله، فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به مثل أن يقول من ينفى الصّفات الفعليّة لمن يثبتها: يلزم من إثباتك الصّفات الفعلية لله ـ عز وجل ـ أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت نعم، وأنا ألتزم بذلك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: **﴿قل لو كان البَحْر مِدَادًا لِكَلِمَات رَبِّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثلِهِ مددًا﴾**[1]. وقال: **﴿ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾**[2]. وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه.

الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول النافي للصّفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابها للخلق في صفاته. فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتًا وتمنع أن يكون مشابهًا للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصّفات؟!.

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر.

الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتًا عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبيّن له لزومه وبطلانه أن

---

(١) سورة الكهف، الآية: «١٠٩»

(٢) سورة لقمان، الآية: «٢٧»

يرجع عن قوله لأن فساد اللازم يدلّ على فساد الملزوم.

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأنَّ لازم القول قول.

فإن قيل إذا كان هذا اللازم لازمًا من قوله، لزم أن يكون قولاً له، لأن ذلك هو الأصل لا سيما مع قرب التلازم.

قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشرٌ، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذّهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه، ونحو ذلك.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية، لا مجال للعقل فيها:

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النصّ لقوله تعالى: ﴿**ولا تقفُ ما ليسَ لكَ به علم إن السّمع والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾[1].

وقوله: ﴿**قل إنما حرّم ربِّي الفواحشَ ما ظهَرَ منها وما بطَنَ والإثم والبغي بغير الحقِّ وأن تُشركُوا بالله مالم يُنزِّل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تَعْلَمُون**﴾[2]. ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين:

لقوله صلى الله عليه وسلم، في الحديث المشهور: «**أسألك بكلِّ اسم هو لك سميَّتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقِك أو استأثَرْت به في علم الغيبِ عندك**». الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: «٣٦»

(٢) سورة الأعراف، الآية: «٣٣»

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحدٍ حصره، ولا الإحاطة به.

فأما قوله، صلى الله عليه وسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها**[1]**. دخل الجنة**»، فلا يدلّ على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: «إن أسماء الله تسعة وتسعون إسمًا من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك».

إذن فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، وعلى هذا فيكون قوله «من أحصاها دخل الجنة» جملة مُكمِّلة لما قبلها، وليست مستقلّة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدّها للصدقة.

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء. والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ص٣٨٢ جـ٦ من مجموع ابن قاسم: تعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه وقال قبل ذلك ص٣٧٩ إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه. ا. هـ. وقال ابن حجر في فتح الباري ص٢١٥ جـ١١ طـ السّلفيّة: ليست العلة عند الشيخين (البخاري ومسلم)، تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج أ. هـ.

ولما لم يصحّ تعيينها عن النبي، صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه وروى عنهم في ذلك أنواع. وقد جمعت تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) إحصاؤها حفظها لفظًا وفهمًا معنى وتمامه أن يتعبد لله تعالى بمقتضاها.

فمن كتاب الله تعالى:

الله الأحد الأعلى الأكرم الإله الأول
والآخر والظاهر والباطن البارىء البَرَّ البصير
التواب الجبّار الحافظ الحسيب الحفيظ الحفي
الحقّ المبين الحكيم الحليم الحميد الحي
القيوم الخبير الخالق الخلّاق الرءوف الرّحمن
الرّحيم الرّزّاق الرّقيب السّلام السّميع الشّاكر
الشّكور الشّهيد الصّمد العالم العزيز العظيم
العفُوّ العليم العليّ الغفّار الغفور الغنّي
الفتاح القادر القاهر القدّوس القدير القريب
القوىّ القّهار الكبير الكريم اللّطيف المؤمن
المتعالي المتكبّر المتين المجيب المجيد المحيط
المصوّر المقتدر المقيت الملك المليك المولى
المهيمن النّصير الواحد الوارث الواسع الودود
الوكيل الوليُّ الوهّاب.

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الجميل(١) الجـواد(٢) الحكم(٣) الحيي(٤) الرب(٥) الرفيق(٦) السُّبُّوح(٧)

---

(١) مسلم.

(٢) أحمد والترمذي وحسنه البيهقي في الشعب.

(٣) أبوداود.

(٤) أحمد وأبوداود والترمذي.

(٥) أحمد والنسائي.

(٦) البخاري ومسلم.

(٧) مسـلم.

السيد[1] الشافي[2] الطيب[3] القابض[4] الباسط[5] المقدّم[6] المؤخّر[7] المحسن[8] المعطي[9] المنان[10] الوتر[11].

هذا ما اخترناه بالتّتبع واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله تعالى وثمانية عشر اسمًا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان عندنا تردّد في إدخال (الحفي)، لأنه إنما ورد مقيدًا في قوله تعالى عن إبراهيم: **﴿إنه كان بي حفيًّا﴾**[12] وكذلك (المحسن) لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء.

ومن أسماء الله تعالى، ما يكون مضافًا مثل: مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى، هو الميل بها عما يجب فيها. وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئًا منها أو مما دلّت عليه من الصّفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهميّة وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادًا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله فإنكار شيء

(١) أحمد وأبو داود.
(٢) البخاري.
(٣) مسلم.
(٤) أبو داود.
(٥) أبو داود.
(٦) البخاري ومسلم.
(٧) البخاري ومسلم.
(٨) الطبراني في الأوسط قال الهيثمي رجاله ثقات.
(٩) البخاري ومسلم.
(١٠) أبو داود والترمذي والنسائي.
(١١) البخاري ومسلم.
(١٢) سورة مريم، الآية: «٤٧»

من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تُشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عمّا يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسمّ به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إيّاه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى، توقيفيّة فتسمية الله تعالى بما لم يسمّ به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزّى من العزيز، واشتقاق اللاّت من الإله، على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾**(1). وقوله: **﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾**(2). وقوله: **﴿له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض﴾**(3) فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختصّ بالله ـ عزّ وجلّ ـ ميل بها عمّا يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه مُحرّم لأن الله تعالى هدّد الملحدين بقوله: **﴿وذرُوا الذين يُلْحِدُون في أسمائه سيُجزَوْنَ ما كانوا يَعْمَلوُن﴾**(4).

ومنه ما يكون شركًا، أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: «180»

(2) سورة طه، الآية: «8»

(3) سورة الحشر، الآية: «24»

(4) سورة الأعراف، الآية: «180»

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى : صفات الله تعالى كلّها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك. وقد دلّ على هذا السّمع، والعقل، والفطرة.

أما السمع : فمنه قوله تعالى : ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السَّوْءِ ولله المثل الأعْلَى في السّمَوات والأرضِ وهو العزيزُ الحكيمُ﴾[1] . والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل : فوجهه أنّ كل موجود حقيقة، فلابد أن تكون له صفة. إما صفة كمال، وإما صفة نقص. والثاني باطل بالنسبة إلى الربّ الكامل المستحق للعبادة؛ ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز. فقال تعالى : ﴿ومن أضَلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غَافِلُون﴾[2] . وقال تعالى : ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يُخلَقُون أمواتٌ غير أحيــاءٍ وما يَشْعُرون أيّان يُبعثون﴾[3] . وقال عن إبراهيم وهو يحتجّ على أبيه : ﴿يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾[4] وعلى قومه : ﴿أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾[5] .

---

(١) سورة النحل، الآية : «٦٠»

(٢) سورة الأحقاف، الآية : «٥»

(٣) سورة النحل، الآيتان : «٢٠، ٢١» .

(٤) سورة مريم، الآية : «٤٢»

(٥) سورة الأنبياء، الآيتان : «٦٦، ٦٧»

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم ونحوها لقوله تعالى: ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾[1]. وقوله عن موسى: ﴿**في كتاب لا يَضِلُّ ربي ولا يَنْسى**﴾[2]. وقوله: ﴿**وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض**﴾[3]. وقوله: ﴿**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يَكْتُبون**﴾[4]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدّجال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**». وقال: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ، ولا غائبًا**».

وقد عاقب الله تعالى، الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿**وقالت اليهود يدُ الله مَغْلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[5]. وقوله: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقَتْلَهُم الأنبياء بغير حقّ ونقول ذوقُوا عذاب الحريق**﴾[6].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: «٥٨»

(٢) سورة طه، الآية: «٥٢»

(٣) سورة فاطر، الآية: «٤٤»

(٤) سورة الزخرف، الآية: «٨٠»

(٥) سورة المائدة، الآية: «٦٤»

(٦) سورة آل عمران، الآية: «١٨١»

ونـزه نفسه عمّا يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه: ﴿**سبحان ربـك رب العـزَّة عما يَصِفُـون وسـلام على المـرسلين والحمـد لله رب العالمين**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يَصِفُونَ**﴾[2].

وإذا كانت الصّفة كمالاً في حال ونقصًا في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق فلا تثبت له إثباتًا مطلقًا ولا تنفى عنه نفيًا مطلقًا بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالا، وتمتنع في الحـال التي تكـون نقصًا وذلك كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالى: ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾[3]. وقوله: ﴿**إنهم يكِيدُون كيـدًا وأكيد كيدًا**﴾[4]. وقوله: ﴿**والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمـون وأُمْلي لهم إن كيدى متين**﴾[5]. وقوله: ﴿**إن المنافقين يخادعـون الله وهـو خادِعُهُم**﴾[6]. وقـولـه: ﴿**قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزيء بهم**﴾[7].

(١) سورة الصافات، الآيات: «١٨٠ ـ ١٨٢».

(٢) سورة المؤمنون، الآية: «٩١».

(٣) سورة الأنفال، الآية: «٣٠».

(٤) سورة الطارق، الآيتان: «١٥، ١٦».

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: «١٨٢، ١٨٣».

(٦) سورة النساء، الآية: «١٤٢».

(٧) سورة البقرة، الآيتان: «١٤، ١٥».

ولهـذا لم يذكـر الله أنـه خان من خانوه فقال تعالى: ﴿وإن يُريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾[1]. فقال: ﴿فأمكن منهم﴾، ولم يقل: فخانهم، لأن الخيانة خِدْعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذمّ مطلقًا.

وبذا عرف أن قول بعض العوام «خان الله من يخون» منكر فاحش، يجب النهي عنه.

القـاعدة الثانية: باب الصّفات أوسع من باب الأسماء،

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصّفات ما يتعلّق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها قال الله تعالى: ﴿ولو أنّما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدّه من بعده سبعةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كلمات الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ﴾[2].

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى المجىء، والإتيان، والأخذ والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وجاء ربك﴾[3]. وقال: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾[4]. وقال: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾[5]. وقال: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾[6]. وقال: ﴿إن بطش ربك

(١) سورة الأنفال، الآية: «٧١»

(٢) سورة لقمان، الآية: «٢٧»

(٣) سورة الفجر، الآية: «٢٢»

(٤) سورة البقرة، الآية: «٢١٠»

(٥) سورة آل عمران، الآية: «١١»

(٦) سورة الحج، الآية: «٦٥»

لشديد﴾[1]. وقال: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**[2]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»**.

فنصف الله تعالى بهذه الصّفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين ثبوتية وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، وكلّها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا﴾**[3]. فالإيمان بالله يتضمّن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله ـ عزّ وجلّ.

وأما العقل: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من

(١) سورة البروج، الآية: «١٢».

(٢) سورة البقرة، الآية: «١٨٥».

(٣) سورة النساء، الآية: «١٣٦».

غيره، وأصدق قيلاً، وأحسنُ حديثًا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردّد، فإن التردّد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادرًا ممن يجوز عليه الجهل، أو الكذب، أو العيّ بحيث لا يفصح عما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حقّ الله - عزّ وجلّ - فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الله تعالى، فإن النبي، صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه وأصدقهم خبرًا وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بيانًا، فوجب قبول ما أخبر به على ماهو عليه.

والصّفات السلبية: ما نفاها الله - سبحانه - عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلّها صفات نقص في حقه كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالى - لما سبق - مع إثبات ضدّها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضدّه، لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمّن ما يدلّ على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصًا، كما في قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمّة
ولا يظلمون الناس حبّة خَرْدَلِ

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوى حسب
ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا

* مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وتوكّل على الحيّ الذي لا يموت﴾.[1] فنفي الموت عنه، يتضمّن كمال حياته.

* مثال آخر قوله تعالى: ﴿ولا يظلمُ ربك أحدًا﴾[2]. نفي الظلم عنه، يتضمّن كمال عدله.

* مثال ثالث قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليُعْجِزَه من شيء في السَّموات ولا في الأرض﴾[3]. فنفي العجز عنه يتضمّن كمال علمه وقدرته. ولهذا قال بعده: ﴿إنه كان عليمًا قديرًا﴾. لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عنه فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصّفات السلبية، كما هو معلوم.

أما الصّفات السلبية فلم تذكر غالبًا إلاّ في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿ليس كمِثْلِهِ شيء﴾[4]. وقوله: ﴿ولم يكن له كُفُواً أحد﴾[5].

الثانية: نفي ما ادعاه في حقّه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أن دَعَوْا للرحمن

(١) سورة الفرقان، الآية: «٥٨».
(٢) سورة الكهف، الآية: «٤٩».
(٣) سورة فاطر، الآية: «٤٤».
(٤) سورة الشورى، الآية: «١١».
(٥) سورة الاخلاص، الآية: «٤».

ولدًا وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولدًا﴾[1] .

الثالثة: دفع توّهم نقص من كماله فيما يتعلّق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾[2] . وقوله: ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في سِتَّة أيامٍ وما مَسّنَا من لُغُوبٍ**﴾[3] .

القاعدة الخامسة: الصّفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتيــة وفعليــة:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متّصفًا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصّفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين.

والفعليــة: هي التي تتعلق بمشيئتــه، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكَلِّمًا. وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلّم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿**إنّما أمْرُهُ إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكُون**﴾[4] . وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته. وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه ـ سبحانه ـ لا يشاء شيئًا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾[5] .

---

(١) سورة مريم، الآيتان: «٩١، ٩٢».

(٢) سورة الأنبياء، الآية: «١٦».

(٣) سورة ق، الآية: «٣٨».

(٤) سورة يسن، الآية: «١٨٢».

(٥) سورة الإنسان، الآية: «٣٠».

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصّفات التخلي عن محذورين عظيمين: أحدهما: التمثيل. والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل، بدليل السمع، والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]. وقوله: ﴿**أفمن يَخْلُقُ كمن لا يَخْلُقُ أفلا تذكَّرُون**﴾[2]. وقوله: ﴿**هل تعلم له سَمِيًّا**﴾[3]. وقوله: ﴿**ولم يكن له كُفُوًا أحد**﴾[4].

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضّرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذّات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصّفات لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوّة البعير مثلاً غير قوّة الذّرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يُقال كيف يكون الربّ الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟! فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتّفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد وهذه قوة

---

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».

(٢) سورة النحل، الآية: «١٧».

(٣) سورة مريم، الآية: «٦٥».

(٤) سورة الإخلاص، الآية: «٤».

وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يُفرّق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصّفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصّفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1].

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيّدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل، بدليل السمع، والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿**ولا يُحيطُون به علمًا**﴾[2]. وقوله: ﴿**ولا تقف ماليس لك به علمٌ إن السّمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[3]. ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوٌ لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوى له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله - عزّ وجلّ - فوجب بطلان تكييفها.

وأيضًا فإننا نقول: أي كيفية تقدّرها لصفات الله تعالى؟

إن أي كيفية تقدّرها في ذهنك، فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدّرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبًا فيها، لأنه لا علم لك بذلك.

---

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».

(٢) سورة طه، الآية: «١١٠».

(٣) سورة الإسراء، الآية: «٣٦».

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان.

ولهذا لما سئل مالك ـ رحمه الله تعالى ـ عن قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش إستوى**﴾[1] كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: «**الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**» وروى عن شيخه ربيعة أيضاً: «**الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول**». وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك قال الله تعالى: ﴿**وإمّا يَنْزَغَنَّك من الشيطان نزْغ فاستعذْ بالله إنه هو السَّمِيعُ العليم**﴾[2].

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصّفات إلا ما دلّ الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث» (انظر القاعدة الخامسة في الأسماء).

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصّفة كالعزة، والقوة، والرحمة، والبطش، والوجه، واليدين ونحوها.

---

(١) سورة طه، الآية: «٥».

(٢) سورة فصلت، الآية: «٣٦».

الثاني : تضمن الاسم لها مثل : الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع ونحو ذلك (أنظر القاعدة الثالثة في الأسماء).

الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالإستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين الدال عليها ـ على الترتيب ـ قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش إستوى**﴾[1] وقول النبي، صلى الله عليه وسلم، : «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**». الحديث. وقول الله تعالى: ﴿**وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا**﴾[2]. وقوله: ﴿**إنا من المجرمين منتقمون**﴾[3].

(١) سورة طه، الآية: «٥».

(٢) سورة الفجر، الآية: «٢٢».

(٣) سورة السجدة، الآية: «٢٢».

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: الأدلة التي تُثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته، هي: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا تثبت أسماء الله، وصفاته، بغيرهما.

وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب أو السنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه، مع إثبات كمال ضدّه.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه فيفصل فيه: فإن أُريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول. وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.

فمما ورد إثباته لله تعالى: كل صفة دلّ عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة، أو تضمّن، أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها **﴿ويفعل الله ما يشاء﴾**[1].

ومنه: الوجه، والعينان، واليدان ونحوها.

ومنه الكلام، والمشيئة، والإرادة بقسميها: الكوني، والشرعي. فالكونية بمعنى المشيئة، والشرعية بمعنى المحبة.

ومنه: الرِّضا، والمحبة، والغضب، والكراهة ونحوها[1].

---

(١) أدلة هذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد.

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده:

الموت، والنوم، والسِّنة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤ ونحو ذلك [1].

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة) فلو سأل سائل هل نثبت لله تعالى جهة؟.

قلنا له: لفظ، الجهة، لم يرد في الكتاب والسُنة إثباتا ولا نفيا، ويغني عنه ماثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء. وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل. لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل والفطرة، والإجماع.

والثاني باطل أيضاً: لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق، لأن الله تعالى العليّ فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع فمنه قوله تعالى: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾**[2] وقوله: **﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**[3] وقوله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[4] وقوله: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله**

---

(١) أدلة هذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد.

(٢) سورة الأنعام، الآية: «١٥٥».

(٣) سورة الأعراف، الآية: «١٥٨».

(٤) سورة الحشر، الآية: «٧».

ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾[1] وقوله: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**[2] وقوله: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾**[3]

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟!

ولقد قال الله تعالى: **﴿ونزّلنا عليك الكتاب تِبْيَانًا لِكُلِّ شيء﴾**[4].

ومن المعلوم أن كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة، فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) سورة النساء، الآية: «٨٠».

(٢) سورة النساء، الآية: «٥٩».

(٣) سورة المائدة، الآية: «٤٩».

(٤) سورة النحل، الآية: «٨٩».

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لاسيما نصوص الصّفات حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك: السمع، والعقل.

أما السمع: فقوله تعالى: ﴿**نزل به الرُّوح الأمِينُ على قلبك لتكون من المنْذِرين بلسانٍ عربي مُبين**﴾[1]. وقوله: ﴿**إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون**﴾[2]. وقوله: ﴿**إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون**﴾[3]. وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذمّ الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان. فقال: ﴿**أَفَتطمَعُون أن يُؤمِنُوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يُحَرِّفُونَه من بعدما عَقَلوه وهم يعلمون**﴾[4]. وقال تعالى: ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا**﴾[5]. الآية.

وأما العقل: فلأن المتكلّم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرّقت الأمة.

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصّفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر فباعتبار المعنى هي معلومة،

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: «١٩٣ ـ ١٩٥».

(٢) سورة يوسف، الآية: «٢».

(٣) سورة الزخرف، الآية: «٣».

(٤) سورة البقرة، الآية: «٧٥».

(٥) سورة النساء، الآية: «٤٦».

وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دلّ على ذلك: السّمع والعقلُ.

وأما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون**﴾[2]. وقوله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتُبيّن للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[3].

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكّر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربيًّا ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتابًا أو يكلّم رسوله، صلى الله عليه وسلم، بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتابه: ﴿**كتاب أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثم فُصِّلَتْ من لدن حكيم خبير**﴾[4].

هذه دلالة: السمع، والعقل، على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية، فقد سبقت في القاعدة

(١) سورة ص، الآية: «٢٩».

(٢) سورة الزخرف، الآية: «٣».

(٣) سورة النحل، الآية: «٤٤».

(٤) سورة هود، الآية: «١».

السادسة من قواعد الصفات.

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يُفَوِّضُون علم معاني نصوص الصّفات، ويدعون أن هذا مذهب السلف. والسَّلفُ بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحيانًا وتفصيلًا أحيانًا وتفويضهم الكيفية إلى علم الله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية في كتابه المعروف بـ «العقل والنقل» ص١١٦ جـ١ المطبوع على هامش (منهاج السنة): وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضّنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله إلى أن قال ص١١٨ وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه قال ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرّب عن صفاته.. لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بيّن للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكـلام سدًّا لبـاب الهُـدَى والبيان من جهـة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينـوا مرادهم، فتبـين أن قول أهـل التفويض الذين يزعمون أنهم

متبعـون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد أ.هـ. كلام الشيخ وهو كلام سديد، من ذى رأي رشيد، وما عليه مزيد ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

القاعدة الرابعة: ظاهر النّصوص ما يتبادر منها إلى الذّهن من المعـاني، وهـو يختلف بحسب السيـاق، وما يضاف إليه الكلام فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق. وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية)، مثلًا يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿**وإنْ من قريةٍ إلا نحنُ مُهْلِكُوها قبل يومِ القيامةِ أو مُعذِّبُوها عذابًا شديدًا**﴾[1].

ومن الثاني قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿**إنّا مُهْلِكُوا أهلِ هذه القرية**﴾[2].

وتقول: صنعت هذا بيدى فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿**لما خَلَقْتُ بيديّ**﴾[3]. لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له وفي الآية أضيفت إلى الخـالق فتكون لائقة به فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس.

ونقول: ما عندك إلّا زيد، وما زيد إلا عندك، فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: «٥٨».

(٢) سورة العنكبوت، الآية: «٣١».

(٣) سورة ص، الآية: «٧٥».

إذا تقرّر هذا فظاهر نصوص الصّفات ما يتبادر منها إلى الذّهن من المعاني.

وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعلوا الظّاهر المتبادر منها معنى حقًّا يليق بالله - عزّ وجلّ - وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

وقد أجمعوا على ذلك كما نقله ابن عبدالبرّ فقال: «أهل السنة مُجمِعُون على الإقرار بالصّفات الواردة كلّها في القرآن الكريم والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكيِّفُون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة» أ. هـ. وقال القاضي أبو يعلى في كتاب «إبطال التأويل»: «لا يجوز ردّ هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة» أ. هـ. نقل ذلك عن ابن عبدالبر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص٨٧-٨٩ جـ٥ من مجموع الفتاوى لابن القاسم.

وهذا هو المذهب الصحيح، والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

الأول: أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

الثاني: أن يقال إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم والثاني باطل لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين

لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحًا أو ظاهرًا ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحًا ولا ظاهرًا بالحق الذي يجب اعتقاده. وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق وإما عالمين به لكن كتموه وكلاهما باطل وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.

القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلا لا يليق بالله وهو: التشبيه وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه:

الأول: أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]؟

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلا.

فإن قال المشبّه: أنا لا أعقل من نزول الله، ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾. ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أندادًا فقال: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يَعْلَمُ وأنتم لا تَعْلَمُون**﴾[2] وقال: ﴿**فلا تَجْعَلُوا لله أندادًا وأنتم تَعْلَمُون**﴾[3]. وكلامه ـ تعالى ـ كلّه حقّ يُصَدّق بعضه بعضًا، ولا يتناقض.

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتًا لا تشبه الذوات؟

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».
(٢) سورة النحل، الآية: «٧٤».
(٣) سورة البقرة، الآية: «٢٢».

فسيقول: بلى! فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات ومن فرق بينهما فقد تناقض!.

ثالثها: أن يقال: ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟ فسيقول: بلى!. فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصّفات.

القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً، لا يليق بالله وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله، وهم أهل التعطيل سواء كان تعطيلهم عامًّا في الأسماء والصفات، أم خاصًّا فيهما، أو في أحدهما، فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معانٍ عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطرابًا كثيرًا، وسموا ذلك تأويلاً، وهو في الحقيقة تحريف.

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم عن ظاهره، والله ـ تعالى ـ خاطب الناس بلسان عربيٍّ مبين، ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي والنبي، صلى الله عليه وسلم، خاطبهم بأفصح لسان البشر فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي غير أنه يجب أن يصان عن التكييف، والتمثيل في حق الله ـ عزّ وجلّ ـ.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه،

قول على الله بلا علم وهو مُحرّم؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قل إنّما حرّم ربيّ الفوَاحِشَ ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغْيَ بغير الحقّ وأن تُشْرِكُوا بالله ما لم يُنزّل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾(١). ولقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾(٢).

فالصّارف لكلام الله ـ تعالى ـ ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ماليس له به علم. وقال على الله مالا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله ـ تعالى ـ ورسوله كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدلّ عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولاً بلا علم فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟!.

مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ لإبليس: ﴿ما منعك أن تَسْجُدْ لما خَلَقْتُ بيديّ﴾(٣). فإذا صرف الكلام عن ظاهره، وقال: لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا. قلنا له: ما دليلك على ما نفيت؟! وما دليلك على ما أثبت؟! فإن أتى بدليل ـ وأنّى له ذلك ـ وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

الوجه الرابع: في إبطال مذهب أهل التعطيل أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: «٣٣».

(٢) سورة الإسراء، الآية: «٣٦».

(٣) سورة ص، الآية: «٧٥».

وأصحابه، وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحقّ بلا ريب فيما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أن يقال للمعطل:

هل أنت أعلم بالله من نفسه؟. فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحقّ؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم كلاما أفصح، وأبين من كلام الله ـ تعالى ـ؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تظنّ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد أن يعمي الحقّ على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا.

هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة فيقال له:

هل أنت أعلم بالله من رسوله، صلى الله عليه وسلم؟. فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله عن الله صدق وحقّ؟ فسيقول نعم.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحدًا من الناس أفصح كلامًا، وأبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحدًا من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله؟ فسيقول: لا.

فيقال له: إذا كنت تقرّ بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه، وأثبته له رسوله، صلى الله عليه وسلم، على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك

الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك، وصرفه إلى معنى يُخالف ظاهره بغير علم؟

وماذا يُضيرك إذا أثبت لله ـ تعالى ـ ما أثبته لنفسه في كتابه، أو سنة نبيه على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتًا ونفيًا؟

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: **﴿مَاذا أَجَبْتُم المُرْسَلِين﴾**(١).

أو ليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها، وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؟! فلعل المراد يكون ـ على تقدير جواز صرفها ـ غير ما صرفتها إليه.

الوجه السادس: في إبطال مذهب أهل التعطيل: أنه يلزم عليه لوازم باطلة؛ وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن هذه الوازم:

أولا: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه وتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه كفر لأنه تكذيب لقوله ـ تعالى ـ: **﴿ليس كمثله شيء﴾**(٢).

قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري ـ رحمهما الله ـ: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا ا. هـ.

ومن المعلوم أنّ من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم، تشبيهًا وكفرًا أو مُوهِمًا لذلك.

ثانيا: أن كتاب الله ـ تعالى ـ، الذي أنزله تِبْيانًا لكل شيء، وهُدى للناس، وشفاءً لما في الصدور، ونورًا، مبينًا، وفرقانًا بين الحق والباطل لم

(١) سورة القصص، الآية: «٦٥».

(٢) سورة الشورى، الآية: «١١».

يبين الله ـ تعالى ـ فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنّما جعل ذلك موكولًا إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاءون ويُنكرون ما لا يُريدون. وهذا ظاهر البطلان.

ثالثا: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، وخلفاءه الراشدين، وأصحابه، وسلف الأمة وأئمتها، كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أو يمتنع عليه أو يجوز إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله ـ تعالى ـ وسموه تأويلاً.

وحينئذ إما أن يكون النبي، صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة وكلا الأمرين باطل!!.

رابعا: أن كلام الله ورسوله ليس مرجعًا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع بل هو زبدة الرسالات وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها، فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

خامسا: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله، فيقال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وجاء ربُّك**﴾[1]. إنه لا يجيء وفي قوله، صلى الله عليه وسلم: «**ينزل ربنا إلى السّماء الدنيا**» إنه لا ينزل لأن إسناد المجيء، والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه، ونفي ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

---

(١) سورة الفجر، الآية: «٢٢».

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصّفات، أو تعدى إلى الأسماء - أيضاً -، ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصّفات دون بعض، كالأشعرية والماتريدية: أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه، أو لا يدل عليه.

فنقول لهم: نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدليل السمعي.

مثال ذلك أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة.

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع، والعقل عليها.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ولكنّ الله يَفْعَلُ مَا يُريدُ﴾[1].

وأما العقل: فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرّحمة؛ قالوا: لأنها تستلزم لين الراحم، ورقته للمرحوم، وهذا محال في حقّ الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرّحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

فنقول لهم: الرّحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية، وأدلة ثبوتها أكثر عددًا وتنوعًا من أدلة الإرادة. فقد وردت بالاسم مثل: ﴿الرّحمن الرّحِيم﴾[2]. والصفة مثل: ﴿وربك الغفورُ ذو الرّحْمَة﴾[3]. والفعل مثل: ﴿ويرحم من يشاء﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: «٢٥٣».

(٢) سورة الفاتحة، الآية: «٣».

(٣) سورة الكهف، الآية: «٥٨».

(٤) سورة العنكبوت، الآية: «٢١».

ويمكن إثباتها بالعقل فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تدفع عنهم في كل حين دالة على ثبوت الرحمة لله ـ عزّ وجلّ ـ ودلالتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرّقة؛ فجوابه: أن هذه الحجة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها فيقال: الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة وهذا يستلزم الحاجة والله تعالى منزه عن ذلك.

فإن أجيب: بأن هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله في الرحمة بأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق.

وبها تبين بطلان مذهب أهل التعطيل سواء كان تعطيلًا عامًّا أم خاصًّا.

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا سلف الأمة وأئمتها والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة.

الثاني: أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة فيقولون لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلًا عقليًّا وأولتم دليله السمعي فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلًا عقليًّا ونؤل دليله السمعي فلنا عقول كما أن لكم عقولاً فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة وإن كانت عقولكم صائبة فكيف

كانت عقولنا خاطئة وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم وإتباع الهوى.

وهـذه حجـة دامغـة والزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشاعرة والمـاتريدية ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً: لا تمثيل فيه ولا تكييف وتنزيها: لا تعطيل فيه، ولا تحريف، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

(تنبيه) علم مما سبق أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل!.

أما تعطيل المعطل فظاهر وأما تمثيله فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثل أوِلا، وعطل ثانياً كما أنه بتعطيله مثله بالناقص.

وأما تمثيل الممثل فظاهر وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصّفة، حيث جعله دالاًّ على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.

الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثله بالمخلوق الناقص.

فصـــل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصّفات إدعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه، وقال كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟

ونحن نجيب ـ بعون الله تعالى ـ عن هذه الشبهة بجوابين مجمل، ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات، وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف ما عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً، وإما منفصلاً وليس لمجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم.

وأما المفصل فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره.

ولنمثل بالأمثلة التالية فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال: إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض». «وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن». «وإني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن». نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية

ص٣٩٨ جـ٥ : من مجموع التفاوي وقال : هذه الحكاية كذب على أحمد .

المثال الأول : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» .

والجواب عنه : أنه حديث باطل ، لا يثبت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : هذا حديث لا يصحّ . وقال ابن العربي : حديث باطل فلا يلتفت إليه ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بإسناد لا يثبت أ . هـ وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه .

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والمشهور - يعني في هذا الأثر - إنما هو عن ابن عباس قال : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله ، فكأنما صافح الله وقبل يمينه» . ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه فإنه قال : «يمين الله في الأرض» ولم يطلق فيقول : يمين الله وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق ، ثم قال : «فمن صافحه وقبله ، فكأنما صافح الله وقبل يمينه» وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ، ولكن شبه بمن يصافح الله فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم عند كل عاقل ا . هـ ص٣٩٨ جـ ٦ مجموع الفتاوي .

*** المثال الثاني : «قلوب العباد بين أصبعين[1] من أصابع الرحمن» .**

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ، صلى الله عليه وسلم يقول : «إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن

---

(١) أصبع مثلث الهمزة والباء ففيه تسع لغات والعاشرة أصبوع كما قيل :

وهمز أنملة ثلث وثالثة ... التسع في أصبع واختم بأصبوع

أصبوع بضم الهمزة.

كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**» .

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث وقالوا إن لله تعالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم من كون قلوب بنى آدم بين أصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره. فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض ويقال: بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما فقلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن حقيقة ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.

* **المثال الثالث: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»** .

والجواب: أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم، : «ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن». قال في مجمع الزوائد «رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة» قلت: وكذا قال في التقريب عن شبيب ثقة من الثالثة وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير.

وهـذا الحـديث على ظاهـره والنفس فيه اسم مصـدر نفَّسَ ينفِّس تنفيسًا، مثل فرّج يفرّج تفريجًا وفَرَجًا، هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية والقاموس ومقاييس اللغة. قال في مقاييس اللغة: النَّفَس كل شيء يفرج به عن مكروب فيكون معنى الحديث أن تنفيس الله ـ تعالى ـ عن المؤمنين يكون من أهل اليمن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحـوا الأمصـار، فبهم نفَّس الـرحمن عن المؤمنـين الكـربات». ا.هـ ص٣٩٨ جـ٦ مجموع فتاوي شيخ الإسلام لابن قاسم.

* **المثال الرابع**: قوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السَّماء**﴾[1].

والجواب أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: «وأولى المعاني بقول الله ـ جل ثناؤه ـ: ﴿**ثم استوى إلى السَّماءِ فَسَوّاهُنّ**﴾. علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات». ا. هـ. وذكره البغوي في تفسيره: قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف. وذلك تمسكًا بظاهر لفظ ﴿**استوى**﴾. وتفويضًا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ.

القول الثاني: إن الاستواء هنا بمعنى القصد التام؛ وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوى في تفسير سورة فُصّلت. قال ابن كثير: «أي قصد إلى السماء، والاستواء ههنا ضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى». وقال البغوي: «أى عمد إلى خلق السماء».

وهـذا القـول ليس صرفـاً للكـلام عن ظاهـره، وذلك لأن الفعل ﴿**استـوى**﴾ اقـترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء. فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**عينًا يشربُ بها عبادُ الله**﴾[2]. حيث كان معناها يَرْوَى بها عباد الله لأن الفعل ﴿**يشرب**﴾ اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.

* **المثالان الخامس، والسادس**: قوله ـ تعالى ـ في سورة الحديد: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾[3]. وقوله في سورة المجادلة: ﴿**ولا أَدْنَى من**

---

(١) سورة البقرة، الآية: «٢٩».

(٢) سورة الإنسان، الآية: «٦».

(٣) سورة الحديد، الآية: «٤».

ذلك ولا أكْثَر إلاَّ هو معهم أين ما كانوا﴾ .[1]

والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حقّ على حقيقته وظاهره. ولكن ما حقيقته وظاهره؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطًا بهم، أو حالاًّ في أمكنتهم؟

أو يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم: علمًا وقدرةً، وسمعًا، وبصرًا، وتدبيرًا، وسلطانًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق، ولا يدل عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ، وهو أعظم وأجلّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته! ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدل على مطلق المصاحبة، ثم تفسر في كل موضع بحسبه.

وتفسير معية الله ـ تعالى ـ لخلقه بما يقتضى الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف فما فسرها أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنه مناف لعلو الله ـ تعالى ـ الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة وإجماع السلف، وما كان منافيًا لما ثبت بدليل كان باطًلا بما ثبت به ذلك المنافي وعلى هذا فيكون تفسير معيَّة الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف!! .

الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله ـ سبحانه وتعالى ـ.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: «٧».

ولا يمكن لمن عرف الله ـ تعالى ـ وقدّره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطًا بهم أو حالًّا في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب ـ جل وعلا ـ.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم، علمًا، وقدرة، وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا وسلطانًا، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب، لأنهما حقّ، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقًّا ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبدًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٠٣ جـ٥ من مجموع الفتاوي لابن قاسم: ثم هذه المعيّة تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿**يعلمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وما يَخْرُجُ مِنْها**﴾[١]. إلى قوله: ﴿**وهو مَعَكُم أيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[٢]. دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه[٣]. وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾. إلى قوله: ﴿**هو معهم أين ما كانوا**﴾[٤]. الآية.

ولما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، لصاحبه في الغار: ﴿**لا تحزن**

---

(١) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٢) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٣) سورة المجادلة، الآية: «٧».

(٤) سورة التوبة، الآية: «٤٠».

إنّ الله معنا﴾[1]. كان هذا ـ أيضًا ـ حقًّا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد.

ثم قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع: يقتضى في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر. فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ـ عزّ وجلّ ـ مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ا. هـ.

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ـ عزّ وجلّ ـ مختلطة بالخلق أن الله ـ تعالى ـ ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها فقال: **﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابِعُهُم ولا خمسةٍ إلا هو سادِسُهُم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانُوا ثم ينبئهم بما عَمِلُوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾**[2].

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعيّة علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم لا أنه ـ سبحانه ـ مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد، فقد ذكرها الله ـ تعالى ـ مسبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال: **﴿هو الذي خلق السّموات والأرض في سِتّةِ أيامٍ ثم استوى على العرشِ يعلم ما يَلِجُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم**

---

(١) كان هذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه لأنه إذا كان معلومًا أن الله تعالى معنا مع علوه لم يبق إلا أن يكون مقتضى هذه المعية أنه تعالى عالم بنا مطلع شهيد مهيمن لا أنه معنا بذاته في الأرض.

(٢) سورة المجادلة، الآية: «٧».

أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾[1].

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه لا أنه ـ سبحانه ـ مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضًا لأولها الدّالّ على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن متقضى كونه ـ تعالى ـ مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبّر شئونهم، فيحيي، ويُميت، ويغني، ويُفقر، ويُؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص١٤٢جـ٣ من مجموع الفتاوي لابن قاسم في فصل الكلام على المعية قال: «وكل هذا الكلام الذي ذكره الله ـ سبحانه ـ من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة». ا.هـ.

وقال في الفتوى الحموية ص١٠٢، ١٠٣ جـ٥ من المجموع المذكور: وجِماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة مثل **أن يقول القائل**: مافي الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: **﴿وهو معكم﴾**. وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا**

(١) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٢) وقد سبق أن المعية في اللغة العربية لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان.

قام أحدكم إلى الصلاة فإنّ الله قبل وجهه» ونحو ذلك فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾[1].

فأخبر أنه فوق العرش، يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، في حديث الأوعال: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه». ا. هـ.

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله ـ تعالى ـ لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله ـ تعالى ـ جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبّره حتى يتبين لك، لقوله تعالى: ﴿أفلا يَتَدبَّرُون القرآن ولو كان من عند غير الله لوَجَدُوا فيه اختلافًا كثيراً﴾[2]. فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿آمنّا به كلٌّ من عند رَبِّنَا﴾[3]. وكل الأمر إلى منزله الذي يعلمه، وأعلم أن القصور في علمك، أوفى فهمك وأن القرآن لا تناقض فيه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: «كما جمع الله بينهما».

---

(١) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٢) سورة النساء، الآية: «٨٢».

(٣) سورة آل عمران، الآية: «٧».

وكذلك ابن القيم كما في مختصر الصواعق لابن الموصلي ص٤١٠ ط الإمام في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز قال: «وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: - وذكر آية سورة الحديد - ثم قال فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال: «والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه» فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حقٌّ». ا. هـ.

الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق فإنه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا. ولا يعد ذلك تناقضا ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض فإذا كان هذا ممكنا في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٠٣ المجلد الخامس من مجموع الفتاوي لابن قاسم حيث قال: وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا اطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة. أ. هـ.

وصدق - رحمه الله تعالى - فإن من كان عالمًا بك مُطَّلعًا عليك، مهيمنًا عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك، فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة، لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق

المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حقّ الخالق الذي جمع لنفسه بينهما لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص**١٤٣** جـ**٣** من مجموع الفتاوي حيث قال: وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو علي في دنوه قريب في علوه. ا. هـ.

(تتمــة) انقسم الناس في معيّة الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يقـولون: إن معيّة الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره.

القسم الثاني: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع نفي علوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدمـاء الجهمية وغـيرهم، ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق.

القسم الثالث: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ص**٢٢٩** جـ**٥** من مجموع الفتاوي.

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذُوا بظاهر النصوص في المعية والعلو. وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول، لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطًلا.

(تنبيه) اعلم أن تفسير السّلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».

لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضًا إحاطته بهم سمعًا وبصرًا وقدرة وتدبيرًا ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

(تنبيه آخر) أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب، والسُنة والعقل، والفطرة، والإجماع.

أما الكتاب فقد تنوعت دلالته على ذلك:

فتارة بلفظ العلوّ، والفوقيّة، والاستواء على العرش، وكونه في السماء كقوله تعالى: ﴿وهو العليّ العظيم﴾[1]. ﴿وهوالقاهِرُ فوق عباده﴾[2]. ﴿الرحمن على العرش استّوى﴾[3]. ﴿أأمنتم من في السّماء أن يَخْسِفُ بكم الأرض﴾[4].

وتارة بلفظ صعود الأشياء، وعروجها، ورفعها إليه، كقوله: ﴿إليه يَصْعَدُ الكْلَم الطّيّب﴾[5]. ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾[6]. ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلىّ﴾[7].

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحو ذلك كقوله تعالى: ﴿قل نزّلَه روح القُدْس من ربك﴾[8]. ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾[9].

وأَما السنة فقد دلّت عليه بأنواعها القولية، والفعلية، والإقرارية، في أحاديث كثيرة، تبلغ حدّ التّواتر، وعلى وجوه متنوعة، كقوله، صلى الله عليه وسلم، في سجوده: «سُبْحَان رَبِّيَ الأعْلى». وقوله: «إنّ الله لما قضى

(١) سورة البقرة، الآية: «٥٥».
(٢) سورة الأنعام، الآية: «١٨».
(٣) سورة طه، الآية: «٥».
(٤) سورة الملك، الآية: «١٦».
(٥) سورة فاطر، الآية: «١٠».
(٦) سورة المعارج، الآية: «٤».
(٧) سورة آل عمران، الآية: «٥٥».
(٨) سورة النحل، الآية: «١٠٢».
(٩) سورة السجدة، الآية: «٥».

الخلق كتب عنده فوق عرشه إنَّ رحمتي سَبَقْت غَضَبِي». وقوله: «ألا تَأمَنُوني وأنَا أمِينْ من في السماء». وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: (اللهم أغثنا). وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال: (اللهم أشهد). وأنه قال للجارية: (أين الله) قالت: في السماء فأقرها وقال لسيدها: (أعتقها فإنها مُؤمِنة).

وأمّا العقل فقد دلّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص. والعلو صفة كمال والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضدّه.

وأما الفطرة: فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يُمْنَةً ولا يُسْرَةً.

واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: «سبحان ربي الأعلى» أين تتجه قلوبهم حينذاك؟.

وأما الإجماع فقد أجمع الصّحابة والتّابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سماواته مستو على عرشه؛ وكلامهم مشهور في ذلك نصًّا وظاهرًا، قال الأوزاعي: «كنّا والتابعون مُتَوافِرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات» وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم ومحال أن يقع في ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعًا.

(تنبيه ثالث) اعلم أيها القارىء الكريم، أنه صدر مني كتابة لبعض

الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ذكرت فيها: أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً، وقدرة، وسمعًا، وبصرًا، وسلطانًا، وتدبيرًا، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطًا بالخلق أو حالا في أمكنتهم بل هو العلي بذاته وصفاته وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها وانه مستو على عرشه كما يليق بجلاله وأن ذلك لا ينافي معيته لأنه تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

وأردت بقولي «ذاتية» توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى إنه ـ سبحانه ـ منزّه أن يكون مختلطًا بالخلق أو حالاً في أمكنتهم وأنه العلي بذاته وصفاته وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها وقلت فيها أيضًا ما نصه بالحرف الواحد:

«ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كلّ مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها» ا. هـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض ومازلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقولِ الثّابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة (الدّعوة)[2] التي تصدر في الرياض نشر يوم الإثنين الرابع من شهر محرم سنة ١٤٠٤هـ برقم ٩١١ قرّرت فيه ما قرّره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضى الحلول والاختلاط

---

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».

(٢) انظر نص المقال ص

بالخلق فضلاً عن أن يستلزمه ورأيت من الواجب إستبعاد كلمة «ذاتية». وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

واعلم أنّ كلّ كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائنًا من كان وبأى لفظ كانت.

وكل كلام يوهم ـ ولو عند بعض الناس ـ مالا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه مالا يليق بالله ـ عز وجل ـ.

* **المثالان السابع والثامن**، قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾[1]. وقوله: ﴿**ونحن أقرب إليه منكم**﴾[2]. حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة.

والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

أمّا الآية الأولى فإنّ القربَ مُقيّد فيها بما يدلّ على ذلك، حيث قال: ﴿**ونحن أقربُ إليه من حَبْلِ الوَرِيدِ إذ يتلقى المُتَلقِّيَانِ عن اليَمين وعن الشِّمالِ قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[3]. ففي قوله: ﴿**إذ يَتَلَقّى**﴾ دليل على أن المراد به قرب الملكين المُتَلَقِّيين.

وأما الآية الثانية: فإن القربَ فيها مُقيّد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿**حتّى إذا جاء أحدكم**

(١) سورة ق، الآية: «١٦».

(٢) سورة الواقعة، الآية: «٨٥».

(٣) سورة ق، الآيات: «١٦ ـ ١٨».

الموت توفّته رُسُلنا وهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[1] . ثم إنّ في قوله: ﴿ولكن لا تُبْصِرُونَ﴾[2] . دليلاً بيّنًا على أنهم الملائكة، إذ يدلّ على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعينّ أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حقّ ـ الله تعالى ـ.

بقى أن يقال فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة؟

فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه، لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.

وقد جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة، كقوله تعالى: ﴿فإذا قَرَأْناه فاتَّبِع قُرْآنه﴾[3]. فإنّ المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى. وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البُشْرَى يُجَادِلُنا في قومِ لوطٍ﴾[4]. وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.

* **المثالان التاسع والعاشر**: قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِى بأَعْيُنِنَا﴾[5]. وقوله لموسى: ﴿ولِتُصْنَع على عَيْنِي﴾[6].

والجواب: أنّ المعنى في هاتين الآيتين علَى ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: «٦١».
(٢) سورة الواقعة، الآية: «٨٥».
(٣) سورة القيامة، الآية: «١٨».
(٤) سورة هود، الآية: «٧٤».
(٥) سورة القمر، الآية: «١٤».
(٦) سورة طـه، الآية: «٣٩».

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أنّ السفينة تجرى في عين الله؛ أو أن موسى، عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى؟!!.

أو يُقال: إنّ ظاهـرة أن السفينـة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنـه لا يقتضيه الكـلام بمقتضى الخطاب العربي والقرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب قال الله تعالى: ﴿**إنّا أنزلناه قُرآنا عربيًّا لعلّكم تَعْقلُون**﴾(١). وقال تعالى: ﴿**نَزَل به الرُّوحُ الأمينُ على قَلْبك لتكُون من المُنْـذِرين بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ**﴾(٢). ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه ولا من قوله القائل: فلان تّخرج على عينى أن تخرجه كان وهو راكب على عينه ولو إدعى مدعٍ أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الإمتناع ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقـه لا يحل فيه شيء من مخلوقـاته ولا هو حال في شيء من مخلوقاته ـ سبحانه وتعالى ـ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فإذا تبـين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجرى وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤها بها. وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى منى فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من

---

(١) سورة يوسف، الآية: «٢».

(٢) سورة الشعراء، الآيات: «١٩٣ ـ ١٩٥».

ذلك أن يراه ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.

* **المثال الحادي عشر:** قوله تعالى في الحديث القدسي: **(وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)**.

والجواب: أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق.

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته.

ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الوجه الأول: أن الله تعالى قال: **«وما يزال عبدِي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبه وقال: ولئن سألني لأعطِيَنّه ولئن استعاذني لأعِيذَنّه»**.

فأثبت عبدًا ومعبودًا ومتقربًا ومتقربا إليه، ومحبًا ومحبوبًا، وسائلًا ومسئولًا، ومُعْطيًا ومعطى، ومستعيذًا ومستعاذًا به، ومعيذًا ومعاذًا. فسياق الحديث يدل على إثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفا في الآخر أو جزءا من أجزائه.

الوجـه الثاني: أن سمع الوليّ وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن ولا يمكن لأى عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعًا وبصرًا ويدًا ورجلاً لمخلوق بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير فكيف يسوغ أن يقال إنه ظاهر الحديث القـدسي وأنـه قد صرف عن هذا الـظاهر سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصًا وبالله تعالى إستعانة وفي الله تعالى شرعاً واتباعًا فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق وهذا ما فسره به السلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنّة.

* **المثال الثاني عشر**: قوله، صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «**من تَقرّب مني شبراً تقربت منه ذراعًا ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**».

وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبى ذر رضي الله عنه وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد الباب الخامس عشر.

وهذا الحديث كغيره من النّصوص الدّالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأنه ـ سبحانه ـ فعال لما يُريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة

مثل قوله تعالى: ﴿وإِذَا سأَلَك عِبَادِي عنِّي فإنِّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدّاع إِذَا دعانِ﴾[1]. وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾[2]. وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾[3]. وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[4]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر». وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه». إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

فقوله في هذا الحديث: تقربت منه وأتيته هرولة من هذا الباب.

والسّلف «أهل السنة والجماعة» يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص٤٦٦ جـ٥ من مجموع الفتاوي: وأما دنوه نفسه وتقرّبه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر ا. هـ.

فأيّ مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟

وأيّ مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: «١٨٦».

(٢) سورة الفجر، الآية: «٢٢».

(٣) سورة الأنعام، الآية: «١٥٨».

(٤) سورة طـه، الآية: «٥».

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: **«أتيته هرولة»**. يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل. وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث: **«ومن أتاني يمشي»** ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ الطّالب للوصول إليه لا يتقرّب، ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها وتارة بالركوع والسجود ونحوهما وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى: **﴿الذين يَذْكُرُون الله قيامًا وقعودًا وعلى جُنُوبهم﴾**[1]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: **«صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جَنْب»**.

قال فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئًا جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل. وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجًا به عن ظاهره ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى

(١) سورة آل عمران، الآية: «١٩١».

من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي. والله تعالى أعلم.

* **المثال الثالث عشر**: قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خلقنا لهم مِمَّا عَمِلت أيدينا أنْعَامًا**﴾[1].

والجواب: أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللّسان العربي الذي نزل به القرآن ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾[2] وقوله: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾[3]. وقوله: ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم**﴾[4]. فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال عملته بيدى كما في قوله تعالى: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾[5]. فإنه يدلّ على

---

(١) سورة يس، الآية: «٧١».

(٢) سورة الشورى، الآية: «٣٠».

(٣) سورة الروم، الآية: «٤١»..

(٤) سورة آل عمران، الآية: «١٨٢».

(٥) سورة البقرة، الآية: «٧٩».

مباشرة الشيء باليد.

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية خلقنا لهم بأيدينا أنعاما كما قال الله تعالى في آدم: ﴿**ما منعك أن تَسْجُـدَ لما خلقت بيـدي**﴾[1]. لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية لقوله تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تِبْيَانًا لكلّ شيء**﴾[2].

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم وبه يزول كثير من الإشكالات.

* **المثال الرابع عشر**: قوله تعالى: ﴿**إن الذين يُبايِعُونك إنّما يُبَايِعُونَ الله يد الله فوق أيْدِيهم**﴾[3].

والجواب: أن يقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿**إنّ الذين يُبَايِعُونَكَ إنما يُبَايِعُون الله**﴾.

وقـد أخذ السلف «أهل السنة» بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كما في قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يُبَايِعُونك تحت الشَّجرة**﴾[4]

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿**إنّما يُبَايِعون الله**﴾. أنهم

---

(١) سورة ص، الآية: «٧٥».

(٢) سورة النحل، الآية: «٨٩».

(٣) سورة الفتح، الآية: «١٠».

(٤) سورة الفتح، الآية: «١٨».

يبايعون الله نفسه ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته لأول الآية والواقع واستحالته في حقّ الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول، صلى الله عليه وسلم، مبايعة له لأنه رسوله قد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله لأنه رسوله المبلغ عنه كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى: ﴿**من يُطِع الرّسُول فقد أَطَاعَ الله**﴾(1).

وفي إضافة مبايعتهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ماهو ظاهر لا يخفى على أحد.

الجملة الثانية: قوله تعالى: ﴿**يدُ الله فوق أَيْدِيهم**﴾(2). وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه فكانت يده فوق أيديهم. وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة له عز وجل ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا. فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ يد النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعى أن ذلك ظاهر اللفظ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم. ويد النبي، صلى الله عليه وسلم، عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها

---

(1) سورة النساء، الآية: «80».

(2) سورة الفتح، الآية: «10».

إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.

* **المثال الخامس عشر**: قوله تعالى في الحديث القدسي: «**يابن آدم مرضت فلم تعدني**». الحديث.

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٣ ص١٩٩٠ ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يارب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟!، يابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال يارب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يارب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**».

والجواب: أن السّلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به فقوله تعالى في الحديث القدسي: «**مرضت واستطعمتك واستسقيتك**» بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: «**أما علمت أن عبدي فلانًا مرض وأنه استطعمك عبدي فلان. واستسقاك عبدي فلان**» وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله واستطعام عبد من عباد الله واستسقاء عبد من عباد الله والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن

ظاهره لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء. وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحثّ كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يُقْرِضُ الله﴾[1].

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربون. إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله ولو كان ظاهرها ممتنعًا على الله ـ كما زعموا ـ لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث. ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعا على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال.

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراسًا لغيرها، وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد تقدّم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصّفات والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: «٢٤٥».

الخاتمــة

إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصّفات ومن المعلوم أن الأشـاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات فكيف يكون مذهبهم باطلاً وقد قيل إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟!.

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟

قلنا الجواب عن السؤال الأول: أننا لا نسلّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضى عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول إن إجماع المسلمين قديمًا ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل فإن السّلف الصّالح من صدر هذه الأمة «وهم الصحابة» الذين هم خير القـرون والتـابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم كانوا مجمعـين على إثبـات ما أثبتـه الله لنفســه أو أثبتـه له رسوله من الأسماء والصفات وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنص الرسول، صلى الله عليه وسلم، وإجماعُهم حجّةٌ ملزمةٌ، لأنه مقتضى الكتاب والسنة وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصّفات.

والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدِّين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم ونزلوها منزلتها وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة قال الله تعالى: **﴿وجعلنا منهم أئِمَّـة يَهْدُونَ بأمْرِنا لَمَّا صبروا وكانوا بآياتنا يُوقِنُون﴾**(1). وقال عن إبراهيم: **﴿إنّ إبراهيمَ كان أمة قانتًا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرًا لأنْعُمِهِ اجتَباهُ وهدَاه إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾**(2).

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة:

المرحلة الأولى ـ مرحلة الاعتزال: اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عامًا يقرره ويناظر عليه ثم رجع عنه وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم(3).

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبدالله ابن سعيد بن كلاب (4). قال شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٧١ من المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوي لابن قاسم:

والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة. ا.هـ.

المـرحلة الثالثة: مرحلة إعتناق مذهب أهل السنة والحديث مقتدياً بالإمـام أحمـد بن حنبل رحمه الله كما قرره في كتابه: (الإبانة عن أصول الديانة) وهو من آخر كتبه أو آخرها.

(1) سورة السجدة، الآية: «٢٤».

(2) سورة النحل، الآيتان: «١٢٠، ١٢١».

(3) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٢ جـ٤.

(4) مجموع الفتاوى ص٥٥٦ جـ٥.

قال في مقدمته:

(جاءنا ـ يعني النبي، صلى الله عليه وسلم، ـ بكتاب عزيزٍ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفِه، تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى وفي الجهل تردى وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فقال عز وجل: ﴿**وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانْتَهوا**﴾[1]. إلى أن قال: فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوتهم، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أصولاً من أصول المبتدعة، وأشار إلى بطلانها ثم قال:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والجهمية، والحرورية، والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟.

قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا ـ عز وجل ـ وبسنة نبينا، صلى الله عليه وسلم، وما روى عن الصحابة، والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته،

(١) سورة الحشر، الآية: «٧».

وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل» ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق وذكر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر، والشفاعة، وبعض السّمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقليّة والعقليّة.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه، أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصّفات، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له　　　إرادة وكذا السمع والبصر

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها.

ولما ذكر شيخ الإسلام إبن تيمية ما قيل في شأن الأشعرية ص**٣٥٩** من المجلد السادس من مجموع الفتاوي لابن قاسم قال:

ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية وأما من قال منهم بكتاب (الإبانة) الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة وقال قبل ذلك في ص **٣١٠**: وأما الأشعرية فعكس هؤلاء وقولهم يستلزم التعطيل، وأنه لا داخل العالم، ولا خارجه وكلامه معنى واحد، ومعنى آية الكرسي وآية الدَّين، والتوراة، والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة ا. هـ.

وقال تلميذه ابن القيم في النونية ص**٣١٢** من شرح الهراس ط الإمام:

واعلم بأن طريقهم عكس الـ　　　طريق المستقيم لمن له عينان

إلى أن قال:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا　　　كون المقلّد صاحب البرهان

ورأو بالتقليد أولى من سوا　　　ه بغير ما بصر ولا برهان

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا　　　معناهما عجبا لذى الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ص ٣١٩ جـ٢ على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه التي في سورة الأعراف: «اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعًا قال ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله تعالى والقول فيه بما لا يليق به ـ جل وعلا ـ. والنبي صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[1]. لم يبين حرفا واحداً من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه، صلى الله عليه وسلم، لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه وأحرى في العقائد لاسيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق والنبي صلى الله عليه وسلم كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة سبحانك هذا بهتان عظيم ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله ـ جل وعلا ـ ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث. قال: وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل

---

(١) سورة النحل، الآية: «٤٤».

عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صافته؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر.

والجاهل المفترى الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله، لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله ـ جلّ وعلا ـ وعدم الإيمان بها مع أنه ـ جل وعلا ـ هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبّها أولاً، ومعطلا ثانيًا فارتكب مالا يليق بالله ابتداء وانتهاء ولو كان قلبه عارفًا بالله كما ينبغي، معظمًا لله كما ينبغي طاهرًا من أقذار التشبيه لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدًّا للإيمان بصفات الكمال، والجلال الثابتة لله في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]. أ. هـ كلامه ـ رحمه الله.

والأشعري أبو الحسن ـ رحمه الله ـ كان في آخر عمره على مذهب أهل السنة والحديث وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. ومذهب الإنسان ما قاله أخيرًا إذا صرح بحصر قوله فيه كما هي الحال في أبي الحسن كما يعلم من كلامه في الإبانة. وعلى هذا فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيرًا وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة، لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع الذي التزم به أبو الحسن نفسه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».

والجواب عن السؤال الثالث من وجهين:

الأول: أن الحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحقّ هذا هو الميزان الصحيح وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم كما نقبل خبر العدل ونتوقف في خبر الفاسق لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال فإن الإنسان بشر يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته فقد يكون الرجل دينا وذا خلق ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف أو يكون قد نشأ على طريق معين أو مذهب معين لا يكاد يعرف غيره فيظن أن الصواب منحصر فيه ونحو ذلك.

الثاني: أننا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السلف وجدنا في هذه الطريق من هم أجل وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة فالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة.

وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام والذب عنه، والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه، ولا قبول قولهم في كل ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم ورده لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضًا أن لبعضهم قصدًا حسنًا فيما ذهب إليه وخفي عليه الحق فيه، ولكن لا يكفى لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بد أن يكون موافقًا لشريعة الله ـ عز وجل ـ فإن كان مخالفًا لها وجب ردّه على قائله كائنًا من كان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**».

ثم إن كان قائله معروفًا بالنصيحة والصّدق في طلب الحقّ اعتذر عنه في هذه المخالفة وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته.

فإن قال قائل هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله، صلى الله عليه وسلم، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه. ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**». وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**». وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: إنطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالمًا بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرًا أو فاسقًا لقوله تعالى: **﴿ومن يُشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهُدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهَ ما تَوَلّى ونُصْلِه جهنم وساءتْ مصيراً﴾**[1].

وقوله: **﴿وما كان الله لِيُضِلَّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يُبيِّنَ لهم ما يَتّقُون إن الله بكـل شيء عليم إن الله له ملك السمـوات والأرضِ يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾**[2].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له.

ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعى الإكراه لا اطمئنانًا به، فلا يكفر حينئذ. لقوله تعالى: **﴿من كفر بالله من بعد إيمانِهِ إلاّ من أُكْرِهَ وقلبُه مطمَئنٌّ بالإِيمان ولكن من شرح بالكفر صدْرا فعليهم غضبٌ من اَلله ولهم عذاب عظيم﴾**[3].

ومنها أن يغلق عليه فكره، فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو

(١) سورة النساء، الآية: «١١٥».

(٢) سورة التوبة، الآيتان: «١١٥، ١١٦».

(٣) سورة النحل، الآية: «١٠٦».

خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ ص١٨٠ جـ١٢ مجموع الفتاوي لابن قاسم:

وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحقّ وتكلّم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقًا. وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته. ا. هـ.

وقال في ص٢٢٩ جـ٣ من المجموع المذكور في كلام له: «هذا مع أنى دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك منّي أنى من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيًا أخرى، وإنى أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية. وذكر أمثلة ثم قال:

وكنت أبيّن أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقـول كذا وكـذا فهـو أيضـا حقّ لكن يجب التفـريق بين الإطلاق والتعيين، إلى أن قال:

والتكفير هو من الوعيد؛ فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول، صلى الله عليه وسلم، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها، ولم تثبت عنده أو عارضها عند معارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئًا.

وكنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرّجل الذي قال: **«إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذرّوني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين. ففعلوا به ذلك فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال خشيتك فغفر له»**.

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذرى بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول، صلى الله عليه وسلم، أولى بالمغفرة من مثل هذا. ا. هـ.

وبهذا علم الفرق بين القول والقائل، وبين الفعل والفاعل، فليس كل قول أو فعل يكون فسقًا أو كفرًا يحكم على قائله أو فاعله بذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص١٦٥ جـ٣٥ من مجموع الفتاوي.

وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال هي كفر قولاً يطلق كما دلّت على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت

في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن الكريم ولا أنه من أحاديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قالها. إلى أن قال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تعالى: ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[1]. وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان). ا. هـ كلامه.

ولهذا علم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفرًا أو فسقًا ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرًا أو فاسقًا إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه. ومن تبين له الحق فأصر على مخالفته تبعاً لاعتقاد كان يعتقده أو متبوع كان يعظمه أو دنيا كان يؤثرها فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق. فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيجعلهما إمامًا له يستضيء بنورهما، ويسير على منهاجهما فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به في قوله: ﴿**وأن هذا صِراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرّق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾[2].

وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين وما سواهما إمامًا لا تابعًا! وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى. لا أتباع الهدى وقد ذمّ الله هذه الطريق في

(١) سورة النساء، الآية: «١٦٥».
(٢) سورة الأنعام، الآية: «١٥٣».

قوله: ﴿ولو اتبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾[1].

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجاب. ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالمًا بغنى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه هو حري أن يستجيب الله تعالى له سؤله يقول الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عَني فإنِّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدّاع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يَرْشُدُون﴾[2].

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن رأى الحقّ حقًّا واتبعه، ورأى الباطل باطلًا واجتنبه. وأن يجعلنا هُداة مُهتدين، وصلحاء مصلحين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب. والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصّالحات، والصلاة والسلام على نبي الرّحمة وهادي الأمة إلى صراط العزيز الحميد بإذن ربهم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٠٤هـ

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

---

(١) سورة المؤمنين، الآية: «٧١».

(٢) سورة البقرة، الآية: «١٨٦».



بسم الله الرحمن الرحيم
نص الكلمة التي نشرناها في مجلة الدعوة السعودية
في عدد ٩١١ الصادر يوم الإثنين الموافق ٤/ ١/ ١٤٠٤هـ

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِل له ومن يُضْلِلْ فلا هادِي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما.

أمـا بعـــد:

فقد كنا تكُلّمنا في بعض مجالسنا على معنى معيّة الله تعالى لخلقه، ففهم بعض الناس من ذلك ما ليس بمقصود لنا ولا معتقد لنا فكثر سؤال الناس وتساؤلهم ماذا يقال في معية الله لخلقه؟

وإننـــا:

أ - لئلا يعتقد مخطىء أو خاطىء في معيّة الله ما لايليق به.

ب - ولئلا يتقول علينا متقوّل مالم نقله أو يتوهّم واهم فيما نقوله ما لم نقصده.

جـ - ولبيان معنى هذه الصّفة العظيمة التي وصف الله بها نفسه في عدة آيات من القرآن الكريم ووصفه بها نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم.

نقـــرّر ما يأتي:

أولاً: معيّة الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف،

قال الله تعالى: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**إن الله مع الـذين اتّقَوْا والذين هم مُحْسِنُون**﴾[2]. وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهـما إلى فرعون: ﴿**لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**﴾[3]. وقال عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**إلا تَنصرُوه فقد نَصَرَهُ الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾[4]. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم،: «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معـك حيثـما كنت**». حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية وضعفه بعض أهل العلم وسبق قريبًا ما قاله الله تعالى عن نبيه من إثبات المعية له.

وقد أجمع السّلف على إثبات معيّة الله تعالى لخلقه.

ثانيًا: هذه المعية حق على حقيقتها، لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أي مخلوق لمخلوق لقوله تعالى عن نفسه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[5]. وقوله: ﴿**هل تعلم له سميًّا**﴾[6]. وقوله: ﴿**ولم يكن له كُفُوًا أحد**﴾[7]. وكسائر صفاته الثابتة له حقيقة على وجه يليق به ولا تشبه صفات المخلوقين.

قال ابن عبدالبر: أهل السنة مجمعون على الصّفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة». ا.هـ. نقله عنه

---

(١) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٢) سورة النحل، الآية: «١٢٨».

(٣) سورة طه، الآية: «٤٦».

(٤) سورة التوبة، الآية: «٤٠».

(٥) سورة الشورى، الآية: «١١».

(٦) سورة مريم، الآية: «٦٥».

(٧) سورة الإخلاص، الآية: «٤».

شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص٨٧ من المجلد الخامس من مجموع الفتاوي لابن قاسم.

وقال شيخ الإسلام في هذه الفتوى ص١٠٢ من المجلد المذكور: ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك ـ يعني مما جاء في الكتاب والسنة ـ يناقض بعضه بعضا ألبتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: **﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾**[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: **«إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه»**. ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله: **﴿هو الذي خلق السّمَوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يَنْزِلُ من السماءِ وما يَعْرُجُ فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تَعْمَلُون بصيرٌ﴾**[2]. فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: **«والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»**.

وذلك أن كلمة ـ مع ـ في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قُيِّدَت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة، ا. هـ كلامه.

ثالثًا: هذه المعيّة تقتضي الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة، وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا وغير ذلك من معاني ربوبيته إن كانت المعية عامة لم تخص

---

(١) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٢) سورة الحديد، الآية: «٤».

بشخص أو وصف كقوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ماكنتم﴾[1]. وقوله: ﴿مايكون من نَجْوى ثلاثة إلا هو رابعُهم ولا خَمْسَةٍ إلا هو سَادِسُهُم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين كانوا﴾[2].

فإن خصت بشخص أو وصف اقتضت مع ذلك النصر والتأييد والتوفيق والتسديد.

مثال المخصوصة بشخص قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إنّني معكُما أَسْمَع وَأَرَى﴾[3]. وقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾[4].

ومثال المخصوصة بوصف. قوله تعالى: ﴿واصْبِرُوا إنّ الله مع الصّابرينَ﴾[5]. وأمثاله في القرآن الكريم كثيرة.

قَال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٠٣ من المجلد الخامس من مجموع الفتاوي لابن قاسم قال: ثم هذه المعيّة تختلف أحكامها بحسب الموارد. فلما قال: ﴿يعلم ما يَلِجُ في الأرْض وما يَخْرُجُ منها﴾[6]. إلى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾. دلّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف. إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. قال: ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار لا تحزن إنّ الله معنا، كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهره، ودلّت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد، وكذلك قوله: ﴿إن

(١) سورة الحديد، الآية: «٤».

(٢) سورة المجادلة، الآية: «٧».

(٣) سورة طه، الآية: «٤٦».

(٤) سورة التوبة، الآية: «٤٠».

(٥) سورة الأنفال، الآية: «٤٦».

(٦) سورة الحديد، الآية: «٤».

الله مع الـذين اتقـوا والـذين هم مُحْسِنُـون﴾[1] . وكـذلـك قوله لموسى وهارون : ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ . هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد .

إلى أن قال : ففرق بين معنى المعية ومقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع . أ. هـ.

وقـال محمد بن الموصلي في كتاب (إستعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) لابن القيم في المثال التاسع ص٤٠٩ط الإمام : وغاية ما تدل عليه ـ مع ـ المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور وهذا الاقتران في كل موضع بحسبه ويلزمه لوازم بحسب متعلقة فإذا قيل : الله مع خلقه بطريق العموم كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم وإذا كان ذلـك خاصـا كقـولـه : ﴿إن الله مع الـذين اتقـوا والـذين هم محسنون﴾[2] . كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة .

فمعية الله تعـالى مع عبـده نوعان عامة وخاصة وقد إشتمل القرآن الكريم على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدّم من الصحبة اللائقة . أ. هـ.

وذكـر ابن رجب في شرح الحـديث التاسع والعشرين من الأربعين النـووية : أن المعية الخـاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة وأن العامة تقتضي علمه وإطلاعه ومراقبته لأعمالهم .

وقال ابن كثير في تفسير آية المعية في سورة المجادلة : ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه المعية معية علمه قال ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضًا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو ـ سبحانه ـ مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء . أ. هـ.

(٥) سورة النحل، الآية : «١٢٨».

(١) سورة النحل، الآية : «١٢٨».

رابعًا: هذه المعية لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطا بالخلق أو حالاً في أمكنتهم ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه لأن هذا معنى باطل مستحيل على الله عز وجل ولا يمكن أن يكون معنى كلام الله ورسوله شيئًا مستحيًلا باطلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص**١١٥** ط ثالثة من شرح محمد خليل الهراس: وليس معنى قوله: ﴿**وهو معكم**﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان. أ. هـ.

ولم يذهب إلى هذا المعنى الباطل إلا الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم الذين قالوا: إن الله بذاته في كل مكان. تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. وكبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبًا.

وقد أنكر قولهم هذا من أدركه من السلف والأئمة، لما يلزم عليه من اللوازم الباطلة المتضمنة لوصفه تعالى بالنقائص وإنكار علوه على خلقه.

وكيف يمكن أن يقول قائل إن الله تعالى بذاته في كل مكان أو أنه مختلط بالخلق وهو ـ سبحانه ـ قد «**وسع كرسيه السموات والأرض. والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسّموات مطويات بيمينه**»؟

خامسًا: هذه المعية لا تناقض ما ثبت لله تعالى من علوه على خلقه، واستوائه على عرشه، فإن الله تعالى قد ثبت له العلو المطلق علو الذات. وعلو الصفة قال الله تعالى: ﴿**وهو العلي العظيم**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**سَبِّح اسم ربِّك الأعلى**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**ولله المثل الأعلى في**

(١) سورة البقرة، الآية: «٢٥٥».

(٢) سورة الأعلى، الآية: «١».

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[1].

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة، والإجماع والعقل، والفطرة على علو الله تعالى.

أما أدلة الكتاب والسنة فلا تكاد تحصر. مثل قوله تعالى: ﴿فالحُكْمُ لله العليِّ الكبيرِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وهو القاهِرُ فوقَ عِبَادِهِ﴾[3]. وقوله: ﴿أم أمنتم منَ في السماء أن يُرسِل عليكم حاصبًا﴾[4]. وقوله: ﴿تعرج الملائكة والرُّوح إليه﴾[5] وقوله: ﴿قل نزّله رُوحُ القُدسِ من ربّك﴾[6]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

ومثل قوله صلى، الله عليه وسلم، : «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**». وقوله: «**والعرش فوق الماء والله فوق العرش**». وقوله: «**ولا يصعد إلى الله إلا الطّيب**».

ومثل إشارته إلى السماء يوم عرفة. يقول: «**اللهم اشهد**»، يعني على الصحابة حين أقروا أنه بلّغ.

ومثل إقراره الجارية حين سألها أين الله قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة.

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وأما الإجماع فقد نقل إجماع السلف على علو الله تعالى غير واحد من أهل العلم.

وأما دلالة العقل على علو الله تعالى فلأن العلو صفة كمال والسفول

---

(١) سورة النحل، الآية: «٦٠».
(٢) سورة غافر، الآية «١٢».
(٣) سورة الأنعام، الآية: «١٨».
(٤) سورة الملك، الآية: «١٧».
(٥) سورة المعارج، الآية: «٤».
(٦) سورة النحل، الآية: «١٠٢».

صفة نقص والله تعالى موصوف بالكمال منزه عن النقص.

وأما دلالة الفطرة على علو الله تعالى فإنه ما من داع يدعو ربه إلا وجد من قلبه ضرورة بالاتجاه إلى العلوّ من غير دراسة كتاب ولا تعليم معلم.

وهـذا العلو الثابت لله تعالى بهذه الأدلة القطعية لا يناقض حقيقة المعية وذلك من وجوه:

الأول: أنّ الله تعـالى جمع بينهـما لنفسـه في كتـابـه المبين المنزه عن التناقض؛ ولو كانا متناقضين لم يجمع القرآن الكريم بينهما.

وكل شيء في كتاب الله تعالى تظنّ فيه التعارض فيما يبدو لك فأعد النظر فيه مرة بعد أخرى حتى يتبين لك. قال الله تعالى: ﴿**أفلا يَتَدَبَّرُون القُرْآن ولو كان من عند غير الله لوجَدُوا فيه اخْتِلافًا كثيراً**﴾[1].

الثاني: أن اجتماع المعيَة والعلوّ ممكن في حقّ المخلوق. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، ولا يعد ذلك تناقضا ومن المعلوم أن السائرين في الأرض والقمر في السماء، فإذا كان هذا ممكنًا في حقّ المخلوق فما بالك بالخالق المحيط بكل شيء. قال الشيخ محمد خليل الهراس ص١١٥ في شرحـه العقيدة الواسطية عند قول المؤلف: بل القمر آية من آيات الله تعـالى، من أصغـر مخلوقاته وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان قال: وضرب لذلك مثلاً بالقمر الذي هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغـيره أينما كان قال فإذا جاز هذا في القمر وهو من أصغر مخلوقات الله تعالى؛ أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علما وقدرة والذي هو شهيد مطلع عليهم يسمعهم ويراهم ويعلم سرهم ونجواهم بل العالم كله سمواته وأرضه من العرش إلى الفرش بين يديه كأنه بندقة في يد أحدنا أفلا يجوز لمن هذا شأنه، أن يقال إنه مع خلقه مع كونه عاليًا عليهم بائنًا منهم فوق عرشه؟!. أ. هـ.

---

(١) سورة النساء، الآية: «٨٢».

الوجه الثالث: أن اجتماع العلو والمعية لو فرض أنه ممتنع في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ممتنعا في حق الخالق فإن الله لا يماثله شيء من خلقه: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**(1). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص١١٦ ط ثالثة من شرح الهراس: وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليّ في دنوه قريب في علوه. أ. هـ.

وخلاصة القول في هذا الموضوع كما يلي:-

١ ـ أن معيّة الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

٢ ـ أنها حقّ على حقيقتها على ما يليق بالله تعالى من غير أن تشبه معية المخلوق للمخلوق.

٣ ـ أنها تقتضي إحاطة الله تعالى بالخلق علمًا وقدرةً، وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، إن كانت المعية عامة وتقتضي مع ذلك نصرًا وتأييدًا وتوفيقًا وتسديدًا إن كانت خاصة.

٤ ـ أنها لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطًا بالخلق، أو حالًّا في أمكنتهم، ولا تدلّ على ذلك بوجه من الوجوه.

٥ ـ إذا تدبّرنا ما سبق علمنا أنه لا منافاة بين كون الله تعالى مع خلقه حقيقة، وكونه في السماء على عرشه حقيقة. سبحانه وبحمده لا نحصى ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

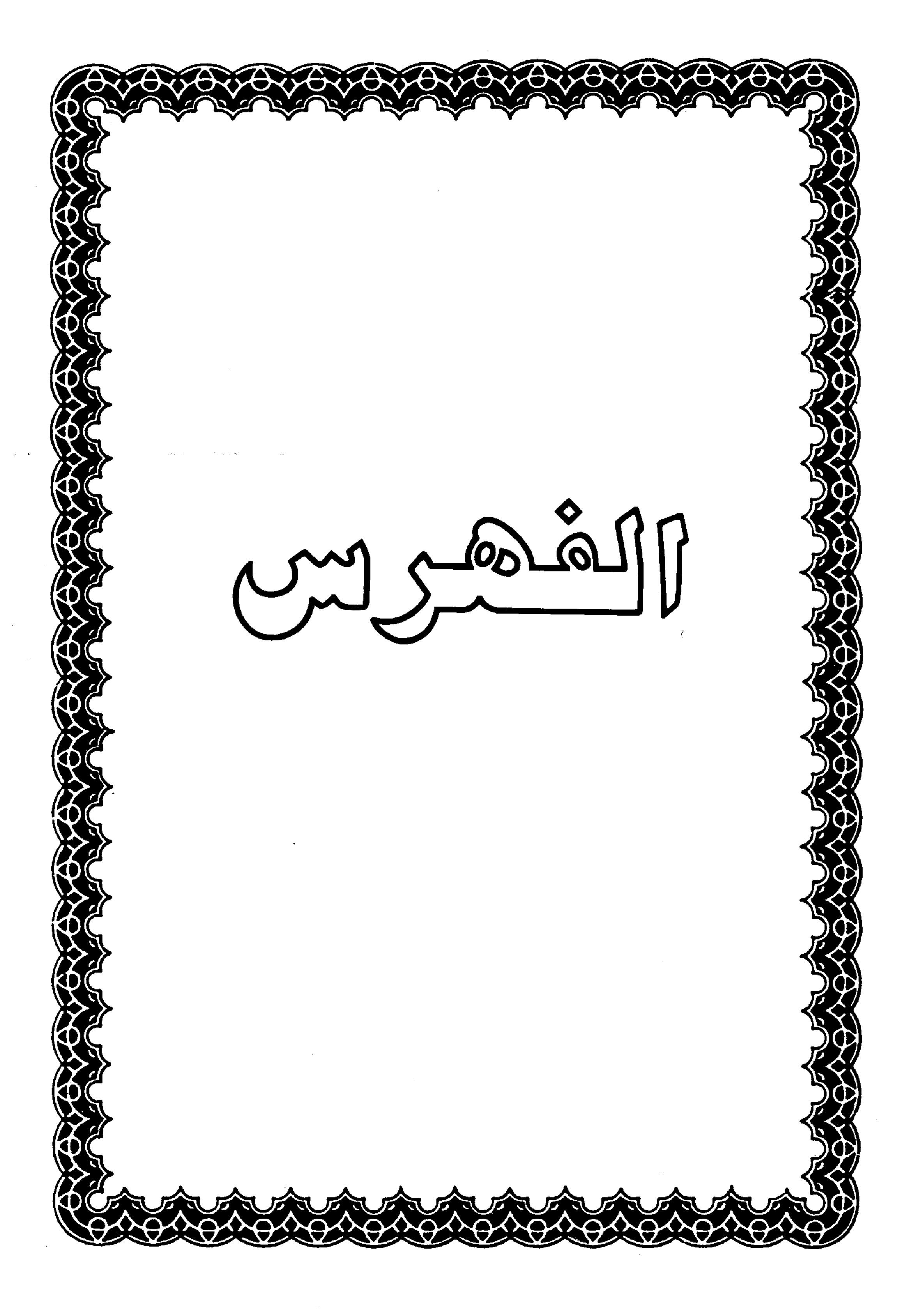
حرره الفقير إلى الله تعالى:

محمد الصالح العثيمين في ٢٧/١١/١٤٠٣هـ

---

(١) سورة الشورى، الآية: «١١».

تم بحمد الله ـ تعالى ـ المجلد الثالث
ويليه بمشيئة الله ـ عز وجل ـ المجلد الرابع

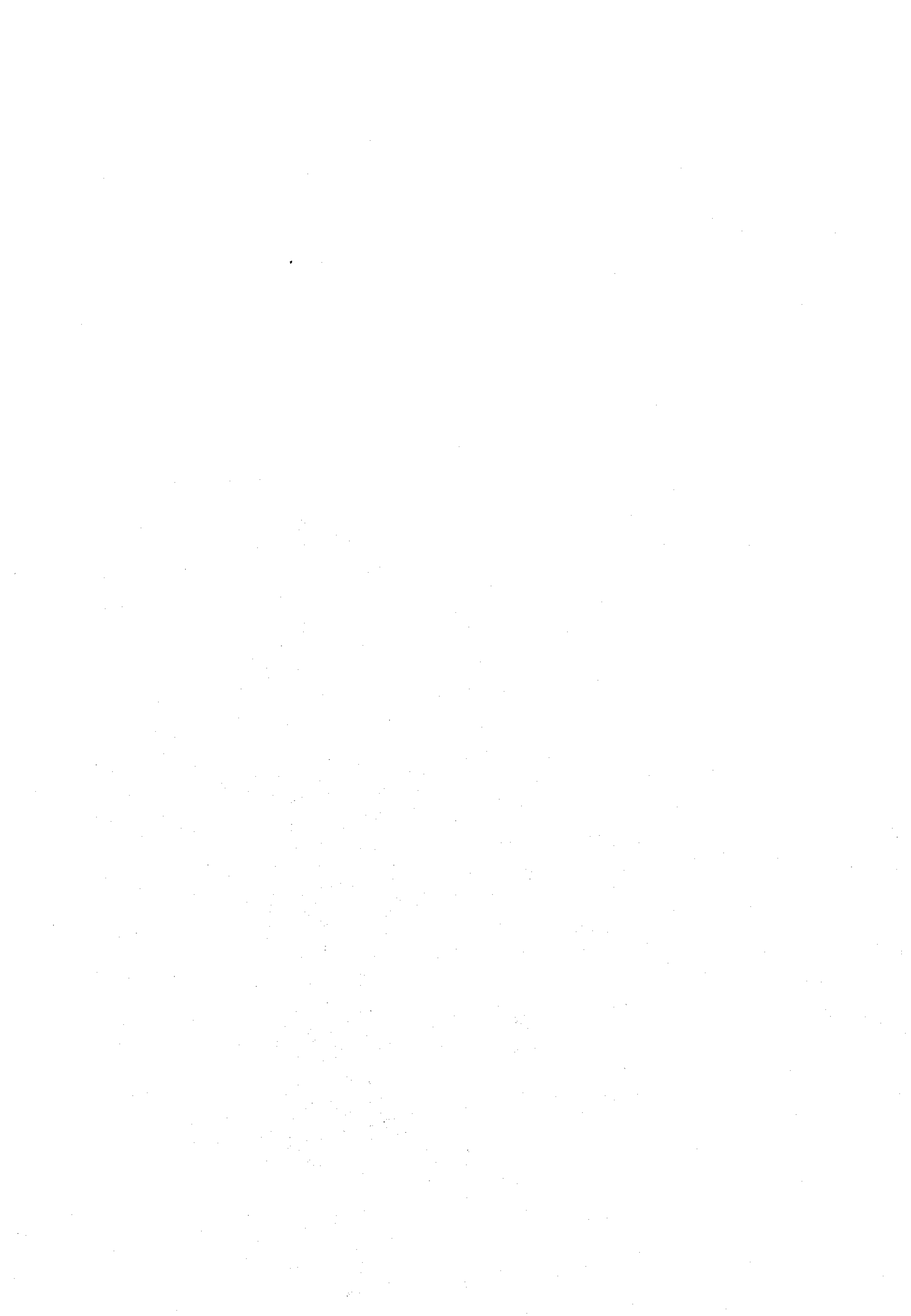


الفهرس

رقم الفتوى	الموضوع	الصفحة

الولاء والبراء ٩

المناهي اللفظية



فصـــل

فصـــل

فصـــل

فصل

فصل

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية يجب الوقوف فيها على
ما جاء به الكتاب والسنة ووجه ذلك ٢٧٥

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

تم فهرس المجلد الثالث والحمد لله رب العالمين